مكتبة دير السريان العامر

نسكيات الأنبا أنطونيوس

حياته - رسائله - تعاليمه

مراجعة وتقديم

الأنبا متاؤس

أسقف و رئيس دير السريان العامر

مكتبة دير السريان العامر

نسكيات الأنبا أنطونيوس

الأنبا متاؤس

Al-karma 25788276

أسألكم أن تتصفحوا كتاب
حياة القديس أنطونيوس لتتعلموا فلسفته
وأن تجتهدوا فى مماثلته !!

القديس
يوحنا ذهبى الفم

السعر ٩ جنيه

مكتبة دير السريان العامر

تقدم

نسكيات الأنبا أنطونيوس

حياته – رسائله – تعاليمه

مراجعة وتقديم

نيافة الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

إسم الكتاب : نسكيات الأنبا أنطونيوس
مراجعة وتقديم : الأنبا متاؤس أسقف ورئيس دير السريان العامر
إسم الناشر : مكتبة دير السريان العامر
الطبعة : الاولى ديسمبر ٢٠٠٩
رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٢٣٠١٨
المطبعة : دار الكرمة للطباعة ٠١٢١٥٠٠١٧٠

حقوق الطبع والنشر محفوظة لدير السريان العامر

قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث
بابا الأسكندرية و بطريرك الكرازة المرقسية

نيافة الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

باسم الآب والابن والروح القدس الله الواحد آمين

تقديم

بين يديك — أيها القارئ العزيز — كتاب روحاني رهباني عميق هو رسائل ومقالات وتعاليم كوكب البرية وأبو الرهبان القديس العظيم الأنبا أنطونيوس مع التجمعات الرهبانية التي أسسها. وهي كانت مدفونة في بطون المخطوطات وتم طبعها لأول مرة سنة ١٨٩٩م أي من حوالي ١١٠ سنة.

ولأهميتها لأبناء الكنيسة عموماً وللرهبان خصوصاً ولما فيها من التعاليم الروحانية السامية والعميقة قامت مكتبة دير السيدة العذراء السريان بطبعها طبعة ثانية منقحة ومزيدة لمنفعة الجميع.

نرجو أن يكون هذا الكتاب في طبعته الجديدة سبب بركة لكل من يقرأه. **بشفاعة أمنا الطاهرة القديسة مريم وصلوات أبينا القديس الأنبا أنطونيوس كاتب هذا الكتاب وصلوات أبينا المكرم البابا الأنبا شنوده الثالث.**

والرب يبارك كل عمل لمجد اسمه القدوس،،،

الأنبا متاؤس

أسقف دير السريان العامر

أغسطس ٢٠٠٩م
مسرى ١٧٢٥ش } صوم السيدة العذراء

حيـــاة

القديس أنطونيوس

حياة القديس أنطونيوس

حياة أبينا الطاهر، كتبها وأرسلها إلى الرهبان في الأرجاء الأجنبية القديس الأنبا أثناسيوس أسقف الإسكندرية.

أثناسيوس الأسقف إلى الإخوة في الأرجاء الأجنبية

لقد دخلتم في منافسة نبيلة مع رهبان مصر بعزمكم إما على مساواتهم أو التفوق عليهم في التدريب في طريق الفضيلة. إذ توجد الآن لديكم أديرة، وأصبح اسم الراهب يلقى احتراماً عاماً. لذلك من البديهي أن جميع الناس سوف يحبذون هذا العزم الذي سيحققه الله استجابة لصلواتكم.

ونظراً لأنكم قد طلبتم مني أن أقدم وصفاً عن طريقة حياة أنطونيوس المباركة، ولأنكم تريدون أن تعرفوا كيف بدأ نسكه، وأي إنسان كان هو قبل هذا، وكيف ختم حياته، وعما إذا كانت الأخبار التي تروى عنه صحيحة، لكي تقتدوا أنتم أيضاً به، فإنني بكل استعداد قد قبلت تحقيق رغبتكم، لأنني أعتبر أن مجرد ذكريات أنطونيوس عون كبير لي أيضاً وأنا أعرف أنكم عندما تسمعون فإنكم – فضلاً عن الإعجاب بالرجل – سترغبون في الإقتداء بعزمه إذ ترون في حياته أنموذجاً كافياً للنسك. لذلك فلا ترفضوا تصديق ما سمعتموه من أولئك الذين نقلوا إليكم الأخبار بل اعتقدوا بالحري أنهم إنما لم ينبئوكم إلا

بأمور ضئيلة. لأنهم على أي حال يندر أن يكونوا قد أعطوكم تفصيلاً عن موضوع جوهري كهذا ولأنني كطلبكم استعدت من ذاكرتي قليلاً من الظروف عنه، وسأرسل إليكم كل ما أستطيع ذكره في رسالة، فلا تتوانوا عن سؤال من يبحرون من هنا، لأنه إذا ما روى الجميع ما عندهم من أنباء فقد يتعذر أن يكون الوصف مطابقاً للحقيقة، ومن أجل هذا فأنني لدى استلام خطابكم كنت أرغب في استدعاء رهبان معينين، لا سيما الذين رافقوه كثيراً حتى إذا ما علمت منهم أية تفاصيل جديدة بعثت بها إليكم. ولكن نظراً لأن موسم الإبحار قرب على الانتهاء. ونظراً لاستعجال حامل خطابكم لذلك أسرعت في الكتابة إليكم عما أعرفه أنا شخصياً وعما استطعت أن أتعلمه منه لأنني لازمته طويلاً، وسكبت ماء على يديه، وفي كل هذا كنت أذكر هذه الحقيقة أنه يجب أن لا يرتاب المرء إذا سمع كثيراً. ومن الناحية الأخرى يجب أن لا يحتقر الرجل إذا سمع عنه قليلاً.

[١] نشأة أنطونيوس

أود أن تعلموا أن أنطونيوس كان مصرياً بمولده، وكان والده من أسرة طيبة. وكانا يمتلكان ثروة لا بأس بها. ولأنهما كانا مسيحيين فقد تربى هو أيضاً في نفس الإيمان. وفي الطفولة نشأ مع والديه لا يعرف شيئاً آخر سواهما. ولكنه بعد أن كبر وصار صبياً وتقدم في السنين، لم يطق أن يتعلم الحروف و لم يبال بأن يزامل الأولاد الآخرين بل كانت رغبته أن يعيش إنساناً بسيطاً في بيته، وقد تعود حضور الكنيسة مع والديه. و لم يكن طفلاً بليداً ولا احتقرهما لما كبر، بل كان مطيعاً لأبيه وأمه. مصغياً لكل ما كان يقرأ، حافظاً في قلبه ما كان نافعاً مما سمع، ومع أنه كطفل نشأ في حالة متوسطة فإنه لم يتعب والديه بطلب الأشياء الفاخرة، ولا كانت هذه مصدر سعادة له، بل قنع بما وجده و لم يطلب المزيد.

[٢] إن أردت أن تكون كاملاً

وبعد موت أبيه وأمه تُرك وحيداً مع أخت واحدة صغيرة وكان عمره ١٨ أو ٢٠ عاماً، فأُلقيت إليه مسئولية العناية بالبيت والأخت. و لم يمض على وفاة والديه ستة أشهر حتى ذهب ذات يوم كعادته إلى بيت الرب، وفي ذلك اليوم ناجى نفسه وتأمل وهو سائر كيف أن الرسل تركوا كل شيء وتبعوا

المخلص [١]، وكيف ذكر عنهم في أعمال الرسل أنهم باعوا ممتلكاتهم وأتوا بأثمانها ووضعوها عند أرجل الرسل لتوزيعها على المحتاجين [٢]، وكيف وُضعَ لهم رجاء عظيم في السماء. وإذ كان يتأمل في هذه الأمور دخل الكنيسة أثناء قراءة الإنجيل فسمع الرب يقول للغني " **إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ** " [٣]. أما أنطونيوس فكأن تلك الفقرة قُرئت له خصيصاً، وللحال خرج من الكنيسة وأعطى القرويين ممتلكات آبائه، وكانت ثلاثمائة فدان من أجود الأراضي، لكي لا تكون له عثرة في سبيله هو وأخته، وباقي المنقولات باعها، وإذ توفرت لديه أموالاً كثيرة أعطاها للفقراء محتفظاً بالقليل لأخته.

[٣] انفراد أنطونيوس خارج قريته

دخل الكنيسة ثانية وسمع الرب يقول في الإنجيل " **لاَ تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ** " [٤] فلم يستطع البقاء أكثر من ذلك، بل خرج وأعطى تلك الأشياء أيضاً للفقراء. وإذ أودع أخته لبعض

---

(١) مت ٤: ٢٠.
(٢) أع ٣٤، ٣٥.
(٣) مت ١٩: ٢١.
(٤) مت ٦: ٣٤.

العذارى المعروفات الأمينات وذلك في دير [1] لتنشأ فيه، تفرغ للنسك خارج بيته محترساً لنفسه ومدرباً ذاته بالعبر إذ لم تكن هناك إلى ذلك الوقت أديرة [2] كثيرة في مصر، ولم يعرف أي راهب على الإطلاق أي شيء عن البراري البعيدة، بل كان كل من أراد أن يحترس لنفسه أن يتدرب على النسك في عزلة بجوار قريته.

وفي ذلك الوقت كان في القرية المجاورة رجل مسن عاش حياة النسك منذ شبابه، وبعد أن رأى أنطونيوس ذلك الرجل اقتدى به في التقوى. وفي أول الأمر ابتدأ أن يُقيم في أماكن خارج القرية.

وبعد ذلك كان كلما سمع عن رجل صالح في أي مكان خرج يطلبه مسرعاً كالنحلة النشيطة، ولا يرجع إلى مكانه إلا بعد أن يراه. ويعود بعد أن يتزود من صلاح الرجل بالزاد الكافي لارتحاله في طريق الفضيلة، وإذا أقام هناك في بداية الأمر صمم على عدم العودة إلى أماكن إقامة آبائه، بل عقد النية على إكمال النسك، وعلى أي حال فقد كان يعمل بيديه إذ كان قد قرأ أن الكسول لا يأكل [3] وكان ينفق جزءاً لأجل القوت، ويعطي

(1) ولعل المقصود بيت تسكنه العذارى.
(2) والأرجح أن الكلمة تعني صوامع الرهبان.
(3) ٢تس ٣: ١٠.

الجزء الآخر للفقراء. وكان مثابراً على الصلاة، عالماً أن المرء ينبغي أن يُصلي بلا انقطاع [1]. لأنه تمسك بما قرأ بحيث لم يسقط منه إلى الأرض شيء مما كتب، بل تذكر الكل. وبعد ذلك أغنته ذاكرته عن الكتب.

[٤] الاقتداء بالنساك الآخرين

وإذ سلك أنطونيوس هكذا أصبح محبوباً من الجميع. وكان يخضع بإخلاص لكل من زارهم من الرجال الصالحين. وعرف تماماً تفوق كل منهم في الفضيلة والنسك. لاحظ لطف هذا وصلاة ذلك بلا انقطاع، وعرف تحرر هذا من الغضب، ورقة ذاك. لاحظ هذا وهو يسهر وذاك وهو يدرس، أُعجب بهذا من أجل صبره وقوة احتماله، وبذاك من أجل صومه ونومه على الأرض. راقب باهتمام وداعة هذا وطول أناة ذاك. كما لاحظ تقوى الجميع نحو المسيح ومحبتهم المتبادلة. وهكذا إذ امتلأ عاد إلى مكان نسكه. ومن ثم جاهد لاتخاذ صفات كل واحد وتاق لإبراز فضائل الجميع في حياته.

ولم يحاول منافسة نظرائه في السن، سوى في هذا الأمر الواحد، وهو أنه لم يشأ أن يكون أقل منهم في الأمور الأسمى. وهذا فعله بحيث لا يجرح شعور أي واحد، بل جعلهم يسرون له

(1) مت ٦: ٧، ١تس ٥: ١٧.

وهكذا عندما رآه بهذه الحال كل أهل تلك القرية والأشخاص الصالحون الذين تودد إليهم، صاروا يدعونه حبيب الله. ورحب به البعض كابن، وغيرهم كأخ.

[٥] حروب الشياطين

على أن الشيطان الذي يبغض ويحسد الصلاح لم يطق أن يرى مثل هذا الثبات في شاب، بل حاول أن يهجم عليه بمثل ما اعتاد أن يؤثر على الآخرين. ففي بداية الأمر حاول أن يبعده عن النسك هامساً في أذنيه بذكريات ثروته، ومحبة المال، والعناية بأخته، ومطالب الأقارب، ومحبة المجد، وملذات الطعام، وسائر تنعمات الحياة، وأخيراً صعوبة الفضيلة وما تتطلبه من عناء. ثم صوَّر أمامه أيضاً ضعف الجسد وطول الوقت. وبالاختصار أثار في ذهنه خزعبلات كثيرة محاولاً أن يثنيه عن عزمه الثابت. على أن العدو عندما رأى نفسه ضعيفاً أمام عزم أنطونيوس، غُلِّب على أمره بسبب إيمانه العظيم، وخَزيّ بسبب صلواته المستمرة. اعتمد أخيراً على أسلحته التي يفتخر بها، لأنها هي شراكه الأولى للشباب، إذ هاجم الشاب وأزعجه ليلاً وضايقه نهاراً حتى لاحظ الصراع القائم بين الاثنين كل الذين نظروا إليه. فالواحد يصوب سهام الشهوة، والآخر يحمر خجلاً فيحصن جسده بالإيمان والصلوات والصوم. على أن الشيطان التعس اتخذ شكل امرأة في إحدى الليالي وقلد كل حركاتها لإغراء أنطونيوس. أما هو فإذ امتلأ عقله بالمسيح وبما بعثه فيه من نبل، وإذ فكر في روحانية النفس أطفأ جمر خداع الطرف الآخر.

ثم أن العدو حاول أن يجذبه بنشوة الملذات، أما هو فقد فكر كثيراً في الدينونة الرهيبة ثم فكر في المجد الأسنى، وبإشهاره هذه في وجه الخصم جاز التجربة دون أن يُمَس بأذى.

كل هذا كان مصدر خزي لعدوه، لأنه إذا اعتبر نفسه كإله هزأ به شاب، وذاك الذي افتخر على اللحم والدم اضطر أن يهرب أمام إنسان في الجسد. لأن الرب كان يعمل مع أنطونيوس، الرب الذي من أجلنا أخذ جسداً، ووهب الجسد نصرة على إبليس، حتى يستطيع كل من يحارب بإخلاص أن يقول " بِنِعْمَةِ الله أَنَا مَا أَنَا " [1].

[٦] هزيمة إبليس أمام قوة أنطونيوس

وأخيراً عندما عجز التنين عن غلبة أنطونيوس، ووجد نفسه بالحري أنه قد طرد من قلبه، صر على أسنانه، وظهر لأنطونيوس كولد أسود متخذاً شكلاً منظوراً يتفق ولون عقله وتظاهر بالتذلل أمامه، ولم يشأ أن يلح عليه بأي أفكار فيما بعد. وأخيراً تكلم في صوت بشري وقال: لقد خدعت كثيرين ولكنني

---

(١) ١كو ١٥: ١٠.

ضعفت إذا هاجمتك وهاجمت كل جهودك وأتعابك كما هاجمت كثيرين غيرك. وعندما سأل أنطونيوس من أنت يا من تتكلم هكذا معي؟ أجاب بصوت أسيف: أنا صديق الزنى، وقد التحفت بالإغراءات التي تدفع الشبان إليه. أنا أُدعي روح الشهوة، كم خدعت كثيرين الذين أرادوا أن يعيشوا باحتشام وما أكثر العفيفين الذين أقنعتهم بإغراءاتي. أنا الذي من أجلي يوبخ النبي أولئك الذين سقطوا قائلاً: روح الزنى قد أضلكم [1] لأنهم بي قد أعثروا. أنا الذي ضايقتك كثيراً وغُلبت منك كثيراً.

أما أنطونيوس فإذا قدم الشكر لله، قال بكل شجاعة إذاً فأنت حقير جداً لأنك أسود القلب، وضعيف كطفل. ومن الآن فصاعداً لن أجزع منك، لأن الرب معيني وأنا سأرى بأعدائي [2] وإذ سمع هذا، ذلك الأسود، هرب في الحال مرتجفاً من الكلام ولم يجسر حتى على الاقتراب إلى الرجل.

[٧] نسك ومثابرة في الجهاد

كان هذا هو الصراع الأول لأنطونيوس ضد إبليس، أو بالحري كانت هذه النصرة هي عمل المخلص في أنطونيوس إذ **" دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ. لِكَيْ يَتِمَّ حُكْمُ النَّامُوسِ فِينَا**

(١) هو ٤: ١٢.
(٢) مز ١١٨: ٧.

نَحْنُ السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ " [1].

ولكن بالرغم من سقوط الشرير فإن أنطونيوس لم يتراخ في حرصه ولم يستهن به، كما أن العدو لم يكف عن نصب الفخاخ له حتى بعد أن غُلِّبَ منه. فإنه صار يجول حوله كأسد طالباً ضده أي فرصة. أما أنطونيوس فإذ قد تعلم من الكتب أن مكايد إبليس كثيرة [2] استمر في النسك بغيرة معتبراً أنه وإن كان إبليس قد عجز عن خداع قلبه بالملذات الجسدية فقد يحاول أن يصطاده بوسائل أخرى، لأن الشيطان يحب الخطية. من أجل هذا اجتهد أن يقمع جسده أكثر فأكثر ويذله. لئلا بعد أن غَلبَ في إحدى النواحي يُغلَبُ في الأخرى لذلك اعتزم أن يمرن نفسه على نوع من الحياة أشد صرامة. فقد تعجب الكثيرون، أما هو فتحمل التعب بسهولة لأن حماسة الروح التي لازمته طول الوقت أنشأت فيه عادة طيبة حتى أنه أظهر غيرة شديدة في هذه الناحية وإن كان لم يتلق من الآخرين سوى القليل من الإرشادات.

(١) رو ٨: ٣، ٤.
(٢) أف ٦: ١١.

وكان يسهر طويلاً لدرجة أنه كثيراً ما كان يقضي الليل كله مصلياً دون أن ينام، وهذا لم يفعله مرة واحدة بل مراراً حتى عجب منه الآخرون.

وكان يأكل مرة واحدة في اليوم، بعد الغروب وفي كثير من الأحيان مرة كل يومين، وفي بعض الأحيان مرة كل أربعة أيام. أما طعامه فكان الخبز والملح وشرابه الماء فقط. أما عن اللحم والخمر فقد كان مجرد الكلام عنهما يعد ترفاً، طالما كان الأشخاص الآخرون الغيورون لا يتعاطون منهما شيئاً. وكان يكفيه أن ينام على حصير خشنة، ولكنه غالباً كان ينام على الأرض عارية.

وأبى أن يدهن نفسه بالزيت قائلاً أنه يليق بالشبان أن يكونوا جادين في التدريب دون أن يطلبوا ما يلطف الجسد، بل يجب أن يُعوِّدوه على العمل متذكراً كلمات الرسول " **حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ** " [1]. وقال: لأن قوة النفس تكون سليمة عند الإقلال من ملذات الجسد. وقد وصل إلى هذه النتيجة العجيبة حقاً: " أن التقدم في الفضيلة والاعتزال عن العالم من أجلها، يجب أن لا يقاسا بالزمن بل بالرغبة وثبات العزيمة ".

وهو على الأقل لم يبال بالماضي بل كان يوماً فيوماً – كأنه في بداية نسكه – يبذل مجهوداً أشق نحو النمو، مكرراً لنفسه

(1) 2كو 12: 10.

على الدوام قول بولس الرسول " **أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ** " [1] وكان يذكر أيضاً الكلمات التي قالها إيليا النبي " **حَيٌّ هُوَ رَبُّ الْجُنُودِ الَّذِي أَنَا وَاقِفٌ أَمَامَهُ، إِنِّي الْيَوْمَ أَتَرَاءَى لَهُ** " [2]. لأنه لاحظ أن النبي بقوله " اليوم " لم يخص الزمن الذي مضى بل يسعى باهتمام كل يوم، وكأنه على الدوام مبتدئ. لكي يجعل نفسه جديراً بالظهور أمام الله، نقي القلب، مستعداً دائماً للخضوع، لمشورته وله وحده. وقد تعود أن يقول لنفسه أن الناسك ينبغي أن يرى حياته في حياة إيليا العظيم كما في مرآة.

[٨] قسوة حروب الشياطين

وهكذا إذ ضَيَّق أنطونيوس الخناق على نفسه ارتحل إلى المقابر التي تَصادَف أن كانت على بعد من القرية. وإذ طلب إلى أحد معارفه أن يُحضر له خبزاً في فترات متعاقبة، تُعد كل فترة بأيام كثيرة. دخل إلى مغارة، وبقى فيها وحيداً، بعد أن أغلق عليه صديقه الباب. وعندما لم يحتمل العدو هذا، بل بالحري فزع لأن أنطونيوس ملأ البرية بنسكه في فترة وجيزة أتاه في إحدى الليالي مع جمع من الشياطين ومزقه بجلدات حتى ألقاه

(1) في 3: 13.

(2) 1مل 18: 15.

على الأرض فاقد النطق بسبب الألم المبرح. لأنه أكـــد أن الآلام كانت شديدة الوطأة جداً لدرجة أن ضربات أي إنسان لم يكن ممكناً أن تسبب له تلك الآلام. ولكنه بعناية إلهية – لأن الرب لا يتخلى عن مَنْ يرجونه – أتى صديقه في اليوم التالي حاملاً إليه الأرغفة. وإذ فتح الباب رآه ملقى على الأرض، كأنه ميت رفعه وحمله إلى الكنيسة في القرية وأضجعه على الأرض. والتف حول أنطونيوس الكثيرون من أقاربه وأهل القرية كأنهم قد التفوا حول جثة. ولكنه نحو نصف الليل أفاق إلى نفسه وقام؛ وعندما رآهم جميعاً نياماً ورأى أن صديقه وحده هو الساهر معه أومأ إليه أن يحمله ثانية إلى القبور دون إيقاظ أحد.

[٩] تحديه للشيطان

لذلك حمله الرجل. وعندما أغلق الباب صار وحده كعادتـــه. ولم يستطع الوقوف بسبب الضربات، بل صلى وهو راقد. وبعد أن صلى قال بصوت عال: أنا أنطونيوس لا أهرب من جلداتك، فإنك إن ضربتني ضربات أوفر فلن تستطيع أن تفصلني عـــن المـــسيح [1] وبعد ذلك رنَّم " **إِنْ نَزَلَ عَلَيَّ جَيْشٌ لاَ يَخَافُ قَلْبِي** " [2] كانت هذه هي أفكار وكلمات هذا الناسك.

(1) رو ٨: ٣٥.
(2) مز ٢٧: ٣.

أما العدو مبغض الصلاح إذ تعجب من تجاسره على العودة بعد الضربات فقد دعا كلابه معه وانفجر قائلاً: أنتم ترون أننا لم نقو على الرجل، لا بروح الشهوة ولا بالضربات، فإنه لم يبال بنا، فلنهجم عليه بطريقة أخرى، على أن تغيير الشكل من أجل الشر هين على إبليس، لذلك اصطنعوا في الليل رنيناً حتى بـــدا كأن المكان قد هزه زلزال، وبدا كأن الشياطين قـــد حطمـــت جدران المسكن الأربعة ودخلت منها، آتية في شكل الـــدواب والزحافات. وامتلأ المكان بغتة من أشكال الأســـود والفهـــود والثيران والحيتان والأفاعي والعقارب والذئاب، وكان كل منهم يتحرك كطبيعته. صار الأسد يزأر يريد الهجوم وبدأ الثور كأنه يهز بقرنيه والحية تتلوى ولكنها لا تستطيع الاقتراب والذئب إذ هجم صُدَّ، وهكذا كانت أصوات الأشباح في ثورتها مخيفة. أما أنطونيوس فإذ ضربته ونطحته هذه الوحوش أحس بآلام جسدية أشد، وعلى أي حال فإنه كان يرقب وهو مضطجع ولم تتزعزع نفسه وسط آلامه الجسدية، على أن عقله كان صاحياً، وقـــال هازئاً: لو كانت فيكم أية قوة لكان يكفي أن يأتي واحداً منكم، ولكن لأن الرب قد جعلكم ضعفاء فإنكم تحاولون أن تفزعوني بكثرة عددكم، والدليل على ضعفكم اتخاذكم شكل البهائم غير الناطقة. ثم قال أيضاً بجرأة: إن كنتم قادرين، ولكم سلطة عليَّ،

فلا تتأخروا عن الهجوم، أما إن كنتم غير قادرين فلماذا تتعبونني باطلاً، لأن الإيمان بربنا حصن وسور أمان لنا. وهكذا بعد محاولات كثيرة صروا بأسنانهم عليه، لأنهم كانوا يهزأون بأنفسهم وليس به.

[١٠] الرب يتراءى للمعونة

ثم أن الرب لم ينس صراع أنطونيوس، بل كان قريباً لمعونته وهكذا إذ تطلع إلى فوق رأى السقف كأنه قد انفتح وأشعة من نور نازلة إليه، وللحال اختفت الشياطين، وانقشع ألم جسده، وعاد البناء سليماً. أما أنطونيوس فإذ أحس المعونة، وتنفس الصعداء ثانية، وتحرر من الألم، طلب إلى الرؤية التي ظهرت إليه قائلاً: أين كنت؟ لماذا لم تظهر في البداية لتضع حداً لآلامي؟ فأتاه الصوت قائلاً: **يا أنطونيوس لقد كنت هنا ولكنني انتظرت لأرى جهادك، ولأنك احتملت ولم تغلب فسأكون عوناً لك أبداً**، وأجعل اسمك معروفاً في كل مكان. وإذ سمع أنطونيوس هذا قام وصلى، ونال قوة بحيث أدرك أن جسده صار أشد قوة من قبل، وكان عمره وقتئذ نحو خمسة وثلاثين عاماً.

[١١] نصرة جديدة على الشيطان

وفي اليوم التالي خرج أشد ميلاً لخدمة الله، وإذ التقى بالشيخ الذي سبق أن قابله طالباً منه أن يسكن معه في البرية، ولكن

عندما رفض الشيخ بسبب كبر سنه، ولأنه لم تكن هنالك عادة كهذه في ذلك الوقت، قصد أنطونيوس الجبل في الحال. ومع ذلك فإن العدو إذا رأى غيرته ثانية وأراد صدها ألقى في طريقه ما بدا كأنه طبق فضي كبير. أما أنطونيوس فإذ رأى مكر الشيطان، وبعد أن تطلع إلى الطبق خجل الشيطان به قائلاً: كيف يأتي طبق في البرية؟ ليس هذا الطريق مطروقاً، ولا توجد هنا آثار لأي عابر، ولا يمكن أن يكون قد سقط دون أن يحس به صاحبه وذلك بسبب كبر حجمه، وإن كان قد فقده أحد فلابد له من العثور عليه إن عاد للبحث عنه لأن المكان قفر، هذه حيلة من إبليس. أيها الشرير ليس بهذا تصدني عن قصدي، فلتذهب إلى الهلاك [1] وإذ قال أنطونيوس هذا انقشع الطبق كالدخان أمام النار.

[١٢] الشيطان يغريه بالذهب

بعد ذلك أيضاً سار فرأى في هذه المرة ما لم يكن خيالياً بل ذهباً حقيقياً مبعثراً في الطريق. وتبين للشرير أن أنطونيوس لم يكن يبالي بالمال يقيناً، فقد تعجب أنطونيوس من عظم الكمية، ولكنه جاز مقابله كأنه سائر فوق نار. ولم يلتفت يمنة أو يسرة، بل أسرع راكضاً لكي لا يعود يبصر المكان. وإذ ازداد ثباتاً في

(١) أنظر أع ٨: ٢٠.

عزمه أكثر فأكثر أسرع إلى الجبل وعندما وجد حصناً مهجوراً منذ مدة طويلة لدرجة أنه كان ممتلئاً بالزحافات وكان على ضفة النهر المقابلة، عبر النهر إليه وسكن هناك أما الزحافات فقد غادرت المكان في الحال كأنما قد طاردها شخص ما.

على أنه بنى المدخل وأكمله واختزن أرغفة لمدة ستة أشهر، وهذه عادة أهل طيبة وكثيراً ما حفظوا الأرغفة سنة كاملة، وإذ وجد مياهاً داخله نزل كأنه ذاهب إلى مزار، وسكن فيه بمفرده، دون أن يخرج منه قطعاً أو يتطلع إلى أي شخص جاء إليه، وهكذا قضى وقتاً طويلاً في تدريب نفسه، وكان يتقبل الأرغفة التي تُدلَّى إليه من فوق مرتين في السنة.

[١٣] صمت ووحدة حقيقيين

على أن معارفه الذين أتوا إليه، كان لا يأذن لهم بالدخول، ولذلك كثيراً ما كانوا يقضون أياماً وليالي خارجاً، ويسمعون صوتاً كجلبة وضوضاء جماهير في الداخل، يطنون ويبعثون أصواتاً أسيفة صارخين: غادر مكاننا. أنَىَ لك أن تأتي حتى إلى البرية؟ إنك لا تستطيع أن تقوى على هجومنا، وفي بداية الأمر ظن هؤلاء الذين من خارج أن هناك أشخاصاً يحاربونه وأنهم دخلوا بسلم، ولكنهم لما انحنوا إلى أسفل ونظروا من ثقب ولم يروا أحداً، خافوا وحسبوهم شياطين، فنادوا أنطونيوس،

وللحال سمعهم ولو أنه لم يدع الشياطين تستحوذ على تفكيره. وإذ أتى نحو الباب رجاهم أن ينصرفوا ولا يخافوا قائلاً لأن الشياطين توجه هجماتها المنظورة إلى الجبناء، إذاً فارسموا أنفسكم بعلامة الصليب وانصرفوا بشجاعة ودعوا هؤلاء يسخرون من ذواتهم، وهكذا انصرفوا متحصنين بعلامة الصليب. أما هو فلبث دون أن تمسه الأرواح الشريرة، بأي أذى كما أنه لم يتعبه النضال المستمر عندما أتته لمعونته رؤى من الأعالي. أما ضعف العدو فقد أراحه من تعب كثير وسلحه بغيرة أشد لأن معارفه طالما أتوا إليه متوقعين أن يجدوه ميتاً، فكانوا يسمعونه مترنماً: " **يَقُومُ اللهُ. يَتَبَدَّدُ أَعْدَاؤُهُ وَيَهْرُبُ مُبْغِضُوهُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِهِ. كَمَا يُذْرَى الدُّخَانُ تُذْرِيهِمْ. كَمَا يَذُوبُ الشَّمْعُ قُدَّامَ النَّارِ يَبِيدُ الأَشْرَارُ قُدَّامَ اللهِ** " [1] وأيضاً " **كُلُّ الأُمَمِ أَحَاطُوا بِي. بِاسْمِ الرَّبِّ أُبِيدُهُمْ** " [2]

[١٤] ٢٠ عاماً منوحداً، يعقبها شركة وخدمة

وهكذا ظل زهاء عشرين عاماً يدرب نفسه في الوحدة، لا يخرج قطعاً، ويندر أن يراه أحد. بعد هذا لما كثر الذين أرادوا برغبة حارة أن يقلدوا نسكه، ولما أتى معارفه وبدأوا يقتحمون

---

(١) مز ٦٨: ١، ٢.

(٢) مز ١١٨: ١٠.

الباب، خرج إليهم متعمقاً في الأسرار وممتلئاً بروح الله. ولأول مرة رؤى خارج الحصن من أولئك الذين أتوا لرؤيته، وعندئذ تعجبوا من المنظر عندما رأوه، لأنه كانت له نفس هيئة جسمه السابقة، فلم يكن بديناً كرجل بغير تمرين، ولا نحيفاً هزيل الجسم بسبب الصوم والصراع مع الشياطين، بل كان كما عهدوه قبل اعتزاله.

ثم أن نفسه كانت أيضاً بلا لوم، فلم تكن منقبضة من أي حزن، ولا مطلقة العنان في الملذات العالمية، ولم يستولَ عليها الضحك أو الكآبة. لأنه لم يفزع لما رأى الجماهير المزدحمة، ولم تأخذه نشوة السرور والاغتباط لما حياه أشخاص كثيرون كهؤلاء، بل كان رابط الجأش كشخص يحكم عقله، كما كان في حالة طبيعية، وبه شفي الرب أسقام الكثيرين الجسدية ممن كانوا حاضرين، وطهر آخرين من الأرواح الشريرة.

وأعطيت نعمة لأنطونيوس في الكلام، حتى أنه عزى الكثيرين من الحزانى، ووحد بين المتخالفين، حاثاً الجميع على تفضيل محبة المسيح عن كل ما كان في العالم، وإذا كان يحثهم وينصحهم على أن يذكروا الخيرات العتيدة ورحمة الله من نحونا، " **الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ** " [1]

(1) رو ٨: ٣٢.

أقنع الكثيرين لاعتناق حياة الوحدة، وهكذا حدث أخيراً أن أُقيمت الصوامع حتى في الجبال، وعمرت البرية بالرهبان الذين خرجوا عن شعبهم وسجلوا أنفسهم ضمن سكان السماء.

[١٥] تزايد الرهبان حوله

ولكنه لما اضطر إلى عبور ترعة أرسينا [1] – وكان الداعي إلى هذا افتقاد الإخوة – كانت الترعة مليئة بالتماسيح، وبمجرد الصلاة دخلها هو وكل من معه، وجازوا في أمان. وإذا عاد إلى صومعته عاد إلى نفس رياضاته النبيلة الباسلة، وبأحاديثه المستمرة ألهب الغيرة في أولئك الذين كانوا رهباناً فعلاً، وبعث في نفوس أغلب الباقين حب النسك، وسرعان ما تكاثرت الصوامع مع جاذبية كلماته، وأرشدهم جميعاً كأب.

[١٦] تعاليمه الرهبانية

وفي أحد الأيام إذ خرج، لأن جميع الرهبان اجتمعوا إليه وطلبوا أن يسمعوا كلماته، وخاطبهم باللغة المصرية قائلاً: " إن الأسفار المقدسة كافية للتعلم " [2] ولكنه جميل تشجيع الواحد لآخر في الإيمان وإنهاضه بالكلام لذلك أطالبكم كبنين أن تحملوا ما تعرفونه إلى أبيكم، وأنا كأخيكم الأكبر أشارككم معرفتي

(1) بين النيل والفيوم.

(2) أنظر الرسالة إلى الوثنيين ١.

رما علمني إياه الاختبار. **ليكن الهدف العام للجميع بصفة خاصة أن لا تتراجعوا بعد أن بدأتم، أو تخور عزائمكم في الضيق.** ولا تقولوا: لقد عشنا طويلاً في النسك بل بالحري لتزداد غيرة كأننا كل يوم مبتدئين، لأن كل حياة الإنسان قصيرة جداً إن قيست بالدهور القادمة، ثم إن كان زماننا ليس شيئاً إن قيس بالحياة الأبدية. وفي العالم كل شيء يباع بثمنه، والإنسان يبادل السلعة بنظيرها، أما وعد الحياة الأبدية فيشترى بأمر زهيد جداً لأنه مكتوب " أيام حياتنا هي سبعون سنة وإن كانت مع القوة فثمانون سنة وما زاد على هذه فهو عناء وحزن " [1] لذلك فحينما نعيش ثمانين سنة كاملة أو حتى مائة في النسك فإننا لا نملك [2] مائة سنة فقط بل نملك إلى الأبد بدلاً من مائة سنة. ورغم أننا جاهدنا على الأرض فإننا لا ننال ميراثنا على الأرض بل ننال المواعيد في السماء. وإذا ما خلعنا الجسد الفاسد نسترده غير فاسد.

[١٧] مفهومه عن حياة الترك

لذلك يا أبنائي يجب أن لا نكل، أو نحسب الزمن طويلاً أو أننا نعمل أمراً عظيماً " **أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ**

(١) مز ٩٠: ١٠٠ حسب الطبعة البيروتية.
(٢) أو نصير ملوكاً.

بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا " [1]. كذلك يجب أن لا نظن ونحن ننظر إلى العالم أننا قد تركنا شيئاً ذا أهمية كبيرة، لأن كل الأرض تافهة جداً إذا قيست بالسماء. وحتى لو كنا أسياداً على الأرض وتركناها كلها فإنها لا تُقاس بالمرة بملكوت السماء. لأنه كما أن الإنسان يحتقر درهماً من نحاس لكي يربح مائة درهم من ذهب هكذا لو كان سيداً لكل الأرض وتركها فإن ما يتركه زهيد وينال مائة ضعف. إن كانت كل الأرض لا توازي السماوات في قيمتها فإن من يترك أفدنة قليلة كأنه لم يترك شيئاً حتى إن كان قد ترك بيتاً أو ذهباً وفيراً وجب ألا يفتخر أو يكتئب.

والأكثر من هذا يجب أن ندرك بأننا حتى إن لم نتركها من أجل الفضيلة فإننا فيما بعد حينما نموت سوف نتركها وراءنا — في غالب الأحيان — لمن لا نحب، كما يقول الجامعة [2]. إذاً فلماذا لا نتركها من أجل الفضيلة لكي نرث ملكوتاً؟

لهذا يجب أن لا تتملك على أي واحد رغبة الامتلاك، لأنه أي ربح نجتنيه من الحصول على تلك الأشياء التي لا نستطيع أخذها معنا؟ ولماذا لا نحصل بالحري على تلك التي نستطع أخذها معنا: الحكمة، والتعقل، والعدل، والاعتدال، والشجاعة،

(١) رو ٨: ١٨.
(٢) جا ٤: ٨، ٦، ٢.

والفهم، وعدم ترحمه على الفقراء، والإيمان بالمسيح، والتحرر من الغضب، وكرم الضيافة؟ إن امتلكنا هذه وجدناها من تلقاء ذاتها تعد لنا ترحيباً هناك في أرض الودعاء.

[١٨] حديثه عن الجهاد المستمر

وهكذا على المرء أن يقنع نفسه من أمثال هذه الأمور بأن لا يستخف بها [1] لا سيما إذا عرف أنه هو نفسه خادم الرب، ويجب أن يخدم سيده. وكما أن الخادم لا يتجاسر على القول: لن أعمل عملاً اليوم لأنني عملت بالأمس، ولن أعمل عملاً في المستقبل نظراً لما عملته في الماضي، ولكنه كما هو مكتوب يظهر كل يوم نفس الاستعداد لإرضاء سيده وتجنب الخطر. هكذا يجب علينا كل يوم أن نلبث ثابتين في نسكنا، عالمين بأننا إن تغافلنا يوماً واحداً لا يغفر لنا الرب من أجل الماضي، بل يغضب علينا من أجل تغافلنا، كما سمعنا أيضاً في حزقيال [2]، وكما أضاع يهوذا تعبه السابق بسبب ليلة واحدة.

[١٩] لنحذر التراخي والاهمال

لذلك يا أبنائي وجب أن نتمسك بنسكنا وأن لا نتغافل، لأن الله عمل معنا فيه، كما هو مكتوب **أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ**

(١) أي الفضيلة.
(٢) حز ١٨: ٢٦.

تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ [1]. ولكن لكي نتجنب حركة التراخي والإهمال يحسن بنا أن نتذكر كلمة الرسول " **أَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ** " [2]. لأننا نحن أيضاً إن كنا نعيش كأنما نُمات كل يوم يجب أن نعتبر بأننا سوف لا نقوم. لأن حياتنا غير مؤكدة بطبيعة الحال، والعناية الإلهية تهبها لنا كل يوم. إن رتبنا حياتنا اليومية على هذا المنوال فلن نسقط في الخطية، أو نشتهي أي شيء أو نحقد على أحد، أو نكدس أي كنز على الأرض، بل – كأننا نتوقع الموت كل يوم – نكون بلا ثروة، ونغفر كل شيء لكل الناس ولن تكون لنا على الإطلاق شهوة للنساء أو لأية لذة قذرة أخرى بل نتحول عنها كأنها قد عبرت وولت، ونجاهد دواماً متطلعين بصفة مستمرة إلى " يوم الدينونة " لأن الخوف من العذاب يحمينا من الشهوات ويدعم النفس إن كانت على وشك السقوط.

[٢٠] النفس وديعة الرب، فلنحفظها

وإذ قد بدأنا السير في طريق الفضيلة فعلاً، وسرنا فيه، وجب أن نزداد جهاداً للحصول على تلك الأمور التي أمامنا ويجب أن لا يلتفت أي امرئ إلى الأمور التي خلفه كامرأة لوط،

(١) رو ٨: ٢٨.
(٢) ١كو ١٥: ٣١.

لا سيما وقد قال الرب: " **لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ** " [1] وهذا الالتفات إلى الوراء ليس إلا الشعور بالندم والتفكير في العالم مرة أخرى. لكن لا تخافوا من أن تسمعوا عن الفضيلة، ولا يدهشكم اسمها، فهي ليست بعيدة عنا، ولا هي خارجة عنا، بل هي في داخلنا. وهي ميسورة لو أننا أردنا. لكي يحصل اليونانيون على المعرفة فإنهم يعيشون في الخارج ويعبرون البحار، أما نحن فلا داعي لكي نرتحل عن أوطاننا من أجل ملكوت السماوات، أو نعبر البحار من أجل الفضيلة. لأن الرب سبق أن قال: " **مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ** " [2].

وطالما كانت الفضيلة فينا وتنشأ منا، لذلك فإنها لا تتطلب منا سوى الإرادة. لأنه إذا أدت النفس وظيفتها الروحية في حالة طبيعية نشأت الفضيلة. وهي تكون في حالة طبيعية إذا لبثت كما أتت إلى الوجود إذ كانت جميلة ومتزايدة في النبل، لأجل هذا قال يشوع بن نون للشعب في نصحه: " **أَمِيلُوا قُلُوبَكُمْ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ** " [3]، وقال يوحنا: " **اصْنَعُوا سُبُلَهُ**

---

(1) لو ٩: ٦٢، في ٣: ١٣، تك ١٩: ٢٦.
(2) لو ١٧: ٢١.
(3) يش ٢٤: ٢٣.

مُسْتَقِيمَةً " [1]، لأن تقويم النفس يتضمن جعل ناحيتها الروحية في حالتها كما خلقت. ولكنها من الناحية الأخرى إن انحرفت وتباعدت عن حالتها الطبيعية فهذا ما يدعى رذيلة النفس.

وهكذا نرى أن المسألة ليست عسيرة فإننا إن لبثنا كما خلقنا صرنا في حالة الفضيلة، أما إذا فكرنا في الأمور السافلة حُسبنا أشراراً. ولذلك لو كان هذا الأمر لابد من الحصول عليه من الخارج لكان عسيراً حقاً أما إن كان فينا فلنحفظ أنفسنا من الأفكار الدنسة، كما أننا قبلنا النفس وديعة فلنحفظها للرب لكي يدرك أن عمله هو بعينه كما خلقه.

[٢١] احذروا أعدائنا الماكرين

ولنحرص على أن لا يتملك علينا الغضب أو تغلبنا الشهوة لأنه مكتوب " **لأَنَّ غَضَبَ الإِنْسَانِ لاَ يَصْنَعُ بِرَّ اللَّهِ، ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبِلَتْ تَلِدُ خَطِيَّةً، وَالْخَطِيَّةُ إِذَا كَمُلَتْ تُنْتِجُ مَوْتاً** " [2]. وإذ نعيش هكذا فلنأخذ كل حذرنا، وكما هو مكتوب " **فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ** " [3] لأن لنا أعداء مروعين في غاية الدهاء — الأرواح

---

(1) مت ٣: ٣.
(2) يع ١: ٢٠، ١٥.
(3) أم ٤: ٢٣.

الشريرة – ومصارعتنا معها كما قال الرسول " **لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ، عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ** " [1]. وما أكثر عددها في الهواء المحيط بنا [2] وهي ليست بعيدة عنا. ويمكن ذكر الكثير عن طبيعتها والفوارق التي بينها، على أن وصفاً كهذا يترك لغيرنا ممن هم أقدر منا، أما في هذا الوقت فمن المحتم والضروري لنا أن نعرف فقط حيلها ضدنا.

[٢٢] موهبة تمييز الأرواح

لذلك يجب أولاً أن نعرف هذا، أن الشياطين لم تُخلق بالحالة التي نعنيها، عندما ندعوها بذلك الاسم لأن الله لم يخلق شيئاً شريراً، بل حتى هي خُلقت صالحة، ولكنها إذ سقطت من الحكمة السماوية فإنها منذ ذاك الوقت تعيث في الأرض فساداً. فهي قد أضلت الأمم بحبائلها المختلفة، ثم أنها بسبب حسدها لنا نحن المسيحيين تحرك الأشياء بحسب هواها لصدنا عن دخول

(١) أف ٦: ١٢.

(٢) ليس هذا رأي أثناسيوس نفسه الذي يعتبر أن الهواء قد تنقى من الأرواح الشريرة بموت المسيح بالنسبة للمؤمنين، على أن أثناسيوس لم يقصد أن يقول بأن سلطانها على الأشرار قد بطل كما أن أنطونيوس لم ينسب إليها أي سلطة على المسيحيين.

السماويات، لكي لا نصعد إلى المكان الذي منه سقطت. وهكذا تدعو الحاجة إلى الصلاة والنسك حتى – وإذا حصل المرء على موهبة تمييز الأرواح – بالروح القدس – كانت له القدرة على معرفة مميزاتها ويدرك الشرير منها، ويفهم ما هي طبيعة جهاد كل منها وكيف يمكن دحر وطرح الفاسد منها خارجاً، لأن خبثها وحيلها كثيرة، ولقد عَرّفَ الرسول المغبوط أمثال هذه الأمور حينما قال: " **لأَنَّنَا لاَ نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ** " [1]. أما نحن فمهما قاسيناه على أيديها من التجارب وجب أن نُصلح من شأن بعضنا بعضاً. ولذلك فإنني أتحدث كما إلى خاصتي عن أمور لديَّ البرهان عليها باختبارات عملية.

[٢٣] لا تخف من إغراءات إبليس

ولذلك إن رأت الشياطين كل المسيحيين، لا سيما الرهبان، مجدين بابتهاج ومتقدمين فإنها أولاً تهجم بالتجربة وتضع الصعاب لعرقلة طريقها، وتحاول أن تنفث فينا الأفكار الشريرة ولكن لا مبرر للخوف من إغراءاتها لأن هجومها يرتد خائباً في الحال بالصلاة والصوم والإيمان بالرب. ولكنه حتى إن ارتدت خائبة فإنها لا تسكت، بل ترجع ثانية بمكر وخبث ودهاء. فهي إن عجزت عن خداع القلب باللذات الدنسة صراحة، اقتربت

(١) ٢كو ٢: ١١.

مختفية في صور متعددة، ومن ثَمَ حاولت أن تبعث الرعب والفزع مغيرة أشكالها، ومتخذة صوراً متعددة متباينة ولكن حتى إذا ظهرت بهذه المظاهر لكم، فإنها ليست شيئاً ولابد أن تختفي في الحال، لا سيما إن كان المرء قد سبق فحصنَّ نفسه بالإيمان وعلامة الصليب. ومع ذلك فإنها إن غُلبت على أمرها هكذا هجمت بكيفية أخرى، وادعت التنبؤ بالمستقبل وذلك لكي تخدع بهذه المظاهر من لم ينخدع.

[٢٤] إبليس كذاب ومخادع

ثم قال إنها كثيراً ما ظهرت كما كشف الرب إبليس لأيوب قائلاً: " **عَيْنَاهُ كَهُدْبِ الصُّبْحِ مِنْ فَمِهِ تَخْرُجُ مَصَابِيحُ. شَرَارُ نَارٍ تَتَطَايَرُ مِنْهُ مِنْ مِنْخَرَيْهِ يَخْرُجُ دُخَانٌ كَأَنَّهُ مِنْ قِدْرٍ مَنْفُوخٍ أَوْ مِنْ مِرْجَلٍ نَفَسُهُ يُشْعِلُ جَمْراً وَلَهِيبٌ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ** " [1] وعندما يظهر رئيس الشياطين على هذا المثال، فإن المحتال الكثير الدهاء – ينفث الرعب بالتكلم بعظائم كما استذنبه الرب قائلاً لأيوب " **يحسب الحديد كالتبن والنحاس كخشب النخر. يحسب البحر كقدر عطارة وعمق الهاوية كأسير والهاوية كطريق مغطى** " [2]. وقال

(١) أي ٤١: ١٨ – ٢١.

(٢) أي ٤١: ٢٧ –الخ

النبي " **قَالَ الْعَدُوُّ: أَتْبَعُ أُدْرِكُ** " [1] وقال آخر أيضاً: " **أقبض على كل الأرض في يدي كعش، وأجمعها كما يجمع بيض مهجور** " [2].

وهكذا نرى بالإيجاز افتخارها وادعاءاتها لكي تخدع الأتقياء ولكن مع كل ذلك يجب علينا نحن المؤمنين أن لا نخاف مظهره أو نأبه بكلماته، لأنه كاذب، ولا يتكلم كلمة واحدة صادقة على الإطلاق. ورغم تعظمه في تبجحه بكلمات هذه كثرها فإنه " **بلا شك اصطيد بشص كتنين** " [3]، " **وأُوثقت خياشيمه بخزامة كهارب. وثُقبت شفتاه بمثقب** " [4] وقد أوثقه الرب كعصفور لكي نهزأ به. وقد وُضعت معه الشياطين رفقاءه كحيات وعقارب نطأها نحن المسيحيين تحت الأقدام. والدليل على هذا إننا نعيش الآن بالرغم منه. لأن هذا الذي هدد بأن يُجفف البحر ويقبض على العالم، هوذا الآن لا يستطيع أن يثبت أمام نسك الأتقياء، ولا أمامي إذ أتكلم ضده. إذاً فلا نأبه بكلماته لأنه كذاب. ولا نخش رؤياه إذ أنها في حد ذاتها خادعة.

(١) خر ١٥: ٩.

(٢) إش ١٠: ١٤.

(٣) أي ٤١: ١. (بواسطة المخلص).

(٤) أنظر أي ٤٠: ١٩ – ٢٤.

لأن ما يظهر فيها ليس نوراً حقيقياً بل هي بالأحرى مقدمة وعينة للنار المعدة للشياطين التي تحاول إزعاج البشر بتلك اللهب التي سوف تحترق فيها. لا شك في أنها تظهر، ولكنها في لحظة تختفي ثانية دون أن تُؤذي أحداً من المؤمنين بل تحمل معها شبه تلك النار التي سوف تنالها هي نفسها، لأجل هذه الأسباب لا يليق بنا أن نخشاها، فكل محاولتها فاشلة بنعمة المسيح.

[٢٥] لا تجزع من أشكال العدو

ثم أيضاً هي مخادعة وهي مستعدة لتغيير نفسها في كل الأشكال واتخاذ كل المظاهر، وهي أيضاً دون أن تظهر، كثيراً ما قلدت نغمات القيثار وصوت المزمار ورددت كلمات الكتاب المقدس. وفي وقت آخر تتخذ شكل الرهبان وتتظاهر بكلام القديسين لعلها بأشباههم تخدع فرائسها وتجرها حيث أرادت. **ولكن يجب أن لا يُؤبه لها، حتى إذا أوعزت إلينا أن لا نأكل على الإطلاق، أو وبختنا وخجلتنا من أجل تلك الأمور التي أباحها لنا في الماضي. لأنها لا تفعل هذا من أجل التقوى والحق بل لكي تحمل البسطاء على اليأس** ولكي تقول أن النسك لا فائدة منه. وتجعل الناس يكرهون حياة الوحدة كأمر شاق وحمل ثقيل وتعطل أولئك الذين يسلكون فيها بالرغم منها.

[٢٦] أفكار إبليس باطلة وإن تكلمت بالحق

والرب نفسه، حتى مع تَكلُّم الشياطين بالحق، حين قالت " **أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ** " [1]، كمم أفواهها ولم يدعها تتكلم لئلا تزرع شرها مع الحق، ولكي يُعوّدنا أن لا نبالي بها على الإطلاق حتى إذا بدا أنها تتكلم بالحق، لأنه لا يليق بنا بعد الحصول على الأسفار المقدسة والحرية من المخلص أن نتعلم من إبليس الذي لم يحفظ رتبته بل انتقل من فكر إلى آخر. ولذلك فمع استعماله لغة الكتاب المقدس فقد منعه الرب قائلاً: " **وَلِلشِّرِّيرِ قَالَ اللهُ: مَا لَكَ تُحَدِّثُ بِفَرَائِضِي وَتَحْمِلُ عَهْدِي عَلَى فَمِكَ** " [2].

قال المخلص: " **إبليس قتال للناس من البدء وأب الرذيلة** " [3] بالرغم من هذا فإننا نعيش ونقضي حياتنا متزايدين في مقاومته فمن الواضح أنها عديمة القوة، فهي تنظر إلينا كأصدقاء حتى تعفو عنا، ولا هي محبة للصلاح حتى تصلح من شأنها وتعدل عن رأيها، بل هي بالعكس شريرة ولا تسعى وراء شيء سوى جرح من يحبون الفضيلة ويتقون الله ولكن نظراً لأنها

---

(١) لو ٤: ٤١.

(٢) مز ٥٠: ١٦.

(٣) يو ٨: ٤٤.

لا قوة لها لعمل شيء، فإنها لا تفعل شيئاً سوى الوعيد. فلو كانت قادرة لما ترددت، بل فعلت الشر في الحال (لأن كل رغبتها منصرفة ضدنا).

هوذا نحن الآن مجتمعون معاً، ونتكلم ضدها، وهي تعرف بأننا كلما تقدمنا ازدادت ضعفاً. فلو كانت لديها قوة لما سمحت لأي واحد منا نحن المسيحيين أن يعيش، " **لأن التقوى مكرهة الخاطئ** " [1].

[٢٧] شجاعة القديسين قدوة لنا

لذلك أبكَم الرب أفواه الشياطين، وخليق بنا إذ قد تعلمنا من القديسين أن نفعل مثلهم ونقتدي بشجاعتهم لأنهم عندما كانوا يرون هذه الأمور كانوا يقولون " **وَأَمَّا أَنَا فَكَأَصَمَّ لاَ أَسْمَعُ. وَكَأَبْكَمَ لاَ يَفْتَحُ فَاهُ. وَأَكُونُ مِثْلَ إِنْسَانٍ لاَ يَسْمَعُ** " [2].

لذلك ينبغي أن لا نصغى للشياطين حتى لو أيقظتنا للصلاة أو تكلمت عن الصوم ولا ننخدع بهم حتى لو هددونا بالموت فهم ضعفاء ولا يقدرون أن يفعلوا شيئاً سوى التهديد.

---

(1) يشوع بن سيراخ ١: ٢٥.

(2) مز ٣٨: ١٣، ١٤.

[٢٨] شياطين بلا قوة

ومنذ افتقاد الرب الأرض سقط العدو وضعفت قوته — وإن الشيطان إذ لم يستطع أن يفعل شيئاً فإنه كطاغية لم يحتمل سقوطه بهدوء بل هدد، مع أن تهديداته لم تكن سوى كلمات " **لأنه كذاب وأبو كل كذاب** ".

طالما نحن لا نزال أحياء، ونقضي حياتنا في مقاومته بقوة أشد، فواضح أنها قوى ضعيفة عديمة القوة، ولا تسعى وراء شيء سوى جرح من يحبون الفضيلة ويتقون الله، وكلما تقدمنا أكثر فأكثر تجرح نفسها أكثر إذ لا تستطيع أن تتمم تهديداتها.

[٢٩] شيطان ضعيف حقاً

ولكن إن قال واحد وهو يذكر قصة أيوب: لماذا إذاً خرج إبليس وتمم كل شيء ضده، وجرده من كل ممتلكاته، وقتل بنيه وضربه بقروح ردية؟ فليذكر مثل هذا من الناحية الأخرى أن إبليس لم يكن هو القوي بل الله الذي سمح له أن يستلم أيوب لامتحانه. يقيناً أنه لم تكن لديه قوة لعمل شيء، ولكنه طلب، وإذا أُجيب إلى طلبه فعل ما فعل، وبهذا نفسه يكون ضعف العدو إذ أنه لم يقدر على شخص بار واحد. لأنه لو كانت له قوة لما طلب الإذن. أما وقد طلب لا مرة واحدة بل مرات فقد بَيَّن ضعفه وافتقاره إلى القوة. وليس عجيباً إن عجز عن أن يفعل

شيئاً ضد أيوب. إن الهلاك لم يحل حتى بمواشيه لو لم يكن الله سمح بذلك وليس لديه سلطان على الخنازير لأنه مكتوب في الإنجيل أن الشياطين طلبت من الرب قائلة " **فَأْذَنْ لَنَا أَنْ نَذْهَبَ إِلَى قَطِيعِ الْخَنَازِيرِ** " [1]. فبالأولى جداً ليس لها سلطان على البشر الذين قد تكونوا على صورة الله.

[٣٠] احتقر الشياطين

إذ أوجب أن نخاف الله فقط، ونحتقر الشياطين، ولا نرهبها إذ أنها تخشى الصوم، والسهر والصلوات، والوداعة، والهدوء، واحتقار المال والمجد الباطل ومحبة المساكين والصدقة وتحرر النساك من الغضب، وفوق الكل تقواهم نحو المسيح. لذلك فهي تفعل كل شيء لكي لا يكون هناك من يطؤها إذ تعرف النعمة المعطاة للمؤمنين ضدها بواسطة المخلص حينما قال " **هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَاناً لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ** " [2].

[٣١] الشيطان عاجز عن التنبؤ للغد

وإن ادعت التنبؤ بالمستقبل وجب أن لا يلتفت إليها أحد، فمثلاً قد تعلن مقدماً أن الإخوة قادمون بعد بضعة أيام فيأتون

(١) مت ٨: ٣١.

(٢) لو ١٠: ١٩.

فعلاً. وعلى أي حال فإن الشياطين لا تفعل هذا لاهتمامها بالسامعين، بل لكي تنال ثقتهم، وبعد ذلك تهلكهم إذ تستحوذ عليهم في سلطتها. لهذا لا يجب أن نصغي إليها بل بالحري أن نخرسها إذ تتكلم، فنحن لسنا في حاجة إليها، بل أي عجب إن كانت وهي بأجسادها الأكثر دهاء من أجساد البشر [1] عندما ترى الإخوة يبدأون أسفارهم تتقدم عليهم بسرعة وتعلن مجيئهم وكما أن راكب الحصان عندما يسبق السائر على قدميه يعلن مقدماً قدومهم هذا الآخر، كذلك لا داعي للتعجب منها في هذا الصدد. لأنها لا تعرف شيئاً لم يوجد بعد في الوجود، ولكن الله وحده هو الذي يعرف كل الأشياء قبل ولادتها. أما هذه فإنها تركض أولاً وتعلن ما ترى. فقد أعلنت فعلاً خدمتنا للكثيرين، أعلنت أننا مجتمعون معاً نتناقش في بعض الإجراءات ضدها، وذلك قبل أن يستطيع أي واحد منا أن يذهب ويُنبئ بهذه الأمور. والواقع أن هذا ما يستطيع فعله أي فتى رشيق الحركة عندما يسبق شخصاً أقل حركة. ولكن ما أقصده هو هذا: أنه إن بدأ شخص يسير من طيبة أو من أي منطقة أخرى

(١) هذه الفقرة المادية عن الشياطين قد تكون مستقاة من آراء أوريجانوس وغيره ولكنها ليست فكرة أثناسيوس، أو لعل المقصود الأجساد التي تتخذها أحياناً.

فإنها قبل أن يبدأ المسير لا تستطيع معرفة اتجاه مسيره. ولكنها عندما تراه سائراً تُسرع وتُعلن اقتراب وصوله قبل أن يصل. وهكذا يحدث أن يصل المسافرون بعد ذلك ببضعة أيام. ولكن كثيراً ما يحدث أن السائرين يرجعون فيتضح كذب الشياطين.

هكذا أيضاً فيما يختص بمياه النهر، فالشياطين في بعض الأحيان تعطي بيانات خاطئة فإذ هي ترى أمطاراً كثيرة في مناطق إثيوبيا، وهي تعرف أنها سبب فيضان النهر، فإنها تسرع وتعلن الأمر قبل وصول المياه إلى مصر. وهذا ما يستطيع البشر أن يخبروا به لو كانت لهم نفس قوة الركض كالشياطين.

[٣٢] أكاذيب شيطانية خادعة

هكذا انتشرت في الأيام الماضية أقوال الوثنيين الذين أضلتهم الشياطين. على أن ضلالتهم قد وُضعت عند حد بمجيء الرب، الذي أبطل مكايدهم. لأنها لا تعرف شيئاً من تلقاء ذاتها، بل كلصوص تعرف ما يتصادف أن تعرفه ممن تمر بهم، وهي لا تتنبأ بالحوادث بل بالحري تتكهن.

ولذلك فإن تكلمت بالصدق أحياناً وجب أن لا يتعجب أحد من هذا. فالأطباء المحنكون أيضاً إن رأوا مرضاً واحداً في أشخاص مختلفين كثيراً ما ينبئون به ويكشفون عنه بخبرتهم وربابنة السفن والملاحون لتعودهم على الجو يستطيعون بنظرة

واحدة بسيطة أن يخبروا عن حالة الجو ويتنبأون إن كان الجو سيصير عاصفاً أو لطيفاً. ولن يستطيع أحد القول إنهم يفعلون هذا بوحي أو إلهام، إنما من الاختبار والتمرين.

وهكذا إن فعلت الشياطين نفس الأمر بالتكهن فلا يتعجب أحد من الأمر أو يصغي إليها. لأنه أية منفعة للسامعين أن يعرفوا منها قبل الوقت ما سوف يحدث؟ أو أية أهمية أن نعرف مثل هذه الأمور حتى ولو كانت المعرفة صحيحة؟ فهي ليست ثمرة الفضيلة، ولا هي أية علامة على الصلاح. لأنه لا يدان أحدنا بسبب ما لا يعرفه ولا يقال عن أحد أنه مبارك لأن لديه علماً ومعرفة، بل يدعى كل واحد للدينونة في هذه الناحية: هل حفظ الإيمان واتبع الوصايا بحق؟

[٣٣] لا نطلب معرفة المستقبل

يجب ألا نصلي لكي نعرف المستقبل، أو نطلب هذه المعرفة كأجر لنسكنا، بل لتكن صلاتنا لكي يكون الرب معنا معيناً لنا للنصرة على إبليس، وإن حدث أننا رغبنا مرة في معرفة المستقبل لمجد الله فلنكن طاهري الذهن، لأنني أعتقد أنه إن تطهرت النفس تماماً وكانت في حالتها الطبيعية، استطاعت أن

ترى أكثر وأبعد من الشياطين لنقاوة نظرها، ولأن الرب يعلن لها كنفس أليشع التي رأت جيوش الملائكة واقفة بجوارها [1].

[٣٤] أهمية علامة الصليب والصلاة

وحتى إن مدحت الشياطين نسككم ودعتكم كمباركين فلا تصغوا إليها ولا تكن لكم معاملات معها، بل بالأحرى ارشموا ذواتكم وبيوتكم بعلامة الصليب وصلوا فتجدوها قد انقشعت. لأنها في غاية الجبن، وتخشى دائماً علامة صليب الرب طالما كان الرب قد جردها بالحق وأشهرها جهاراً [2]. أما إذا ثبتت بلا خجل، مغيرة هيئتها وشكلها فلا تخشوها، ولا تزعجوا، ولا تستمعوا إليها كأنها أرواح صالحة لأنه بمساعدة الله يسهل تمييز وجود الخير أو الشر. فرؤية القديسين لا تقترن بالذهول والحيرة **" لأنهم لا يخاصمون ولا يصيحون ولا يسمع أحد في الشوارع صوتهم** [3]. إذ تأتي بهدوء ورقة حتى أنه للحال يحل في النفس الفرح والبهجة والشجاعة لأن معهم الرب الذي هو فرحنا، فتبقى أفكار النفس غير مضطربة أو مزعجة، إذ تتملكها محبة الإلهيات ومحبة الأشياء العتيدة. ولكن إن كان البعض —

(١) ٢مل ٦: ١٧.
(٢) كو ٢: ١٥.
(٣) مت ١٢: ١٩، أنظر أيضاً إش ٤٢: ٢.

وهم بشر — يخافون رؤية الصالحين، فإن الذين يظهرون يتزعون الخوف في الحال كما فعل جبرائيل في حالة زكريا [1] وكما فعل الملاك الذي ظهر للنسوة عند القبر المقدس، وكما فعل ذاك الذي قال للرعاة في الإنجيل " **لا تخافوا** " [2] فخوفهم لم ينشأ عن الجبن، بل عن الإحساس بحضور كائنات أعلى. إذاً فهذه هي طبيعة رؤية الصالحين.

[٣٥] الأرواح الشريرة تثير الاضطراب

أما إغارات الأرواح الشريرة ومظاهراتها فتكون مقترنة بالاضطراب والطنين، وأصوات وصراخ، كالشغب الذي يحدث من الصبية الأردياء. ومن ذلك ينشأ الخوف في القلب والاضطراب في الفكر والكآبة وكراهية الذين يعيشون حياة النسك، وعدم المبالاة والحزن وتذكر الأهل والخوف من الموت، وأخيراً الرغبة في الشرور، وعدم احترام الفضيلة والعادات غير المستقرة.

لذلك فكلما رأيتم أي شيء وخفتم، فإن انتزع خوفكم في الحال وحل محله الفرح الذي لا يعبر عنه والغبطة والشجاعة والقوة المتجددة وهدوء الفكر وكل ما ذكرته سابقاً والجرأة والمحبة من نحو الله، فتشجعوا وصلوا. لأن الفرح واستقرار النفس

(١) لو ١: ١٣.
(٢) لو ٢: ١٠.

وطمأنينتها تدل على قداسة ذاك الذي حل. هكذا فرح إبراهيم عندما رأى الرب [1] ويوحنا المعمدان أيضاً فرح عند سماع صوت مريم [2] حاملة الله. أما إذا حدث عند ظهور أي شخصية اضطراب وصخب ومظاهر عالمية وتهديد بالموت وما إلى ذلك فاعلموا أن هذا هجوم من الأرواح الشريرة.

[٣٦] اذهب عني يا شيطان

ولتكن هذه أيضاً علامة لكم، إذا ما بقيت النفس مترعجة كان هذا معناه وجود الأعداء. لأن الشياطين لا تترع الخوف المنبعث من حلولها، كما فعل رئيس الملائكة العظيم جبرائيل مع مريم وزكريا، وكما فعل ذاك الذي ظهر للنسوة عند القبر، ولكنها بالحري كلما رأت الناس خائفين ازدادت في طغيانها لكي يزدادوا خوفاً، وفي آخر هجوم تهزأ بهم قائلة حروا واسجدوا. هكذا أضلت الوثنيين، وهكذا اعترفوا بها آلهة، زوراً وبهتاناً. أما الرب فلم يسمح لنا بأن يضلنا إبليس لأنه كلما صوَّب نحوه ضلالات كهذه انتهره قائلاً اذهب عني يا شيطان **" لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ "** [3].

(1) يو ٨: ٥٦.
(2) لو ١: ٤٤.
(3) مت ٤: ١٠.

إذاً فلنحتقر المضل أكثر فأكثر، لأن ما قاله الرب، فعله من أجلنا حتى إذا ما سمعت الشياطين منه كلمات مماثلة هربت من قبل الرب الذي انتهرها بتلك الكلمات.

[٣٧] عمل الآيات ليس من اختصاصها

ثم لا يليق الافتخار بإخراج الشياطين، ولا الانتفاخ بشفاء الأمراض. كذا لا يليق أن يرفع شأن من يُخرج الشياطين، أو أن يُحقَر من شأن من لا يخرجها، بل ليعرف المرء نسك كل واحد، **لأن عمل الآيات ليس من اختصاصنا بل هو عمل المخلص**، ولذا فقد قال لتلاميذه **" لاَ تَفْرَحُوا بِهَذَا أَنَّ الأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ "** [1] لأن كتابة أسمائنا في السماوات دليل على حياتنا الفاضلة، أما إخراج الشياطين فهو هبة من المخلص، أما أولئك الذين افتخروا بالآيات لا بالفضيلة وقالوا: **" يَا رَبُّ يَا رَبُّ أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ "** [2] فقد أجابهم **" الحق أقول لكم إني لا أعرفكم "**، لأن الرب لا يعرف طريق الأثمة لكن يجب علينا أن نصلي دوماً، كما قلت آنفاً،

(1) لو ١٠: ٢٠.
(2) مت ٧: ٢٢.

لكي نحصل على موهبة تمييز الأرواح، حتى كما هو مكتوب " لا نصدق كل روح " [1]

[٣٨] هجوم منكرر للشياطين

كنت أود أن لا أطيل الكلام، ولا أقول شيئاً من عندي اكتفاء بما ذكرت، ولكن لئلا تظنوا أنني أتكلم كيفما اتفق، أو أخبط عشوائياً أو تتوهموا أنني أسرد هذه التفاصيل بدون خبرة أو بعيداً عن الصواب لأجل هذا، ولو صرت كغبي إلا أن الرب الذي يسمع يعرف نقاوة ضميري، وأنني لست من أجل نفسي بل من أجل محبتكم لي وإجابة لطلبكم أخبركم مرة أخرى ما رأيته من تصرفات الأرواح الشريرة. فكم من مرة دعتني مغبوطاً فانتهرها باسم الرب، كم من مرة تنبأت بارتفاع النهر فأجبتها " ما لكم به ". ومرة أتتني مهددة، وأحاطت بي مسلحة تمام التسليح. ومرة أخرى ملأت البيت خيلاً وحيوانات برية وزحافات، هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل، أما نحن باسم الرب نفتخر [2]، وعند الصلاة هربت بقوة الرب. ومرة أتت في الظلام وقالت " أتينا لنقدم لك نوراً يا أنطونيوس ". أما أنا فأغمضت عيني وصليت، وللحال انطفأ نور الأشرار، وبعد ذلك ببضعة

(١) ١يو ٤: ١.

(٢) مز ٢٠: ٧.

شهور أتت كأنها ترنم المزامير، وتتحدث بكلمات الكتاب أما أنا فكأصم لم أسمع [1]. ومرة هزت الصومعة بزلزلة، ولكنني استمررت أصلي بقلب لا يتزعزع. بعد هذا جاءت ثانية مزمجرة تصفر وترقص. ولكن إذ صليت واضطجعت مرنماً المزامير لنفسي بدأت للحال تبكي وتنتحب، كأن قوتها قد خانتها. على أنني أعطيت المجد للرب الذي أذلها ودحر قوتها وجرأتها.

[٣٩] ثبات في الرب أمام هجمات شيطانية

ومرة جاءني شيطان طويل القامة جداً، وظهر في عظمة وفخامة وتجاسر أن يقول: " أنا قوة الله، وأنا العناية الإلهية، كل ما أردته أعطيتك " أما أنا فنفخت فيه، ونطقت باسم المسيح، وللحال اختفى هو وكل شياطينه أمام اسم المسيح رغم ضخامة حجمه. ومرة أخرى إذ كنت صائماً أتى مليئاً بالمكر في شكل راهب ومعه شبه أرغفة ونصحني قائلاً: كُلْ وكُفْ عن أتعابك الكثيرة. أنت أيضاً إنسان، وقد تعرض نفسك للمرض، أما أنا فإذ أدركت حيلته قمت للصلاة ولكنه لم يحتمل ذلك، لأنه انصرف وخرج من الباب كدخان.

وكم من مرة أظهر لي في الصحراء ما يشبه الذهب، حتى ألمسه مجرد لمس وأتطلع إليه، ولكنني رتلت المزامير ضده فاختفى.

(١) مز ٣٨: ١٤.

وكثيراً ما أراد ضربي بجلدات، فكنت أكرر مراراً وتكراراً لن يفصلني شيء عن محبة المسيح [1]. ولم أكن أنا الذي صددها وحطمت قوتها، بل الرب الذي قال: " رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق " [2]، أما أنا يا أبنائي فإذ تذكرت كلمات الرسول حولت هذا تشبيهاً إلى نفسي [3] لكي تتعلموا أن لا تخوروا في النسك أو تخشوا إبليس أو أضاليل الشيطان.

[٤٠] مجيء المسيح حطم قوة إبليس

وإن كنت قد صرت غبياً بسرد هذه الأمور فاقبلوا هذا أيضاً كمساعد على نجاتكم وعدم خوفكم، وصدقوني لأنني لست أكذب. مرة قرع واحد باب صومعتي، وإذ خرجت وجدت شخصاً طويلاً كبير الحجم. ولما سألته من أنت، قال أنا الشيطان. ولما قلت له لماذا جئت هنا؟ أجاب لماذا يلومني الرهبان وسائر المسيحيين بغير حق؟ لماذا يلعنونني كل ساعة؟ عندئذ أجبت ولماذا تضايقهم؟ فقال لست أنا الذي أضايقهم بل هم الذين يضايقون أنفسهم، لأنني قد أصبحت ضعيفاً. ألم يقرأوا:

(1) رو ٨: ١٥.
(2) لو ١٠: ١٨.
(3) ١كو ٤: ٦.

تلاشت سيوف العدو وأنت أخربت المدن [1]، ليس لي فيما بعد مكان، أو سلاح أو مدينة، فالمسيحيون منتشرون في كل مكان، وأخيراً امتلأت حتى الصحراء بالرهبان فليحترسوا لأنفسهم ولا يلعنونني بغير حق. عندئذ عجبت من نعمة الرب وقلت له: أنت كذاب دائماً ولا تقول الصدق قط، وهذا قلته بالصدق أخيراً رغم إرادتك. لأن مجيء المسيح جعلك ضعيفاً، وهو قد طرحك إلى أسفل وجردك. أما هو فقد اختفى إذ سمع اسم المخلص، ولم يستطع أن يحتمل لهيبه.

[٤١] تأمل في الإلهيات واحتقار الشياطين

وإن كان إبليس قد اعترف أن قوته قد تلاشت وجب أن نحتقره وشياطينه احتقاراً تاماً. وطالما كان العدو وكلابه ليس لها سوى حيل من هذا القبيل فإننا إذ عرفنا ضعفها نستطيع احتقارها، إذاً وجب أن لا تخور عزائمنا، أو يتسرب الجبن إلى قلوبنا، أو نصور المخاوف لأنفسنا قائلين: أنا خائف لئلا يأتي شيطان ويحطمني، لئلا يرفعني إلى أعلا ويطرحني إلى أسفل، أو لئلا يثور على بغتة فيزعجني.

مثل هذه الأفكار يجب أن لا تخطر ببالنا قطعاً، ويجب أن لا نحزن كأننا قد هلكنا. بل بالأحرى لنتشجع ونفرح دواماً واثقين

(1) مز ٩: ٦.

أننا آمنون. لنذكر في نفوسنا أن الرب معنا، الذي طارد الأرواح الشريرة وحطم قوتها. لنذكر ولنضع في قلوبنا أنه طالما كان الرب معنا فإن أعداءنا لن يستطيعوا إيذاءنا. لأنها عندما تأتي تقترب إلينا في صورة تتفق مع الحالة التي نحن فيها [1] وتجعل خداعها موافقاً للحالة الفكرية التي تخامرنا. فهي إن وجدتنا في حالة جبن واضطراب، اقتحمت المكان في الحال كلصوص إذ تجده بغير حراسة. وتفعل ما تجدنا مفكرين فيه بل وأكثر أيضاً. لأنها إن وجدتنا خائري القلوب وجبناء ازدادت في إرهابنا بعنف بتضليلاتها وتهديداتها. وبهذه تتعذب النفس التعسة من ذلك الحين. أما إن وجدتنا فرحين في الرب، متأملين في سعادة المستقبل متكلين عليه باستسلام تام وواثقين أنه لا قوة لأي روح شرير ضد المسيحي ولا أي سلطان على أي واحد قطعاً. فإنها إن رأت النفس متحصنة بهذه الأفكار اندحرت ورجعت إلى الوراء. هكذا عندما رأى العدو يهوذا غير متيقظ أخذه أسيراً.

وهكذا إن أردنا احتقار العدو فلنتأمل دواماً في الإلهيات، ولتفرح النفس في الرجاء. وعندئذ نرى فخاخ الشيطان كالدخان، والأرواح الشريرة نفسها تهرب من أمامنا بدلاً من أن تتابعنا، لأنها كما قلت شديدة الخوف جداً، تتوقع دائماً النار المعدة لها.

(1) هذه ملاحظة هامة تتفق مع علم النفس.

[٤٢] اختبروه فيجزع ويهرول هارباً

ولعدم الخوف منها تمسكوا بهذه العلامة الأكيدة: كلما ظهر لكم شبح فلا يستولى عليكم الخوف، بل مهما كانت شخصيته اسألوا أولاً بجسارة: من أنت، ومن أين أتيت؟ فإن كانت الرؤية للقديسين طمأنوكم، وبَدَّلوا خوفكم إلى فرح، أما إن كانت الرؤية من إبليس ضعف في الحال إذ يرى ثباتكم العقلي. لأن مجرد السؤال: من أنت، ومن أين أتيت؟ [1] برهان على عدم اكتراثكم. بسؤال كهذا عرف ابن نون من هو معينه، كما أن دانيال لم يترك العدو دون توجيه السؤال إليه [2].

[٤٣] حديثه القوي أثر في حياة الرهبان

وبينما كان أنطونيوس يتحدث بهذا الكلام كان الجميع مغتبطين. وفي البعض زادت محبة الفضيلة، وفي الآخرين طُرح جانباً الإهمال والتراخي وتلاشى الغرور من غيرهم. واقتنع الجميع بضرورة احتقار هجمات الشرير، وعجبوا بالنعمة المعطاة لأنطونيوس من قبل الرب لتمييز الأرواح. وهكذا صارت صوامعهم في الجبال كهياكل مقدسة مكتظة بجماعة الأتقياء الذين كانوا يرنمون المزامير، ويحبون القراءة ويصومون ويصلون

(1) يش ٥: ١٣.

(2) سوسنة ٥١: ٥٩.

ويفرحون برجاء الأمور العتيدة، ويكدون في إعطاء الصدقة، ويحتفظون بمحبة بعضهم البعض والوفاق بعضهم مع البعض. وحقاً لقد كان ممكناً رؤية أرض منعزلة مليئة بالتقوى والعدل لأنه لم يكن فيها فاعل شر، أو مظلوم بل بدلاً من ذلك جماهير من النساك، والهدف الوحيد للجميع هو الفضيلة وهكذا كان كل من يرى هذه الصوامع ثانية ويرى مثل هذا النظام الجميل بين الرهبان، كان يرفع صوته ويقول: " **مَا أَحْسَنَ خِيَامَكَ يَا يَعْقُوبُ مَسَاكِنَكَ يَا إِسْرَائِيلُ! كَأَوْدِيَةٍ مُمْتَدَّةٍ. كَجَنَّاتٍ عَلَى نَهْرٍ. كَشَجَرَاتِ عُودٍ غَرَسَهَا الرَّبُّ. كَأَرْزَاتٍ عَلَى مِيَاهٍ** " [1].

[٤٤] أخضع جسده لروحه

وعلى أي حال فإن أنطونيوس كعادته رجع منفرداً إلى صومعته، وازداد في نسكه، وتنهد يومياً كلما فكر في مساكن السماء إذ ركز فيها رغبته، ومفكراً في قِصَر حياة الإنسان. وكان يأكل وينام، ويُتمم سائر المطالب الجسدية الضرورية بخجل عندما كان يفكر في مواهب النفس الروحية. وعندما كان يشرع في الأكل مع نساك آخرين ويتذكر الطعام الروحي كثيراً ما كان يعتذر ويتنحى عنهم معتبراً أن رؤية الآخرين له وهو

(1) عدد ٢٤: ٥، ٦.

يأكل أمر يدعو إلى الخجل. وعلى أي حال فقد اعتاد أن يأكل الكفاف عندما كان يأكل منفرداً، أو مع الإخوة. وقد اعتاد أن يقول أنه خليق بالمرء أن يعطي كل وقته لروحه لا جسده. ومع ذلك فليعط وقتاً قصيراً للجسد لقضاء حاجياته الضرورية. ولكنه يجب عليه تكريس كل الباقي للنفس، وطلب منفعتها، لكي لا تنجذب بملذات الجسد، بل بالعكس لكي يخضع الجسد للنفس. لأن هذا ما قاله المخلص " **لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا. لَكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ وَهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ.** " [1].

[٤٥] خدمته وسط الشهداء بالإسكندرية

بعد هذا حلّ بالكنيسة الاضطهاد [2] الذي حدث أيام مكسيميانوس وعندما أُقتيد الشهداء الأطهار إلى الإسكندرية تبعهم أيضاً أنطونيوس تاركاً صومعته وقائلاً: لنذهب نحن أيضاً حتى إذا دُعينا كافحنا أو نظرنا المكافحين. وقد تاق إلى

(1) مت ٦: ٢٥، ٣١ - ٣٣، لو ١٢: ٢٩.

(2) من السنة ٣٠٣ - ٣١١م.

الاستشهاد، ولكنه إذ لم يشأ تسليم نفسه، خدم المعترفين في المناجم والسجون. وكان من شدة الغيرة،متواجداً في ساحة القضاء لكي يبعث الهمة في نفوس الذين دُعوا للجهاد. أما الذين دُعوا للاستشهاد فكان يقبلهم ويسندهم في طريقه حتى يكملوا، وإذ رأى القاضي عدم خوف أنطونيوس ورفقائه وغيرهم في هذا الصدد أمر بأن لا يظهر راهب في ساحة القضاء أو يبقى في المدينة على الإطلاق. ولذلك وجد جميع الباقين أنه من الأصلح أن يختبئوا في ذلك اليوم، أما أنطونيوس فلم يبال كثيراً بذلك الأمر، حتى أنه غسل ثوبه ووقف طوال اليوم التالي في مكان مرتفع أمامهم، وظهر في أحسن حالة أمام الوالي. ولذلك فعندما تعجب من هذا جميع الباقين ورأى الوالي لباسه عندما مر به ووجده واقفاً غير خائف، مظهراً استعدادنا نحن المسيحيين، لأنه كما قدمت كان يصلي أن يكون هو نفسه شهيداً، ولذلك فكان يبدو عليه كأنه حزين لعدم حمل شهادته. على أن الرب حفظه لأجل فائدتنا وفائدة الآخرين، لكي يكون معلماً للكثيرين عن النسك الذي تعلمه من الكتب المقدسة، لأن الكثيرين رغبوا أن يقتدوا بطرقه بمجرد رؤيتهم لطريقة حياته. وهكذا خدم المعترفين ثانية، وتعب في الخدمة كأنه شريكهم في الأسر.

[٤٦] كل الوقت للروح وليس للجسد

وعندما كف الاضطهاد أخيراً وحمل المغبوط الأسقف بطرس شهادته، انصرف أنطونيوس. واعتزل ثانية في صومعته وبقي هناك مناضلاً في جهاد الإيمان. وصار نسكه أشد صرامة، لأنه كان دائم الصوم، يلبس لباساً من الشعر في الداخل، أما اللبس الخارجي فكان من الجلد، وهكذا احتفظ به إلى نهاية حياته.

[٤٧] يشفي أمراضاً وهو معتزلاً

لذلك فإنه عندما اعتزل أنطونيوس، واعتزم أن يُحدد وقتاً يخرج بعده ولا يقبل أي شخص، آتاه مرتنيان، " ضابط حربي وأقلق راحته لأنه كانت له ابنة معذبة بروح شرير. ولكنه إذ يقرع الباب وقتاً طويلاً، وطلب منه أن يخرج ويصلي إلى الله أجل ابنته لم يحتمل أنطونيوس أن يفتح بل تطلع إليه من أعلى وقال: يا إنسان لماذا تناديني أنا أيضاً إنسان مثلك. ولكن آمنت بالمسيح الذي أعبده فاذهب وحسب إيمانك صلِّ فيكون لك. وللحال انصرف مؤمناً وداعياً المسيح فخرج إبليس من ابنته. وأشياء كثيرة أخرى عن طريق أنطونيوس عملها الرب الذي قال " اسألوا تعطوا " [٢] لأن الكثيرين من المتألمين كا

---

(١) استشهد في ٢٥ نوفمبر ٣١١م.

(٢) لو ١١: ٩.

ينامون خارج صومعته عندما كان يرفض فتح بابه، فشفوا بإيمانهم وصلواتهم الصادقة.

[٤٨] القديس يتوحد بالصحراء الداخلية

ولكنه عندما رأى نفسه محاطاً بالكثيرين، ولم يحتمل الانسحاب عنهم وفقاً لما قرره، وإذ امتلأ قلبه خوفاً بسبب الآيات التي عملها به الرب لئلا ينتفخ أو يفتكر فيه أحد فوق ما ينبغي أن يفتكر، فكر في الأمر ملياً، واعتزم الذهاب إلى طيبة العليا بين من لا يعرفونه. وإذ تقبّل بضعة أرغفة من الإخوة جلس على شاطئ النهر لعله يجد سفينة يستقلها حتى إذا اعتلاها صعد في النهر معهم. وبينما هو يفكر في هذه الأمور جاءه الصوت من فوق: يا أنطونيوس إلى أين تذهب ولماذا؟ أما هو فلم يضطرب قط، ولكنه إذ تعود أن يسمع مثل هذه الدعوة كثيراً، أصغى إليها وأجاب قائلاً: طالما كانت الجموع لا تسمح لي بالهدوء فإنني أريد الذهاب إلى طيبة العليا بسبب المعطلات الكثيرة التي ألقاها هنا، ولا سيما أنهم يطلبون مني أموراً تفوق طاقتي.

ولكن الصوت قال له: حتى إن ذهبت إلى طيبة، أو حتى إن نزلت إلى بوكوليا [1] كما يخطر ببالك فسوف تحتمل أتعاباً أوفر بل تتضاعف أتعابك الحالية، أما إن كنت ترغب حقيقة في

(1) Bucolia في الوجه البحرى.

الهدوء فارتحل الآن إلى الصحراء الداخلية. وعندما قال أنطونيوس: ومن يريني الطريق لأني لا أعرفه، أشار الصوت في الحال إلى بعض أشخاص كانوا مزمعين الذهاب في ذلك الطريق، وهكذا تقدم أنطونيوس واقترب منهم وسألهم ليذهب معهم في الصحراء. فقبلوه بكل ارتياح، وكأنهم قد تلقوا الأمر من العناية الإلهية. وإذا ارتحل معهم ثلاثة أيام وثلاث ليال وصل إلى جبل عال جداً، وعند سفح الجبل جرى ينبوع صاف ينبوع مياهه عذبة وباردة جداً. وفي الخارج كان هناك سهل وقليل من أشجار النخيل مهملة.

[٤٩] حياة جديدة في الصحراء الداخلية

عندئذ أحب أنطونيوس المكان كأنه مسوقاً إليه من الله إذ كان هو الموقع الذي أشار إليه ذاك الذي تكلم معه على شاطئ النهر وهذا إذ تقبل أولاً بضعة أرغفة من زملائه المسافرين معه لبث في الجبل منفرداً ولم يكن معه أحد. وإذ اعتبره بيتاً له لبث فيه بقية الأيام التالية.

أما الرحالة فإذا رأوا غيرة أنطونيوس تعمَّدوا السفر من ذلك الطريق فيما بعد، وأحضروا إليه أرغفة بكل فرح، وفي نفس الوقت كان يأخذ من النخيل قليل من البلح. ولما عرف الإخوة المكان بعد هذا حرصوا على إمداده بالطعام كأبناء يعنون

بأبيهم. ولكن عندما رأى أنطونيوس أن الخبز سَبَبَ تعباً ومشقة للبعض منهم، فإنه لكي يوفر هذا على الرهبان اعتزم أن يطلب من بعض الذين أتوا إليه أن يحضروا إليه جاروفاً وفأساً وقليلاً من الحنطة. ولما أُحضرت هذه بحث الأرض المحيطة بالجبل وبالعثور على بقعة صغيرة من الأرض الصالحة فلّحها، ولما وجد كمية مياه وافرة للري زرعها. فعل هذا عاماً بعد عام فحصل على خبزه بهذه الكيفية، وفرح لأنه لم يعد عبأ على أحد، ولأنه حفظ نفسه غير ثقيل.

ولكنه بعد هذا إذ رأى أن الناس أتته زرع قليلاً من الخضروات؛ حتى يجد كل من أتاه قليلاً من الغذاء بغير عناء السفر الشاق.

على أن وحوش البرية في بداية الأمر كانت تأتي بسبب الماء وكثيراً ما أتلفت بذاره وزراعته، أما هو فأمسك بإحداها برقة ولطف وقال لجميعها، لماذا تسيء إليَّ وأنا لم أسيء إلى أحد منكم. انصرفي وباسم الرب لا تقربي هذا المكان. ومن ذلك الوقت فصاعداً لم تقترب من المكان كأنها قد خشيت أمره.

[٥٠] الشيطان يقاومه في الجبل الشرقي

هكذا كان وحده في الجبل الداخلي، يصرف وقته في الصلاة والنسك أما الإخوة الذين كانوا يخدمونه فطلبوا منه أن يأتوا كل

شهر، ويحضروا إليه زيتوناً وبقولاً وزيتاً، لأنه كان وقتئذ تقدم في السن.

حينئذ صرف حياته هناك، واحتمل مصارعة عنيفة " ليس مع لحم ودم " [١] كما هو مكتوب، بل مع الشياطين المقاومة، كما علمنا ممن زاروه لأنهم هناك سمعوا شغباً وأصواتاً كثيرة وفرقعة كأنها فرقعة أسلحة. وفي الليل رأوا الجبل مليئاً بالوحوش البرية، كما رأوا أنطونيوس أيضاً مجاهداً كأنه يجاهد ضد كائنات منظورة، ومصلياً ضدها، وكل الذين أتوه شجعهم. وإذ كان يجثو ويجاهد ويصلي إلى الرب.

ويقيناً أنه كان أمراً عجيباً أن شخصاً وحيداً في برية كهذه لم يخش لا الشياطين التي هاجمته، ولا وحشية الوحوش ذوات الأربع، والزحافات لأنها كانت كثيرة جداً. ولكنه حقاً كما هو مكتوب " **توكل على الرب مثل جبل صهيون** " [٢] بإيمان لا يتزعزع ولا يضطرب، حتى أن الشياطين هربت منه بالجري، ووحوش البرية سالمته كما هو مكتوب [٣].

---

(١) أف ٦: ١٢.
(٢) مز ١٢٥: ١.
(٣) أي ٥: ٢٣.

[٥١] يقاوم حيل الشيطان منتصراً

كان إبليس كما يقول داود في المزامير [1] يراقب أنطونيوس ويصر عليه أسنانه. أما أنطونيوس فكان متعزياً بالمخلص، واستمر سالماً من حيله ومكائده المختلفة. كان يسهر بالليل فيرسل عليه إبليس وحوشاً برية. وخرجت كل ضباع تلك البرية تقريباً من مغايرها وأحاطت به. وكان في وسطها يهدده كل واحد بالهجوم. وإذ رأى هذه الحيلة من العدو قال لها كلها: إن كان لك سلطان عليَّ فإنني مستعد أن تلتهميني أما إن كنت قد أرسلت عليّ من قبل الشياطين فلا تمكثي انصرفي لأنني عبد للمسيح. وعندما قال أنطونيوس هذا هربت، كما لو أنها ضُرِبَت بالسياط.

[٥٢] الشيطان يظهر له كوحش

وبعد ذلك بأيام قليلة، كان يعمل، لأنه حرص على أن يؤدي عملاً شاقاً، فوقف واحد بالباب وشد الضفيرة التي كان يعملها، لأنه اعتاد أن يصنع سلالاً يعطيها لمن أتوا بدلاً مما أحضروه إليه. وإذا انتصب رأى وحشاً له شكل إنسان حتى فخذيه، ولكن له سيقان وأقدام كالحمار أما أنطونيوس فإنه إنما رشم ذاته بعلامة الصليب وقال: أنا عبد للمسيح، فإن كنت قد أُرسلت إليَّ فها أنذا هنا. ولكن الوحش هرب وأرواحه الشريرة،

---

(1) مز ٣٥: ١٦.

حتى أنه بسبب سرعته سقط على الأرض. وكان سقوطه إيذاناً بفشل الشياطين، لأنها بذلت كل جهد؛ بكل الطرق لإبعاد أنطونيوس عن البرية فلم تقدر.

[٥٣] يفجر مياهاً من الجبل بصلاته

سُئل مرة من الرهبان أن ينزل ويزورهم في مساكنهم، فارتحل مع أولئك الذين أتوا إليه، وحملوا الأرغفة والماء على جمل لأن كل تلك البرية مقفرة، وليس فيها على الإطلاق مياه صالحة للشرب سوى في ذلك الجبل الذي منه كانوا يستقون المياه، والذي كانت توجد فيه صومعة أنطونيوس. ولذلك عندما أعوزهم المياه في الطريق، واشتدت الحرارة صاروا جميعاً في خطر شديد. لأنهم لما تجولوا في التُخم المجاورة ولم يجدوا ماء لم يستطيعوا أن يتقدموا خطوة واحدة بل استلقوا على الأرض وصرفوا الجمل بعد أن استولى عليهم اليأس. أما الشيخ فإذ رأى أنهم جميعاً قد أحدق بهم الخطر، أنَّ [1] بحزن عميق، وانصرف عنهم مسافة قليلة وجثا على ركبتيه وبسط يديه وصلى وللحال جعل الرب المياه تنفجر حيث وقف يصلي، وهكذا شرب الجميع وانتعشوا.

---

(1) تنهد

وملأوا أوعيتهم وبحثوا عن الجمل حتى وجدوه، لأن الحبل تصادف أن علق بحجر فرُبط به الجمل فساقوه وسقوه ووضعوا الأوعية على ظهره وأتموا رحلتهم بسلام. وعندما أتى إلى الصوامع الخارجية حيّاه الجميع ناظرين إليه كأب، وهو أيضاً كأنه آت إليهم بالغوث، حيّاهم بكلماته وأعطاهم نصيباً من المساعدة. وصار فرح في الجبال ثانية، وغيرة نحو التقدم، وتعزية بالإيمان المتبادل وقد فرح أنطونيوس أيضاً عندما رأى غيرة الرهبان، لا سيما عندما وجد أخته قد شاخت في العذراوية، وأنها أيضاً كانت تقود غيرها من العذارى.

[٥٤] تعاليمه تملأ الجبل وتنهض الرهبنة

وهكذا بعد بضعة أيام ذهب ثانية إلى الجبل. ومن ذلك الوقت لجأ إليه الكثيرون. وتجاسر غيرهم من المرضى على الدخول وكل الرهبان الذين أتوا إليه كان يقدم إليهم بصفة مستمرة هذه الوصية: آمنوا بالرب وأحبوه واحفظوا أنفسكم من الأفكار القذرة والملذات الجسدية، وكما هو مكتوب في سفر الأمثال " **لا تخدعوا بامتلاء البطن** " [1] واظبوا على الصلاة، تجنبوا الغرور والخيلاء، رنموا المزامير عند النوم وعند الاستيقاظ، احفظوا في قلوبكم وصايا الكتاب المقدس، أذكروا أعمال

(1) أم ٢٤: ١٥ الترجمة السبعينية.

القديسين، حتى إذا ما تذكرت نفوسكم الوصايا بقيت على وفاق مع غيرة القديسين. ثم نصحهم بصفة خاصة للتأمل دواماً في كلمة الرسول " **لا تغرب الشمس على غيظكم** " [1] وكان يعتقد أن هذه تشمل الخطايا بصفة عامة، فليس المقصود الغيظ فقط. بل يجب ألا تغرب الشمس على أية خطية من خطايانا، لأنه حسن بل ضروري أن لا تغيب الشمس على أي شيء مر بنا نهاراً والقمر على أية خطية ليلاً، أو حتى على فكر شرير. ولكي تستمر هذه الحالة فينا يحسن أن نسمع لقول الرسول ونحفظ كلماته لأنه أوصانا: " **جربوا أنفسكم امتحنوا أنفسكم** " [2].

إذاً يجب على كل واحد أن يستخلص من نفسه كل يوم قصة أعماله في الليل والنهار، وإن كان قد أخطأ فليكف عن الخطية، وإن لم يكن قد أخطأ وجب أن لا يفتخر، بل ليتمسك بالصالح دون إهمال، ويجب أن لا يدين إخوته أو يبرر نفسه " **حتى يأتي الرب الذي يكشف الخفيات** " [3] كما يقول المغبوط بولس. لأننا كثيراً ما فعلنا بغير قصد الأشياء التي لا

(1) أف ٤: ٢٦.
(2) ٢كو ١٣: ٥.
(3) ١كو ٤: ٥، رو ٢: ١٦.

نعرفها، ولكن الرب يرى كل شيء. لذلك إذا نسلم الدينونة له ولنعطف بعضنا على بعض، لنحمل أثقال بعضنا بعضاً [1]. ولكن لنمتحن أنفسنا ونسرع لملء ما نقص فينا.

واتقاءً للخطية لنراع الآتي: لينتبه كل منا، ولنسجل أعمالنا والدوافع المحركة لنفوسنا كأننا سوف نقصها بعضنا على بعض واثقين من أننا إن كنا سوف نخجل تماماً من أن نعترف وجب أن نكفَّ عن الخطية وأن لا نبقي على أي أفكار شريرة في عقولنا. لأنه من ذا الذي يحب أن يُرى وهو يخطئ؟ وبالأحرى من ذا الذي لا يكذب بعد ارتكاب الخطية بسبب الرغبة في تجنب معرفة الآخرين لها؟ وكما أننا إذا روقبنا من بعضنا بعضاً فإننا لا نرتكب الخطية المادية. وهكذا إذا سجلنا أفكارنا الرديئة بسبب الخجل لئلا تُعرف. لذلك فليكن ما نكتبه عن أنفسنا بمثابة أعين زملائنا النساك، حتى إذا ما خجلنا من أن نكتب خطايانا كأننا قد أمسكنا بها، فلن نفكر قط فيما لا يليق. فإن رتبنا أنفسنا بهذه الكيفية أمكننا إخضاع الجسد لإرضاء الرب، كما أمكننا أن ندوس على حيل العدو.

---

(1) غل ٦: ٢.

[٥٥] عطوف على المتألمين

هذه النصيحة التي أعطاها لمن أتوا إليه. وكان يعطف على المتألمين، ويصلي معهم وكثيراً ما استجاب له الرب عن الكثيرين. ومع ذلك فإنه لم يفتخر إذا استجيب له، ولا تذمر إذا لم يستجيب. ولكنه كان يشكر الرب دواماً، ويطلب من المتألم أن يصبر ويعرف أن الشفاء لا يتوقف عليه ولا على أي إنسان بل هو من الرب وحده، الذي يفعل الخير دوماً حسب مشيئته نحونا ولذلك كان المتألمون يقبلون كلمات الشيخ كأنها شفاء، عالمين بأنهم يجب أن لا يكونوا كسيري النفس بل بالحري طويلي الأناة، أما الذين كانوا يشفون فقد أمروا بتقديم الشكر لله وحده لا لأنطونيوس.

[٥٦] يشفي ضابط ملكي بصلاته

جاء إلى الجبل شخص يدعى فروتثو، وكان ضابطاً في البلاط الملكي، ومصاباً بمرض شديد، لأنه كان يعض لسانه، كان يخشى أن يؤذي عينيه وطلب بعضهم من أنطونيوس أن يصلي لأجله. أما انطونيوس فقال لهم: لينصرف فيشف. ولكن أنطونيوس إذا كان منحصراً بالروح وظل داخل صومعته بضعة أيام قال لهم إن مكث هنا لا يمكن أن يشفى فليذهب وعندما يدخل أرض مصر سوف يرى الآية تمت فيه. فآمن وانصرف وحالما استقرت قدماه

على أرض مصر كفت آلامه، وأصبح صحيحاً وفقاً لكلمة أنطونيوس التي أعلنها له المخلص في الصلاة.

[٥٧] يكشف له الرب أتعاب الناس ليشفيهم

وكانت هناك أيضاً فتاة من " بوسيريس طرابلس " حالتها مضطربة اضطراباً مروعاً، لأنه كان يسيل من عينيها وأنفها وأذنيها سائل إذا سقط على الأرض تنبت في الحال فيه ديدان. وكانت أيضاً مشلولة ومصابة بمرض في عينيها. وإذا سمع والداها وكانا يؤمنان بالرب الذي شفى المرأة نازفة الدم [1] أن رهباناً ذاهبين إلى أنطونيوس طلبا منهم أن يسمحا لهما بالسفر معهم برفقة ابنتهما، ولما سمحا لهما بقى الوالدان وابنتهما خارج الجبل مع بفنوتيوس المعترف والراهب. أما الرهبان فدخلوا إلى أنطونيوس ولما أرادوا إخباره بحالة الفتاة سبقهم وقص عليهم أنباء آلام الفتاة، وكيف أنها سافرت معهم. وعندما طلبوا منه السماح لها بالدخول رفض أنطونيوس قائلاً: اذهبوا وإن لم تجدوها قد ماتت فستجدوها شُفيت. لأن إتمام ذلك ليس لي حتى تأتي إليَّ أنا الإنسان الشقي، ولكن شفاءها هو عمل المخلص الذي يظهر رأفته في كل مكان لكل الذين يدعونه، لذلك تحنن الرب وعافاها. وقد أعلنت إليَّ رحمته أنه سوف

(1) مت ٩: ٢٠.

يشفي الفتاة حيث هي الآن. عندئذ تملكهم العجب. ولما خرجوا وجدوا والديها فرحين والفتاة قد شُفيت.

[٥٨] إعلانات الله له لأجل الآخرين

وكان هنالك أخوان قادمان إليه وأعوزهما المياه في الطريق. فمات أحدهما وكان الآخر على وشك الموت، لأنه لم تكن له قوة على استمرار المسير، بل رقد على الأرض متوقعاً الموت. أما أنطونيوس فإذ كان جالساً على الجبل دعا راهبين تصادف وجودهما هناك وأمرهما قائلاً خذ جرة ماء واركضا في الطريق إلى مصر، لأن أحد الرجلين اللذين كانا قادمين قد مات فعلاً، وسيموت الآخر إن لم تسرعا إليه، لأن هذا قد أُعلن إليَّ وأنا أصلي، لذلك ذهب الراهبان ووجدا واحداً ميتاً فدفناه وأنعشا الآخر بالماء وأخذاه إلى الشيخ، لأن الطريق كان سفر يوم.

أما إن سأل أحد لماذا لم يتكلم قبل أن يموت الآخر، وجب أن لا يوجه سؤال كهذا. لأن الموت لم يكن من أنطونيوس بل من الله الذي نقل الواحد وأبقى الآخر، أما وجه العجب هنا هو فقط في حالة أنطونيوس، لأنه إذ كان جالساً على الجبل كان قلبه مستيقظاً وأعلن له الرب أشياء بعيدة.

على أرض مصر كفت آلامه، وأصبح صحيحاً وفقاً لكلمة أنطونيوس التي أعلنها له المخلص في الصلاة.

[٥٧] يكشف له الرب أتعاب الناس ليشفيهم

وكانت هناك أيضاً فتاة من " بوسيريس طرابلس " حالتها مضطربة اضطراباً مروعاً، لأنه كان يسيل من عينيها وأنفها وأذنيها سائل إذا سقط على الأرض تنبت في الحال فيه ديدان. وكانت أيضاً مشلولة ومصابة بمرض في عينيها. وإذا سمع والداها وكانا يؤمنان بالرب الذي شفى المرأة نازفة الدم [1] أن رهباناً ذاهبين إلى أنطونيوس طلبا منهم أن يسمحا لهما بالسفر معهم برفقة ابنتهما، ولما سمحا لهما بقى الوالدان وابنتهما خارج الجبل مع بفنوتيوس المعترف والراهب. أما الرهبان فدخلوا إلى أنطونيوس ولما أرادوا إخباره بحالة الفتاة سبقهم وقص عليهم أنباء آلام الفتاة، وكيف أنها سافرت معهم. وعندما طلبوا منه السماح لها بالدخول رفض أنطونيوس قائلاً: اذهبوا وإن لم تجدوها قد ماتت فستجدوها شُفيت. لأن إتمام ذلك ليس لي حتى تأتي إليَّ أنا الإنسان الشقي، ولكن شفاءها هو عمل المخلص الذي يظهر رأفته في كل مكان لكل الذين يدعونه، لذلك تحنن الرب وعافاها. وقد أعلنت إليَّ رحمته أنه سوف

(١) مت ٩: ٢٠.

يشفي الفتاة حيث هي الآن. عندئذ تملكهم العجب. ولما خرجوا وجدوا والديها فرحين والفتاة قد شُفيت.

[٥٨] إعلانات الله له لأجل الآخرين

وكان هنالك أخوان قادمان إليه وأعوزهما المياه في الطريق. فمات أحدهما وكان الآخر على وشك الموت، لأنه لم تكن له قوة على استمرار المسير، بل رقد على الأرض متوقعاً الموت. أما أنطونيوس فإذ كان جالساً على الجبل دعا راهبين تصادف وجودهما هناك وأمرهما قائلاً خذ جرة ماء واركضا في الطريق إلى مصر، لأن أحد الرجلين اللذين كانا قادمين قد مات فعلاً، وسيموت الآخر إن لم تسرعا إليه، لأن هذا قد أُعلن إليَّ وأنا أصلي، لذلك ذهب الراهبان ووجدا واحداً ميتاً فدفناه وأنعشا الآخر بالماء وأخذاه إلى الشيخ، لأن الطريق كان سفر يوم.

أما إن سأل أحد لماذا لم يتكلم قبل أن يموت الآخر، وجب أن لا يوجه سؤال كهذا. لأن الموت لم يكن من أنطونيوس بل من الله الذي نقل الواحد وأبقى الآخر، أما وجه العجب هنا هو فقط في حالة أنطونيوس، لأنه إذ كان جالساً على الجبل كان قلبه مستيقظاً وأعلن له الرب أشياء بعيدة.

[٥٩] يعاين صعود روح القديس أمون للسماء

ومرة أخرى كان القديس أنطونيوس جالساً على الجبل وتطلع إلى فوق فرأى في الهواء شخصاً محمولاً إلى أعلى، وكان هنالك فرح عظيم بين أولئك الذين قابلوه، ولما تعجب وحسب أمثال هؤلاء مباركين، صلى لكي يعرف حقيقة الأمر وللحال جاءه الصوت هذه نفس " أمون " راهب نتريا، أما أمون هذا فكان قد لبث في النسك إلى سن الشيخوخة وكانت المسافة من نتريا إلى الجبل الذي كان فيه أنطونيوس نحو سفر ثلاثة عشر يوماً ولما رأى رفقاء أنطونيوس أنه منذهل سألوه ليعرفوا السبب فعلموا أن أمون مات تواً. وكان اسمه ذائع الصيت لأنه طالما مكث هناك، وجرت على يديه آيات كثيرة.

أما الرهبان الذين تحدث إليهم أنطونيوس عن موت أمون فقد سجلوا يوم الوفاة، ولما وصل الإخوة من نتريا بعد ذلك بثلاثين يوماً سألوهم، فعلموا أن أمون قد رقد في اليوم والساعة التي رأى فيها الشيخ نفسه محمولة إلى فوق، فتعجب هؤلاء وغيرهم من طهارة نفس أنطونيوس، وكيف أنه علم في الحال ما حدث على مسافة ثلاثة عشر يوماً ورأى النفس وهي صاعدة.

[٦٠] صلاته تشفي مريضة عن بعد

وأيضاً إذا وجد الكونت أرخيلاوس في إحدى المرات في الجبل الخارجي طلب منه مجرد الصلاة من أجل بوليكراشيا من لاودكية، وهي فتاة شريفة مسيحية، وكانت تتألم آلاماً شديدة في معدتها وجنبها بسبب الإفراط في النسك، وكانت ضعيفة الجسد جداً. لذلك صلى أنطونيوس، وسجل الكونت تاريخ تقديم الصلاة، ولما انصرف إلى لاودكية وجد الفتاة قد شُفيت. وعندما سأل عن وقت شفائها من ضعفها قدم الورقة، التي كتب عليها وقت الصلاة. وإذ قرأها تبين أنها شُفيت في ذات الوقت، فتعجب الجميع لما عرفوا أن الرب قد شفاها من آلامها في الوقت الذي كان أنطونيوس يصلي فيه ويتوسل إلى صلاح المخلص من أجلها.

[٦١] يتنبأ عن قدوم زواره مسبقاً

أما عن الذين أتوا إليه، فكثيراً ما كان يتنبأ عن سبب مجيئهم قبل وصولهم ببضعة أيام، أو بشهر في بعض الأحيان لأن البعض إنما جاءوا لمجرد رؤيته. والآخرون بسبب ما حل بهم من أمراض، وغيرهم لأنهم كانوا يتألمون من الأرواح الشريرة، والجميع لم يحسبوا مشقة السفر تعباً أو خسارة لأن كل واحد عاد واثقاً أنه قد نال فائدة، ورغم أنهم قالوا مثل هذه الأقوال ورأوا مثل هذه

المناظر، فإنه اعتاد أن يطلب منهم بأن لا يتعجبوا من أجل هذا، بل بالحري يجب أن يتعجبوا من أن الرب منح لنا نحن البشر أن نعرفه على قدر طاقتنا.

[٦٢] يشتم رائحة الشياطين ويطردهم

ومرة نزل إلى الصومعة الخارجية في مناسبة أخرى وطلب منه أن يدخل سفينة ويصلي مع الرهبان فلاحظ هو وحده رائحة كريهة جداً أما الذين كانوا على ظهر السفينة فقالوا أن الرائحة الكريهة منبعثة من السمك واللحم المملح في السفينة. فأجاب بأن الرائحة تختلف عن هذا، وبينما هو يتكلم صرخ شاب فيه روح شرير كان قد جاء واختبأ في السفينة، ولما وبخ الشيطان باسم الرب يسوع المسيح انصرف عنه. وصار الإنسان صحيحاً، وعرف الجميع أن الرائحة كانت منبعثة من الشيطان.

[٦٣] يصارع الشيطان ويطرده بصلاته

وجاءه أيضاً شخصٌ ذو مركز رفيع به شيطان. وكان الشيطان مرعباً جداً لم يكن يعلم أنه ذاهب إلى أنطونيوس. وطلب الذين أحضروه إلى أنطونيوس أن يصلي لأجله. فأشفق القديس على الشاب وصلى لأجله وسهر معه الليل كله. ونحو الفجر هجم الشاب على أنطونيوس فجأة ودفعه .. وإذ وبخ الشيطان وأمر بأن يذهب إلى أماكن مقفرة تهيج هياجاً جنونياً

ورضخ للأمر. فشكروا الرب لأن هجومه هكذا علامة على انصراف الروح الشرير. ولما قال أنطونيوس هذا عاد الشاب صحيحاً في الحال، ورجع إليه عقله أخيراً وعرف أين هو، وحيا الشيخ وشكر الله.

[٦٤] يُختطف بالروح لتُحيي خطاياه ويعود مبرراً

وقد روى الكثيرون من الرهبان – باتحاد في الرأي – أن أموراً كثيرة أخرى تمت على يديه، على أن هذه لا تبدو عجيبة كمسائل أخرى معينة. لأن في إحدى المرات عندما كان مزمعاً أن يأكل وقام ليصلي نحو الساعة التاسعة أدرك بأنه قد اُختطف بالروح والعجيب أنه وقف ورأى نفسه كأنه خارج جسده. وأنه اقتيد في الهواء بواسطة أشخاص معينين وبعد ذلك وقفت في الهواء كائنات أخرى مرعبة وأرادت أن تعرقل مسيره، ولكن لما قاومها مرشدوه سألت عما إذا كان هو ليس مديناً لها. وعندما أرادت أن تلخص الديون منذ ولادته أوقفهم مرشدو أنطونيوس قائلين: **لقد مسح الرب خطاياه منذ ولادته ولكن يمكنكم أن تحاسبوه منذ أن صار راهباً وكرس نفسه لله.** وبعد ذلك عندما اتهموه ولم يستطعوا إثبات أي تهمة عليه أصبح طريقه خالياً وأُزيلت منه كل العراقيل. وللحال رأى نفسه كأنه قد أتى إلى جسده وأصبح أنطونيوس الأول. وإذ نسي الأكل صار يئن

ويصلي بقية النهار وطول الليل لأنه دهش إذ رأى كيف أن مصارعتنا مع خصوم أشداء، وكيف أننا يجب أن نجتاز الهواء بجهود شاقة. ثم تذكر أن هذا هو ما قاله الرسول " **حسب رئيس سلطان الهواء** " [1] لأن العدو له سلطان ليحارب ويحاول تعطيل الذين يجوزون فيه ولذلك قدم النصيحة بكل قوة " **احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير** " [2] وذلك لكي يخزى المضاد إذ ليس له شيء رديء يقوله عنكم [3] ونحن الذين تعلمنا هذا لنصغ إلى الرسول عندما يقول " **أفي الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم. الله يعلم** " [4] على أن بولس اختطف إلى السماء الثالثة، وإذ سمع أموراً لا ينطق بها عاد. أما أنطونيوس فقد رأى أنه أتى إلى الهواء وصار يجاهد حتى تحرر.

[٦٥] رؤى سمائية

ثم أُعطيت إليه هذه النعمة، وهي أنه عندما كان يجلس على الجبل وحيداً وتحصل له حيرة في تأملاته يعلن له هذا في الصلاة

(١) أف ٢: ٢.
(٢) أف ٦: ١٣.
(٣) تي ٢: ٨.
(٤) ٢كو ١٢: ٢.

بواسطة العناية الإلهية. أن الرجل السعيد – كما هو مكتوب – يتعلم من الله [1]. كان يتناقش مرة مع بعض أشخاص أتوا إليه عن حالة النفس وعن طبيعة مركزها بعد هذه الحياة، ناداه واحد من فوق في الليلة التالية قائلاً: قم يا أنطونيوس وافرح وأنظر. وإذ خرج (لأنه كان يعرف من ذا الذي يجب أن يطاع) تطلع إلى فوق فرأى واحداً واقفاً يصل إلى السحاب، طويلاً مرعباً مزعجاً وآخرين صاعدين كأن لهم أجنحة. وبسط الشيخ يديه فصد بعض الصاعدين، بينما طار الباقون إلى فوق. وإذ خلا لهم طريق الجو إلى السماء حملوا إلى فوق بلا عناء. عند ذلك أصر المارد على أسنانه، وشَمَتَ بأولئك الذين سقطوا. وللحال أتى الصوت إلى أنطونيوس: أتفهم ما ترى؟ فانفتح ذهنه، وفهم أن هذا كان عبور النفوس، وأن ذلك الكائن الطويل الذي وقف هو العدو الذي يحسد المؤمنين، وأن الذي أمسكهم وصدهم عن العبور مدينون له، أما الذين عجز عن أن يمسكهم وهو يجتازون إلى فوق فهم الذين لم يخضعوا له. وإذ رأى هذا، وكان يتذكره، كان يزداد جهاداً كل يوم للتقدم نحو الأشياء التي أمامه.

ثم أنه لم يكن يريد أن يتحدث عن هذه الرؤى، ولكنه عندما كان يصرف وقتاً طويلاً في الصلاة متعجباً ومتحيراً،

(١) إش ٥٤: ١٣، يو ٦: ٤٥.

ويضغط عليه الذين معه بالأسئلة. وكان يضطر إلى الكلام كأب لا يستطيع أن يخبئ شيئاً عن أبنائه. وكان يعتقد أنه طالما كان ضميره خالصاً فإن الشرح ينفعهم لكي يعرفوا أن النسك أثمر ثماراً طيبة. وأن الرؤى كثيراً ما كانت عزاء أتعابهم.

[٦٦] وجهاً مضيئاً وقلباً وديعاً

يضاف إلى هذا أنه كان لين العريكة متواضع الروح. لأنه مع وصوله إلى هذه الدرجة من السمو فقد حافظ على قانون الكنيسة بكل تدقيق، وكان يميل أن يُكرِّم كل الإكليروس أكثر منه، لأنه لم يخجل من أن يحني رأسه أمام الأساقفة والقسوس. وإذا جاءه شماس لطلب المساعدة كان يتناقش معه فيما ينفع، ويترك له المجال للصلاة، وإذ لم يخجل من أن يتعلم هو نفسه لأنه كثيراً ما سأل أسئلة ورغب في أن يصغي لأولئك الذين كانوا معه، وإن قال أي أحد قولاً نافعاً كان يعترف بأنه قد استفاد.

وعلاوة على هذا فقد كانت طلعته تنم على نعمة عظيمة وعجيبة، وهذه النعمة أُعطيت إليه أيضاً من المخلص لأنه كان إذا ما وجد وسط جماعة كبيرة من الرهبان، وأراد أن يراه أحد ممن لم يعرفه سابقاً كان في الحال إذا ما مر بينهم يسرع إلى أنطونيوس كأنه انجذب بطلعته.

ومع أنه لم يتميز على الباقين في الطول أو العرض إلا أنه تميز عليهم في رصانة الأخلاق وطهارة النفس. لأنه إذ خلت نفسه من كل شائبة صارت هيئته الخارجية هادئة. وهكذا حصل من فرح نفسه على طلعة بهجة، وكانت تبين حالة روحه من حركات جسمه، كما هو مكتوب عندما يكون القلب فرحاً يكون الوجه مشرقاً، ولكنه عندما يكون حزيناً يكون الوجه مكتئباً [1] هكذا عرف يعقوب الأفكار التي في قلب لابان وقال لزوجتيه " أنا أرى أن وجه أبيكما ليس نحوي كأمس وأول من أمس " [2] وهكذا عرف صموئيل داود لأنه كان له عينان بسيطتان، وهكذا كان يعرف أنطونيوس لأنه لم يترعج قط إذا كانت نفسه في سلام. ولم يكن ذليل النفس أبداً إذ كان قلبه جزلاً.

[٦٧] استقامة الرأي والعقيدة

وكان عجيباً جداً في الإيمان والتقوى، لأنه لم يختلط قطعاً بالمنشقين الميليتين [3]، إذ عرف شرهم وارتدادهم من البدء، ولا

---

(١) أم ١٥: ١٣.

(٢) تك ٤١: ٥٥، ١صم ١٦: ١٢، ١٧: ٣٢.

(٣) نسبة إلى ميليتيوس الأنطاكي وكان أسقفاً لأنطاكيا ونفي ثم خلفه يوزيوس الذي اشترك مع أريوس في بدعته.

دخل في صداقة مع المانيين [1] وغيرهم من الهراطقة، إلا إذا أراد أن يقدم لهم النصيحة لكي يرجعوا إلى التقوى. لأنه كان يعتقد ويؤكد أن الاختلاط بهؤلاء مضر بل مدمر للنفس.

وعلى هذا القياس أيضاً كره هراطقة الأريوسيين وكان ينصح الجميع بأن لا يقتربوا منهم ولا يعتنقوا عقيدتهم المنحرفة.

ومرة عندما جاءه بعض الأريوسيين وسألهم وعرف فسادهم طردهم من الجبل قائلاً أن كلماتهم أشر من سم الأفاعي.

[٦٨] يجاهر بإيمانه ليرد المخالفين

وفي إحدى المرات أيضاً إذ أكد الأريوسيون كذباً أن آراء أنطونيوس تتفق مع آرائهم استاء منهم وغضب عليهم. بعد ذلك استدعاه الأساقفة وكل الإخوة فنزل من الجبل ولدى دخوله الإسكندرية [2] شجب الأريوسيون قائلاً: إن هرطقتهم هي آخر الهرطقات وممهدة للمسيح الكذاب. وعلم الشعب أن ابن الله ليس مخلوقاً ولا ظهر إلى الوجود من العدم، ولكنه هو الكلمة الأزلي وحكمة الآب ومساو له في الجوهر ولذلك فمن الكفر أن يقال أنه كان هناك وقت لم يكن موجوداً، لأن الكلمة كائن

(١) أتباع ماني (٢١٥ – ٢٨٦م) الذي نادى بأن كل الأشياء نشأت من مصدرين: الظلام والنور، الخير والشر.

(٢) من ٢٥ – ٢٧ يوليو سنة ٣٣٨م.

بالتساوي مع الآب دواماً. ولذلك فلا تكن لكم شركة قط مع الأريوسيين أشر الملحدين لأنه لا شركة للنور مع الظلمة [1] فأنتم مسيحيون صالحون، أما هم فعندما يقولون أن ابن الآب، كلمة الله، مخلوق فإنهم لا يختلفون عن الوثنيين طالما كانوا يعبدون المخلوق دون الله الخالق [2] بل وثقوا أن الخليقة نفسها غاضبة عليهم، لأنهم وضعوا الخالق رب الكل، الذي به وجدت كل الأشياء، في عداد تلك الأشياء التي خُلقت.

[٦٩] شعب الإسكندرية يتبع حيانه

لذلك فرح كل الشعب لما سمع أن الهرطقة المضادة للمسيحية قد شجبها شخص كهذا. وركض كل شعب المدينة ليروا أنطونيوس، وجاء إلى الكنيسة اليونانيون ومن يدعون كهنتهم قائلين نطلب أن نرى رجل الله، لأنهم هكذا لقبوه جميعاً. لأنه في ذلك المكان أيضاً طهر الرب الكثير من الشياطين، وشفى المجانين. وطلب كثيرون من اليونانيين أن يلمسوا الشيخ، معتقدين أنهم سيستفيدون.

(١) ٢كو ٦: ١٤.

(٢) كانت هذه حجة طالما استعملت لتفند آراء الأريوسيين ويصبح تشبيه حجج أنطونيوس بحجج أثناسيوس.

ويقيناً أنه اعتنق المسيحية في تلك الأيام القليلة الكثيرون ممن كان يجوز أن يعتنقوها في سنة كاملة. وبعد ذلك إذ ظن البعض أنه قد تعب من ازدحام الجماهير، وعلى هذا الأساس صرفوهم عنه، فقال دون اضطراب إن عددهم ليس أكثر من عدد الشياطين الذين صارع معهم في الجبل.

[٧٠] يترك الإسكندرية عائداً لصومعته

وعندما كان منصرفاً وكنا نحن نعد له الطريق ووصلنا [1] إلى البوابة صرخت امرأة من الخلف وقالت يا رجل الله إن ابنتي معذبة جداً من شيطان، أتوسل إليك أن تنتظر لئلا أؤذي أنا أيضاً نفسي من الركض. ولما سمعها الشيخ وسمع رجاءنا نحن أيضاً، انتظر بكل ارتياح وإذ اقتربت المرأة انطرحت الفتاة على الأرض. ولكن لما صلى أنطونيوس ودعا اسم المسيح، قامت الفتاة صحيحة إذ خرج منها الروح النجس. وشكرت الأم الله وقدم الجميع الشكر، وفرح أيضاً أنطونيوس نفسه مرتحلاً إلى الجبل كأنه مرتحل إلى بيته ووطنه.

[٧١] حكمة تفوق الفلاسفة

كذلك كان أنطونيوس حصيفاً جداً، كان وجه العجب في ذلك أنه و لم يتعلم الحروف فقد كان حاضر البديهة وفي غاية

(1) هذا يظهر أثناسيوس مؤرخاً صادقاً.

الذكاء. جاءه مرة فيلسوفان يونانيان مؤملين أن يقيسا ذكاءهما على ذكاء أنطونيوس، وكان وقتئذ في الجبل الخارجي، وإذ علم حقيقة شخصيتهما وذلك من مجرد مظهرهما جاء إليهما وقال لهما بواسطة مترجم: لماذا أجهدتما أنفسكما أيها الفيلسوفان لتأتيا على رجل جاهل. ولما قالا أنه ليس جاهلاً بل حصيفاً جداً، قال لهما إن كنتما قد أتيتما إلى رجل جاهل فقد أسرفتما في تعبكما، أما إن كنتما تعتقدان أنني حكيم فتستطيعان أن تصيرا مثلي، لأننا ينبغي أن نقتدي بما هو صالح. ولو أنني كنت قد ذهبت إليكما لاقتديت بكما، أما وقد أتيتما إليَّ وجب أن تكونا مثلي، لأنني مسيحي. فانصرفا منذهلين، لا سيما لما رأيا أنه حتى الشياطين تخشى أنطونيوس إذ شاهدا شفاء المجانين.

[٧٢] بحكمته ووداعته يذهل الحكماء

وفي مرة أخرى قابله في الجبل الخارجي آخرون كهذين الفيلسوفين، وظنوا أن يهزأوا به لأنه لم يتعلم الحروف. فقال لهم أنطونيوس: ماذا تقولون، ما الذي وُجدَ أولاً العقل أم الحروف؟ وأيهما علة الآخر، هل العقل علة الحروف أم الحروف علة العقل؟ وعندما أجابوه بأن العقل هو الذي وُجدَ أولاً وأنه هو مخترع الحروف قال أنطونيوس إذاً فمن كان له عقل راجح أصبح في غير حاجة إلى الحروف.

وأذهلت هذه الإجابة كلاً من الواقفين والفلاسفة، فانصرفوا منذهلين إذ رأوا فهماً غزيراً كهذا في رجل غير متعلم، وطباعه لم تكن خشنة، رغم معيشته في الجبل، بل كانت رقيقة مهذبة، وكان كلامه مصلحاً بالملح الإلهي، حتى أنه لم يتضايق منه أحد بل سُرَّ منه كل الذين زاروه.

[٧٣] يحاجه الفلاسفة بنظريات إيمانية

جاءه آخرون، وكان هؤلاء يعتبرون حكماء بين اليونانيين وطلبوا منه سبب إيماننا بالمسيح. ولكنهم حاولوا أن يحاجوه بصدد الكرازة بالصليب الإلهي، قاصدين الاستهزاء، فوقف أنطونيوس قليلاً وأشفق أولاً على جهلهم ثم قال بواسطة مترجم استطاع ترجمة كلماته بمهارة: أيهما أجمل، هل الاعتراف بالصليب أم أن تُنسَبوا لما تدعونهم آلهة الزنى؟ لأن ما اخترناه نحن هو علامة الشجاعة واحتقار الموت، أما أنتم فقد اخترتم شهوات الخلاعة.

وثانياً أيهما أفضل هل القول بأن كلمة الله يتغير، ولكنه هو بنفسه اتخذ جسداً بشرياً من أجل خلاص البشرية وخيرها، حتى إذا ما اشترك في الميلاد البشري أمكن أن يجعل الإنسان شريكاً للطبيعة الإلهية [1] – أم تشبيه الذات الإلهية بالحيوانات عديمة الإحساس. وبالتالي عبدتم البهائم ذوات الأربع، والزحافات

(1) ٢بط ١: ٤.

وأشباه الناس؟ لأن هذه موضوع احترامكم أيها الحكماء، ولكن كيف تتجاسرون على تهزيئنا نحن الذين نقول أن المسيح ظهر كإنسان إذ أرى أنكم وقد أحدرتم النفس من السماء تؤكدون أنها قد ضلت وسقطت من قبة السماء إلى الجسد؟ وليتكم قلتم أنها سقطت في الجسم البشري فقط، دون أن تؤكدوا أنها تتغير إلى البهائم ذوات الأربع والزحافات. لأن إيماننا يصرح بأن مجيء المسيح كان لخلاص البشر أما أنتم فتخطئون لأنكم تتحدثون عن النفس كأنها لم تُخلق. ونحن إذ نتأمل في قدرة ومحبة العناية الإلهية نعتقد أن مجيء المسيح في الجسد لم يكن أمراً مستحيلاً على الله ولكنكم رغم اعتباركم النفس بأنها شبه العقل [1] فإنكم تربطونها بالسقطات وتتوهمون في أساطيركم بأنها متغيرة، وبالتالي تبتدعون تلك الفكرة بأن العقل نفسه متغير بسبب النفس. لأنه مهما كانت طبيعة الشبيه فتحتم أن تكون هي نفسها طبيعة المشبه به ولكن تذكروا كلما خطرت ببالكم مثل هذه الأفكار عن العقل أنكم تجدفون على أب العقل نفسه [2].

(1) نادى بلوتيوس بأن النفس صورة للعقل كما أن الكلام الذي تنطق به صورة الكلام الذي في النفس.

(2) من المدهش حقاً أن نرى أنطونيوس وهو يجهل اليونانية والحروف يحاج الفلاسفة عن النظريان الفلسفية الأفلاطونية – لقد قضى =

[٧٤] يكرز بالصليب ليونانيين وثنيين

أما عن الصليب فأيهما أفضل: هل حمله عند الاصطدام بمؤامرة من الأشرار دون الخوف من الموت مهما أتى في أي وضع من أوضاعه، أم الثرثرة الكثيرة عن جولان أوزوريس وإيزيس ومؤامرات تيفون، وطيران كرونوس وأكله أولاده وذبح أبيه؟ لأن هذه هي حكمتكم. أما إن كنتم تهزأون بالصليب فكيف لا تتعجبون من القيامة؟ لأن نفس الأشخاص الذين أخبرونا عن الأخيرة كتبوا عن الأولى، أو لماذا عندما تذكروا الصليب تخرس ألسنتكم عن ذكر الأموات الذين قاموا، والعمي الذين نالوا البصر والمفلوجين الذين شفوا والبرص الذين طهروا والمشي على البحر وباقي الآيات والعجائب التي تبين أن المسيح ليس إنساناً بل هو الله. أنتم تبدون في نظري بأنكم تظلمون أنفسكم كثيراً ولو لم تقرأوا كتباً بانتباه فاقرأوا وانظروا كيف أن أعمال المسيح تبرهن على أنه هو الله أتى إلى الأرض لخلاص البشر.

= حداثته كلها فيما عدا زيارتين قصيرتين للإسكندرية بعيداً عن مثل هذه المناقشات. ومع ذلك فليس من السهل أن نقول كيف أن شخصاً قوي الذهن حاد الذاكرة استطاع أن يلتقط من مناقشة زواره الكثيرين عن تلك المواضيع العويصة.

[٧٥] يدحض البدع الوثنية جهاراً

ثم أخبرونا عن معتقداتكم الدينية ماذا تستطيعون قوله عن المخلوقات عديمة الإحساس سوى عدم الإحساس والشراسة. أما إن كنتم — كما أسمع — تريدون أن تقولوا أنكم تتكلمون عن هذه الأشياء كمجرد أساطير فتقولون أن اغتصاب الفتاة برسيفونا يرمز للأرض وإن عرج هيفاستوس يرمز إلى النار. وأن الهواء يرمز إلى هيرا، والشمس يرمز إليها أبولون، والقمر أرطاميس والبحر بوسيدون، فإنكم لا تعبدون الله نفسه بل تعبدون المخلوق دون الله، خالق كل الأشياء، لأنكم إن كنتم قد ابتدعتم مثل هذه الأساطير بسبب جمال الخليقة، فكان خليقاً أن تقفوا عند حد الإعجاب بها ولا تؤلهوا الأشياء المخلوقة. لكي لا تعطوا مجد الخالق للمخلوق. وإلا فقد حان لكم أن تحولوا مجد البنَّاء إلى المنزل الذي بناه، وتحولوا مجد القائد إلى الجندي. فأي جواب تعطونه عن هذه الأمور إذاً لكي تعرفوا إن كان في الصليب ما يستحق الهزء؟

[٧٦] تبسيط معنى الإيمان لحكماء وثنيين

ولكنهم عندما وقعوا في حيرة، وتلفتوا هنا وهناك. ابتسم أنطونيوس وقال إن المنظر نفسه يحمل الدليل المقنع لهذه الأمور ولكن طالما كنتم تفضلون الارتكاز على حجج وصفية، وطالما

كنتم تريدوننا أن لا نعبد الله إلا بعد مثل هذه التي تحذفونها فهل لكم أن تخبرونا أولاً كيف تعرف بدقة كل الأمور بصفة عامة ومعرفة الله بصفة خاصة؟ هل بطريقة الحجج الوصفية أم بعمل الإيمان؟ وأيهما أفضل الإيمان الذي يأتي بعمل الله الداخلي أم الحجج الوصفية؟ وعندما أجابوا بأن الإيمان الذي يأتي بالعمل الداخلي أفضل وأنه هو المعرفة الدقيقة قال أنطونيوس: حسناً أجبتم لأن الإيمان ينشأ من ميل النفس أما المنطق فمن ذكاء مخترعه ولذلك فإن الذين يحصلون على العمل الداخلي بسبب الإيمان ليسوا في حاجة إلى الحجج الوصفية، بل هي زائدة عن الحاجة لأنكم تحاولون أن تبرهنوا بالكلام ما نعرفه بالإيمان وكثيراً ما عجزتم حتى عن التعبير عما نعرفه نحن، لذلك فإن عمل الإيمان الداخلي أفضل وأقوى من حججكم الفانية.

[٧٧] يكرز بالصليب لعبدة أوثان

لذلك فإننا نحن المسيحيين نتمسك بالسر لا في حكمة الحجج الفلسفية بل في قوة الإيمان المعطى لنا بغنى من الله بيسوع المسيح والدليل على صحة هذا القول هوذا الآن نؤمن بالله، دون تعلم الحروف، عارفين غايته الشاملة لكل الأشياء وذلك من أعماله. وللتدليل على أن إيماننا فعال هوذا نحن الآن مدعمون بالإيمان بالمسيح، أما أنتم فتعتمدون على حكمتكم الكلامية.

وهوذا خرافات الأوثان قد تلاشت. أما إيماننا فيمتد في كل مكان. هوذا أنتم بحججكم ومماحكتكم لم تحولوا أحد من المسيحية إلى الوثنية أما نحن فبمجرد ذكر المسيح مصلوباً نطارد كل الشياطين التي تخشونها كأنها آلهة. فحيث وُجدَت إشارة الصليب ضعف السحر وتلاشت قوة العرافة.

[٧٨] الاستشهاد والصليب محور كرازته

أخبرونا أين أقوال آلهتكم؟ أين هو سحر المصريين؟ أين هي ضلالات السحرة؟ متى بطلت كل هذه وبدأت تضعف إلا عندما قام صليب المسيح؟ أهذا يستحق أن يكون موضوع هزء وسخرية؟ أو ليس بالأحرى تلك التي انقشعت أمامه وافتضح ضعفها؟ والعجيب أن ديانتكم لم تلق اضطهاداً، بل يكرمها الناس في كل مدينة. أما أتباع المسيح فيلقون الاضطهاد، مع ذلك فديانتنا تزدهر وتتكاثر أكثر من ديانتكم. كل ما عندكم يتبدد رغم ما يلقاه من تمجيد وإكرام، أما إيمان المسيح وتعاليمه فقد ملأت العالم رغم هزئكم بها واضطهاد الملوك لها في أغلب الأحيان. لأنه متى ازداد ضياء معرفة الله، أو متى ظهر ضبط صليب المسيح، وهذا ما لا يشك فيه أحد حينما يرى الشهيد محتقراً الموت من أجل المسيح، ويرى عذارى الكنيسة حافظات أنفسهن طاهرات وبلا دنس من أجل المسيح.

[٧٩] شفاء الأمراض يدحض الفكر الوثني

وهذه العلامات كافية للبرهان على أن إيمان المسيح وحده هو الديانة الحقة. لكن أنظروا، أنتم لا تؤمنون بعد، ولا تزالون تطلبون حججاً. وعلى أي حال فإننا نقدم برهاننا كما كان معلماً لا " **بكلام الحكمة اليونانية المقنع** " [1] بل نقنع بالإيمان الذي يسبق براهين الحجج. هوذا هنا بعض المعذبين بالشياطين (وكان هنالك وقتئذ بعض المرضى المعذبين جداً بالشياطين، فأتى بهم في الوسط وقال) فهل تستطيعون تطهيرهم بالحجج أو بأي فن أو سحر تختارون، داعين أصنامكم؟ وإلا كفوا عن منازعتنا إن عجزتم وعندئذ ترون قوة صليب المسيح. قال هذا ودعا المسيح ورشم المرضى مرتين أو ثلاث مرات بعلامة الصليب، وللحال وقف الرجال أصحاء وفي عقلهم السليم، قدموا الشكر للرب في نفس اللحظة.

فتعجب الفلاسفة وانذهلوا للغاية من فهم الرجل ومن الآية التي صُنعت. أما أنطونيوس فقال: لماذا تتعجبون من هذا لسنا نحن الذين نعمل هذه الأمور، ولكن المسيح هو الذي يعملها بواسطة أولئك الذين يؤمنون به، لذلك آمنوا أنتم أنفسكم تروا أنه ليست لدينا حيل كلامية، بل إيمان عن طريق المحبة التي

(1) ١كو ٢: ٤.

وُجدت فينا نحو المسيح، والتي إن حصلتم عليها أنتم أنفسكم لما طلبتم فيما بعد حججاً وصفية بل اعتبرتم الإيمان بالمسيح كافياً. هذه هي كلمات أنطونيوس، وإذ تعجبوا من هذا أيضاً حيوه وانصرفوا معترفين بالفائدة التي نالوها منه.

[٨٠] خطايا أبدية للإمبراطور

ووصلت شهرة أنطونيوس حتى إلى الملوك لأن قسطنطين وولديه قسطنطينوس وقسطنس كتبوا خطابات إليه كما إلى أب ورجوه أن يرسل الرد إليهم. ولكنه لم يتفاخر بالخطابات كما أنه لم يغتبط بالرسائل، بل لبث كما كان قبل أن يكتب الأباطرة إليه. ولكنهم عندما أحضروا إليه الخطابات دعا الرهبان وقال لا تتعجبوا إن كتب إلينا إمبراطور، فهو إنسان، ولكن بالأحرى تعجبوا أن الله كتب الشريعة وكلمنا في ابنه [1] ولكنه لم يرغب قبول الخطابات قائلاً أنه لا يعرف أن يكتب رداً لرسائل كهذه، ولكن لسبب حث الرهبان له لأن الأباطرة كانوا مسيحيين، ولئلا يسببوا أي عثرة على أساس أنهم قد امتهنوا كرامة الأباطرة، لذلك قبل أن تُقرأ الخطابات عليه، وكتب الرد مادحاً إياهم لعبادتهم للمسيح، ومقدماً إليهم النصيحة في الأمور المتعلقة بالخلاص طالباً منهم أن لا يفكروا كثيراً في الحاضر، بل بالحري

(1) عب ١: ٢.

يذكروا الدينونة العتيدة. ويعرفوا أن المسيح وحده هو الملك الحقيقي الأبدي، ورجاهم أن يكونوا رحماء وأن يهتموا بالعدل وبالفقراء. أما هم ففرحوا لاستلامهم الرد. هكذا كان عزيزاً عند الجميع، وكان الجميع يتمنون أن يعتبروه أباً.

[٨١] تنبأ بهرطقة الأريوسيين قبل حدوثها

وإذ اشتهر بأنه عظيم وكان يجيب على أسئلة كل من رآه، عاد إلى الميل الداخلي وتمسك بنسكه العادي، وكان رفقاؤه يدركوا أنه عندما يجلس على الجبل كثيراً ما يرى ما هو حادث في مصر، ويخبره إلى سيرابيون الأسقف، الذي كان معه في صومعته، والذي كان يرى أن أنطونيوس منهمك في رؤية.

ومرة إذ كان جالساً وقع في غيبوبة وأن كثيراً بسبب ما رأى وبعد فترة معينة عاد إلى الواقفين بجانبه بأنات ورعدة وصلى، وإذا سقط على ركبتيه ظل هكذا وقتاً طويلاً. وعندما قام ذلك الشيخ بكى. فأرادوا رفاقه أن يعرفوا جلية الأمر فأتعبوه كثيراً حتى اضطر للكلام، وبأنات كثيرة قال ما يلي: يا بني كان خيراً لي أن أموت قبل أن يحدث ما ظهر لي في الرؤية. وعندما سألوه ثانية انفجر بالدموع وقال أن الغضب يوشك أن يحل بالكنيسة، وهي على وشك أن تسلم إلى أناس عديمي الإحساس كالبهائم. لأنني رأيت مائدة بيت الرب واقفاً حولها بغال من

كل جهة في حلقة مستديرة، ترفس الأشياء التي فيها كما يرفس القطيع عندما يقفز مضطرباً. ثم قال وأنتم قد رأيتم كيف كنت أئن لأنني سمعت صوتاً يقول أن مذبحي سوف يتنجس.

هذه الأمور رآها ذلك الشيخ، وبعد سنتين حدثت ثورة الأريوسيين ونهبت الكنائس عندما اغتصبوا الأواني المقدسة بعنف، وحملوها للوثنيين، وعندما الزموا الوثنيين الذين في السجون للاشتراك في خدماتهم، وعملوا ما أرادوا على المائدة في حضورهم. عندئذ فهمنا جميعاً أن رفسات البغال كانت تنبئ أنطونيوس بما يفعله الأريوسيين الآن بدون إحساس كالبهائم.

ولكنه عندما رأى هذه الرؤية عزى الذين معه قائلاً: لا تنكسر نفوسكم يا أولادي، لأنه كما غضب الرب فإنه سيعود ويشفينا. ويعود إلى الكنيسة هدوءها ثانية، وتضيء كما اعتادت أن تضيء وترون المضطهدين يعودون، وينسحب الآثم ثانية إلى مخابئه، ويتكلم الإيمان المبارك بجسارة في كل مكان بكل حرية. فقط لا تدنسوا أنفسكم مع الأريوسيين، لأن تعليمهم ليس تعليم الرسل بل تعليم الشياطين وأبيهم إبليس. لكنه بالحري عقيم وبلا معنى وخال من أي حكمة.

[٨٢] العجائب هي وعد الله طؤمنيه

هذه هي كلمات أنطونيوس إذ يجب أن لا تشك في إمكانية حدوث مثل هذه العجائب على يدي إنسان. فهذا هو وعد المخلص عندما قال " **لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا فينتقل. ولا يكون شيء غير ممكن لديكم** " [1] وأيضاً " **الحق أقول لكم أن كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم، اُطلبوا تجدوا** " [2] وهو نفسه الذي قال لتلاميذه ولكل من يؤمنون به " **اشفوا المرضى أخرجوا الشياطين. مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا** " [3].

[٨٣] نصائحه للقضاة والحكام

وعلى أي حال فإن أنطونيوس لم يشفِ المرضى بإعطاء الأمر، بل بالصلاة والنطق باسم المسيح ولذا فقد كان واضحاً للجميع أنه لم يكن هو الذي يعمل بل الرب الذي أظهر رحمة على يديه وشفى المتألمين. أما نصيب أنطونيوس فكان الصلاة والنسك اللذين من أجلهما لبث في الجبل، فرحاً بالتأمل في الإلهيات، وحزيناً عندما كانت تجهده كثرة الجماهير، مما كان

(١) مت ١٧: ٢٠.
(٢) يو ١٦: ٢٣، ٢٤.
(٣) مت ١٠: ٨.

يضطره للانسحاب إلى الجبل الخارجي وطالما ألح عليه القضاة والمتقاضون أن يترل إليهم ليباركهم. لأن مجيئه كان نافعاً للكثيرين وللقضاة أنفسهم إذ نصحهم ليفضلوا العدل على كل شيء. ويخافوا الله ويعرفوا أنه بالدينونة التي بها يدينون يدانون [1] ولكنه أحب إقامته في الجبل أكثر من كل شيء.

[٨٤] كلماته المعزية للقائد الدوق

ومرة أخرى عانى نفس الضغط ممن كانت لهم حاجات ملحة، وبعد توسلات كثيرة من قائد الجند نزل، وعندما جاء كلمهم بإيجاز عما يؤول إلى الخلاص. وعن مَنْ كانوا في حاجة إليه، ثم أسرع في الانصراف ولكن عندما توسل إليه الدوق — كما كان يدعي — لكي ينتظر، أجاب بأنه لا يستطيع البقاء بينهم، **لأن إن بقي السمك طويلاً على الأرض الجافة مات. هكذا يفقد الرهبان قوتهم إن توانوا بينكم وصرفوا وقتهم معكم** لذلك كما يجب أن يسرع السمك إلى البحر هكذا ينبغي أن نسرع نحن إلى الجبل، لئلا إذا تأخرنا أن تتضاءل التعزية التي في داخلنا. ولما سمع القائد هذا وأشياء كثيرة غيرها منه ذهل وقال: يقيناً إن هذا الرجل خادم الله، لأنه لو لم يكن محبوباً من الله فمن أين كان هذا الفهم العظيم لإنسان جاهل.

(١) مت ٧: ٢.

[٨٥] تحذيره لقائد وثني شرس

وكان هناك قائد يدعى بلاسيوس اضطهدنا نحن المسيحيين اضطهاداً عنيفاً بسبب رعايته للأريوسيين وإذا اشتدت به قساوة القلب، حتى أنه ضرب العذارى وجرد الرهبان وجلدهم، كتب أنطونيوس في ذلك الوقت خطاباً وأرسله إليه: أنني أرى الغضب قادماً عليك، لذلك كف عن اضطهاد المسيحيين لئلا يحل بك الغضب لأنه الآن على وشك المجيء إليك.

أما بلاسيوس فضحك وألقى بالخطاب على الأرض، وتفل عليه وأهان حامليه، وأمرهم أن يبلغوا أنطونيوس ما يلي: طالما كنت مهتماً بالرهبان فسآتي إليك أنت أيضاً سريعاً. ولم تمض خمسة أيام حتى حل عليه الغضب لأن بلاسيوس ونسطور [1] والي مصر خرجا إلى أول مكان للاستراحة بعد الإسكندرية، ويدعى كيريو، وكان كل منهما ممتطياً جواده، وكان الحصانان ملكاً لبلاسيوس، وهما أهدأ ما في إسطبله. ولكنهما لم يبعدا كثيراً في طريقهما إلى المكان المقصود حتى بدأ الحصانان يطفران معاً كعادتهما، وفجأة عض الحصان الأهدأ – الذي كان راكباً عليه نسطور – بلاسيوس فأوقعه عن حصانه، ثم هجم عليه فمزق فخذه بأسنانه بحالة أليمة، حتى أنه حُمل إلى المدينة في

(١) كان نسطور والياً على مصر من سنة ٣٤٥ إلى ٣٥٢م.

الحال، ومات بعد ثلاثة أيام. وتعجب الجميع لأن ما تنبأ به أنطونيوس تم سريعاً.

[٨٦] كلمات مريحة وتعزية لكل التعابى

وهكذا حذر القساة. أما الباقون الذين جاءوا إليه فإنه علمهم حتى نسوا شئونهم في الحال. وهنأوا الذين اعتزلوا عن العالم. ثم إنه كان يواسي المظلومين بطريقة عجيبة جداً حتى كان يخيل إليك أنه هو المتألم لا الآخرون.

وعلاوة على هذا فقد كانت له القدرة على إفادة الجميع، حتى أن جنوداً كثيرين وأشخاصاً ممن كانت لهم ممتلكات وافرة تركوا عنهم أثقال الحياة وترهبنوا بقية أيام حياتهم. وكأنه كان طبيباً وهبه الله لمصر. فمن ذا الذي كان حزيناً وقابل أنطونيوس دون أن يرجع فرحاً مسروراً، ومن ذا الذي أتى حزيناً من أجل ميته ولم ينزع عنه حزنه في الحال؟ من ذا الذي كان غاضباً ولم يتحول صديقاً، من ذا البائس وكسير الروح الذي لم يحتقر الثروة ويعزي نفسه في فقره بمجرد سماعه والتطلع إليه؟ أي راهب أتى إليه ولم يتقو بعد أن كان خاملاً متكاسلاً؟ أي شاب أتى الجبل ورأى أنطونيوس دون أن يحرم على نفسه الملذات في الحال ويحب الاعتدال؟ من ذا الذي جُرب من الشيطان وأتى إليه

دون أن يجد راحة؟ ومن ذا الذي أتى مثقلاً بالشكوك دون أن يجد صفاء في ذهنه؟

[٨٧] حياته شاهدة كارزة للكثيرين

والعجب في نسك أنطونيوس أنه إذا كانت له موهبة تمييز الأرواح، عرف حركاتها ولم يجهل أين وجه أحدها نشاطه وصوب هجومه ولم يكن هو وحده الذي لم ينخدع منها، بل إذ طيب خاطر الذين أثقلتهم الشكوك، علمهم كيف ينتصرون على حيلها، مبيناً لهم ضعف ومكر تلك الأرواح التي تسلطت عليهم. وهكذا نزل كل واحد من الجبل كأنه قد أُعد للحرب غير مبال بمؤامرات إبليس وشياطينه.

وكم من عذارى حفظن عذراويتهن من أجل المسيح بمجرد رؤية أنطونيوس من بعيد. وأتى إليه الناس أيضاً من أقطار أجنبية وإذ حصلوا على بعض الفائدة، رجعوا ككل الباقين، كأنهم تلقوا المعونة من أبيهم. ويقيناً أنه عندما مات أحس الجميع بأنهم حُرموا من أب، وعزوا أنفسهم بمجرد ذكرياتهم له، محتفظين في نفس الوقت بمشورته ونصائحه.

[٨٨] حديثه الأخير للرهبان

وجدير بالذكر أن أقص عليكم كيف كان موته لكي تسمعوا هذا كرغبتكم، لأن نهايته هذه تستحق الإقتداء بها. فإنه كعادته زار

الرهبان في الجبل الخارجي، وإذ عرف من العناية الإلهية أن نهايته قد اقتربت. قال للإخوة: هذه آخر زيارة أقوم بها لكم. وإن رأينا بعضنا مرة أخرى في هذه الحياة كان ذلك مثاراً للدهشة. أخيراً قد قرب وقت ارتحالي، لأنني أشرفت على المائة وخمسة أعوام.

وعندما سمعوا هذا بكوا وعانقوا الشيخ وقبّلوه. أما هو فتكلم بفرح وكأنه مسافر من مدينة غريبة إلى وطنه. ونصحهم بأن لا يتكاسلوا في عملهم ولا يخوروا في تدريبهم بل يعيشوا كأنهم مماتون كل يوم، ثم قال لهم يجب أن تحرصوا كل على حفظ النفس من الأفكار الدنسة، وأن تقتدوا بالقديسين بكل نشاط. ولا تكون لكم أية خلطة بالمانيين المنشقين. لأنكم تعرفون أخلاقهم الشريرة الفاسدة ولا تكن لكم أية شركة مع الأريوسيين لأن كفرهم واضح للجميع ولا تزعجوا إن رأيتم القضاة يحمونهم لأن دفاعهم عنهم له نهاية. وعظمتهم زائلة ولمدة قصيرة، لذلك ابذلوا حرصاً أوفر لحفظ أنفسكم بلا دنس منهم، ولاحظوا تقاليد الآباء لا سيما الإيمان المقدس بربنا يسوع المسيح الذي تعلمتوه من الكتب، والذي طالما ذكرتكم به.

[٨٩] ينتقد طريقة الدفن عند المصريين

ولما ألح عليه الإخوة ليمكث معهم ويموت هناك رفض لأسباب كثيرة كان ينم عنها التزامه الصامت، وكان أخصها

هذا السبب: إن المصريين معتادون إكرام أجساد الصالحين – لا سيما أجساد الشهداء – بالخدمات الجنازية ولفها بالأقمشة الكتانية عند الموت، وعدم دفنها تحت الأرض، بل وضعها على أرائك، وحفظها في منازلهم ظانين أنهم بهذا يكرمون الراحلين. وطالما حث أنطونيوس الأساقفة لإعطاء النصائح للشعب في هذه الناحية، كذلك علم العلمانيين ووبخ النساء قائلاً: إن هذا الأمر ليس هو مقدس على الإطلاق، لأن أجساد الآباء البطاركة الأولين والأنبياء محفوظة إلى الآن في مقابر، ونفس جسد الرب أودع في قبراً وضع فيه حجر، وبقى مختبئاً إلى أن قام في اليوم الثالث [1] ولما سمع هذا الكثيرون دفنوا الموتى منذ ذلك الوقت تحت الأرض وشكروا الرب إذ تلقوا التعليم الصحيح.

[٩٠] وصيته الأخيرة لتلاميذه

أما هو فإذ كان يعرف هذه العادة ويخشى أن يُعامل جسده بتلك الطريقة أسرع لدخول الجبل الداخلي الذي اعتاد الإقامة فيه بعد أن ودع الرهبان في الجبل الخارجي. وبعد شهور قليلة حل به المرض. فدعا الراهبين اللذين كانا قد بقيا معه في الجبل خمسة عشر عاماً يمارسان النسك ويخدمان أنطونيوس بسبب تقدمه في

(1) يو ١٩: ٤١، مت ٢٧: ٦٠.

السن، وقال لهما: إنني كما هو مكتوب [1] ذاهب في طريق الآباء. لأنني أرى أنني دُعيت من الرب. فكونوا ساهرين ولا تفسدوا نسككم الطويل، بل كأنكم مبتدئين الآن حافظوا على عزمكم بغيرة، لأنكم تعلمون خداع الشياطين، وكيف أنها متوحشة ولكنها قليلة القوة، لذلك لا تخافوها، بل بالحري تنسموا المسيح دواماً وثقوا فيه، **عيشوا كأنكم تموتون كل يوم**، التفتوا إلى أنفسكم وتذكروا النصائح التي سمعتموها مني لا تكن لكم شركة مع المنشقين ولا أية خلطة على الإطلاق مع الأريوسيين الهرطوقيين لأنكم تعلمون كيف أنني تجنبتهم بسبب عداوتهم للمسيح وتعاليم هرطقتهم الغريبة، لذلك كونوا أكثر غيرة على الدوام لإتباع الله أولاً والتمثيل بالقديسين حتى يقبلوكم أيضاً بعد الموت كأصدقاء معروفين – في المظال الأبدية، تأملوا في هذه الأمور وفكروا فيها، وإن كنتم تحترمونني وتهتمون بي كأب فلا تسمحوا لأي شخص بأخذ جسدي إلى مصر، لئلا يضعوني في البيوت، لأنني دخلت الجبال وأتيت هنا لأتفادى هذا.

أنتم تعرفون كيف أنني كنت دواماً أوبخ من تمسكوا بهذه العادة ونصحتهم ليكفوا عنها، لذلك ادفنوا جسدي وخبئوه تحت الأرض بأنفسكم، وحافظوا على كلمتي حتى لا يعرف المكان أحد

(1) يش ٢٣: ١٤.

سواكما، لأنني في قيامة الأموات سأتقبله بلا فساد من المخلص، ووزعوا ثيابي، لأثناسيوس الأسقف أعطوا جلد خروف والرداء الذي أنا مضطجع عليه والذي أعطانيه هو جديداً، ولكنه عتق معي، ولسيرابيون الأسقف أعطوا الجلد الآخر، واحتفظوا لأنفسكم بالثوب المصنوع من الشعر [1] أما الباقي فخذاه يا ولديّ لأن أنطونيوس راحل، ولن يبقى معكما فيما بعد.

[٩١] نياحته وتوزيع ملابسه

وإذ قال هذا قبلاه ثم حرك قدميه، وكأنه رأى أصدقاء قادمين إليه وفرح بهم، لأنه إذ رقد بدت طلعته باشة وعندئذ مات وضم إلى آبائه. أما هما فبناء على وصيته لفاه ودفناه مخبئان جسده تحت الأرض، ولا يعرف أحد حتى اليوم أين دُفن سوى هذان الاثنان. وكل من تقبل جلد الغنم من المغبوط أنطونيوس والثوب الذي كان يلبسه حسب ذلك كنزاً نفيساً، لأن مجرد

(1) قال جيروم أن أنطونيوس تقبل من بولس الطيبي (نسبة إلى طيبة) بذلة كهنوتية مصنوعة من أوراق النخيل وكان يلبسها دواماً في الأعياد. فلو كان لهذه التركة وجود وهي الأثمن من أرجوان الملوك لما كان قد غفل عنها أنطونيوس في الوصية بممتلكاته العالمية، ولذلك فإن عدم ذكر شيء عن هذه الحلة الكهنوتية في هذا الكتاب قد يلقي الشك على رواية جيروم.

التطلع إلى هذه الأمتعة كان يعتبر تطلعاً إلى أنطونيوس وكل من لبسها كان يبدو كأنه حامل نصائحه بفرح.

[٩٢] تعليق القديس أثناسيوس على حياته

هذه هي نهاية حياة أنطونيوس في الجسد أما الوصف الذي تقدم فهو لمحة عن نسكه. وبهذا يمكنك أن تدرك كيف كان أنطونيوس رجل الله عظيماً، وذلك الذي منذ شبابه إلى سن متقدمة كهذه احتفظ بغيرة شديدة نحو النسك و لم ينغلب بسبب تقدم سنه من شهوة الأطعمة الفاخرة ولا غير سبب ضعف جسمه من طريقة ملابسه، ومع ذلك فقد ظل سليماً من كل أذى، لأن عينيه لم تظلما، بل بقيتا سليمتين تماماً وكان يرى بوضوح، أما أسنانه فلم يفقد واحدة منها، بل زادها شيخوخته ثباتاً في اللثة، وظل قوي اليدين والقدمين، وبينما كان كل الناس يستعملون أطعمة منوعة وثياباً متعددة كان هو أكثر انشراحاً وأوفر قوة ببساطة طعامه وملبسه.

أما ذيوع شهرته في كل مكان واحترام الجميع له بإعجاب واشتياق الذين لم يروه لمشاهدته، كل هذا برهان واضح على فضيلته ومحبة الله لنفسه، لأن أنطونيوس لم يشتهر بسبب كتاباته أو بسبب أية حكمة عالمية أو أي فن، بل بسبب تقواه نحو الله فقط، ليس من ينكر أن هذه كانت موهبة من الله، لأنه من أين كان ممكناً أن

يسمع عن ذلك الرجل ساكن الجبال في أسبانيا وبلاد الغال، في روما وإفريقيا لولا الله الذي يجعل أخصاءه معروفين في كل مكان، ولأنه وعد أنطونيوس بهذا في بداية حياته لأنهم حتى إن عملوا في الخفاء، وأرادوا أن يبقوا متوارين، إلا أن الرب يُظهرهم كمصابيح لإنارة الجميع، لكي يعرف كل مَنْ يسمع أن وصايا الله قادرة على أن تقود الإنسان إلى النجاح فيزدادوا غيرة في طريق الفضيلة.

[٩٣] نصيحة القديس أثناسيوس للرهبان

لذلك اقرأوا هذه الكلمات لسائر الإخوة لكي يعرفوا ماذا يجب أن تكون عليه حياة الرهبان، ولكي يؤمنوا أن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح يمجد الذين يمجدونه، ويقود الذين يخدمونه إلى النهاية، ليس فقط إلى الملكوت، بل أيضاً يجعلهم ظاهرين (حتى ولو أخبوا أنفسهم وأرادوا الاعتزال عن العالم) ومعروفين تمام المعرفة في كل مكان بسبب فضيلتهم والمساعدات التي يقدمونها للآخرين.

وإن لزم الأمر اقرأوا هذا بين الوثنيين، حتى يعرفوا أن ربنا يسوع المسيح ليس فقط إلهاً وابن الله، بل أيضاً أن المسيحيين الذين يخدمونه بالحق ويؤمنون به لا يبرهنون فقط على عدم ألوهية الشياطين التي يظنها الوثنيون أنفسهم آلهة، بل أيضاً يدوسونها تحت أقدامهم، ويطاردونها كمضللة ومفسدة للبشر، وذلك بيسوع المسيح ربنا الذي له المجد إلى أبد الآبدين آمين.

التجمعات الرهبانية التي أسسها الأنبا أنطونيوس

القديس أنبا أنطونيوس هو أب الرهبان في العالم كله، ولكن لا ينبغي أن يُفهم من ذلك أنه أول من طرق هذا الباب، فقد انتشرت الحياة النسكية قبل أنطونيوس بعشرات السنين. وكان هؤلاء النساك قد نبذوا العالم وشهواته، واعتنقوا الحياة النسكية تاركين الأقارب والأصدقاء باذلين كل عناية واجتهاد في حفظ تعاليم مخلصنا الصالح. وكان لهؤلاء النساك صومعة أو كوخ يحيون فيها مواظبين على إماتة الشهوات بالسهر والأصوام والصلوات. وكانت هذه الأكواخ والأماكن المختلفة قريبة من القرى والمدن. هكذا مرت الحياة النسكية من جيل إلى جيل في القرون الأولى من المسيحية، إلى أن جاء الأنبا أنطونيوس الذي جمع هؤلاء النساك ونظَّم أحوالهم ووضع لهم قواعد ورسوماً غير مكتوبة يتلقنها كل مبتدئ في هذه الحياة الرهبانية.

حتى قال عنه القديس أثناسيوس أن الأديرة التي شيَّدها القديس أنطونيوس قد امتلأت من الرهبان الذين كانوا قد قضوا حياتهم في التراتيل والدرس والصوم والصلاة والتأمل محافظين على اتحاد الروح برباط السلام.

وعليه فلم يكن الأنبا أنطونيوس أول الرهبان، بل كان قبله من اعتنق هذه الحياة. وما دُعيَّ بهذا اللقب السامي، إلا لأنه أول من جمَّع النساك إلى الأديرة ووضع لهم القوانين والرسوم.

(١) أول دير رهباني هو دير برية بسبير:

يقع هذا الدير على البر الشرقي عند حاجر الجبل الشرقي التابع حالياً لمركز أطفيح محافظة حلوان ويقابله على البر الغربي ناحية الميمون بمركز الواسطى محافظة بني سويف ويسمى حالياً دير الميمون. وكان يعرف قديماً بعدة أسماء منها دير الجميزة حيث ورد في كتاب بستان الرهبان عن القديس أنبا أنطونيوس أنه لم يزل سائراً حتى وجد هناك جميزة كبيرة فسكن هناك ولازم النسك والصوم الطويل. ويُقال عنه أيضاً الدير التحتاني تمييزاً له عن الدير القائم بالجبل (الدير الفوقاني).

وقد ذكر القديس أثناسيوس عن أنبا أنطونيوس بعد أن أقام القديس في الجبل الداخلي كان ينزل إلى الصومعة الخارجية ليفتقد الرهبان هناك، وفي هذا الدير تمت عدد من المقابلات مع الزوار والمرضى والفلاسفة اليونانيين وفيه دارت أحاديثه وعظاته ويُطلق عليه الآن دير الميمون. سُميَّ بهذا الاسم نسبة إلى ناحية الميمون الواقعة على البر الغربي من النيل مقابله.

وهو الآن غير عامر بالرهبان منذ أوائل القرن السابع عشر الميلادي، بل يسكن حول الدير مجموعة من الأقباط، يُصلُّون بكنيسة الدير ويزرعون الأرض الواقعة في زمامه، ويعمل بعضهم بقطع الحجر من الجبال المجاورة.

(٢) دير الأنبا أنطونيوس بالبرية الشرقية (جبل القلزم):

بعد أن تدرج القديس على العبادة توغل في أعماق الصحراء حتى وصل إلى نبع ماء فأقام على مقربة منه منفرداً بذاته بعيداً عن العالم ومتاعبه إلا أن الناس الذين أعجبوا بحياته الطاهرة وسيرته النقية لم يتركوه وأصروا على الإقامة عنده والتتلمذ على يديه وبذلك اتسع العمل الروحي.

وقد كان دير القديس الرئيسي في ذلك الوقت عبارة عن عدة قلالي متناثرة حول مسكنه أو تبعد قليلاً بعضها مغائر طبيعية أو ما أصلحه الرهبان بأيديهم ولا تزال باقية إلى الآن قلاية القديس بولس البسيط. أما أول بناء قام في هذا المكان المقدس هو الكنيسة التي سُميت باسم أنطونيوس بعد انتقاله في نفس المكان الذي دفنت فيه رفاته.

أما أسوار الدير فيقول أبو المكارم أنها بُنيت في عهد يوليانوس الملك ويرى البعض أنها شُيدت بعد ذلك ولكنهم لا يتجاوزون ختام القرن الرابع ويقع الدير في سفح جبل القلزم

أحد سلسلة جبال القلالة القبلية وهو مقابل بني سويف شرقاً. وهو عامر بالرهبان منذ نشأته حتى الآن باستثناء فترة حوالي قرن من الزمان فقد هجم العرب البدو على الدير في أواخر القرن الرابع عشر وقتلوا مَنْ فيه من الرهبان ونهبوا أمتعته وتركوه خرباً إلى أن افتقد الله هذه المكان بواسطة البابا غبريال السابع البطريرك الخامس والتسعون (١٥١٨ – ١٥١٦م) فقام بتعميره وتجديد مبانيه ونقل بعض من رهبان دير السريان لتعمير هذا الدير مرة أخرى.

(٣) برية أرسينوي (الفيوم)

حظيت التجمعات الرهبانية ببرية أرسينوي (الفيوم) برعاية القديس الأنبا أنطونيوس وهذا واضح من الرسالة السادسة للقديس حيث يذكر:

من أنطونيوس إلى جميع الإخوة الأعزاء الذين في أرسينوي (الفيوم) وما حولها .. ويرجح أن القديس قد زار هذه البرية أكثر من مرة.

ونستدل على ذلك من سيرة الأنبا إسحاق تلميذ الأنبا أنطونيوس والمذكورة بالمخطوط رقم ١١٢ تاريخ بدير الأنبا أنطونيوس حيث تذكر الآتي: وإذا ملاك الرب ظهر لأنبا أنطونيوس قائلاً امض إلى جبل الشركة بإقليم الفيوم لأنه سيكون

لك أولاد رهبان يصير منهم كهنة ورؤساء كهنة إذا ما حفظوا وصاياك ...

وذهب الأنبا أنطونيوس إلى هناك وأخذ الإخوة إلى الكنيسة وصلى أمام المذبح وألبسهم الإسكيم المقدس ...

ثم سار أنبا أنطونيوس ومعه أنبا إسحاق إلى أن وصلا إلى شمال دير الميمون وتركه الأنبا أنطونيوس بعد أن أرشده وعزاه ومضى إلى ديره ثم تذكر السيرة بعد ذلك أن أنبا أنطونيوس حضر عنده بعد سنين وعزاه وقال له: عدونا شديد ويزأر مثل الأسد تقوى لأن الساعة لا نعلمها ووعظه وقواه وبات عنده ليلة وقام إلى جبل الفيوم بجبل الشركة وأقام عندهم أياماً قلائل ووعظهم وقواهم ورجع إلى ديره بالجبل الشرقي.

وبعد عشر سنوات ظهرت السيدة العذراء للأب إسحاق وقالت له قم وانطلق إلى أبيك أنطونيوس وخذ بركته الأخيرة فإن روحه تتضاعف عليك فتوجه إلى جبل القلزم ومكث عنده أربعة أشهر ونال بركته الأخيرة ولما تنيح أنبا أنطونيوس عاد إلى مواضعهم.

ويقال أن الأنبا ببنوده الذي التف حوله رهبان إقليم الفيوم والمُلّقب أيضاً بأب ورئيس أديرة الفيوم هو أحد تلاميذ الأنبا أنطونيوس.

(٤) جبل نتريا:

سُمىَّ في العصر القبطي جبل البرنوج ويقع بالغرب من المكان المسمى الآن البرنوجي وهي قرية بقرب حوش عيسى.

المؤسس الحقيقي للرهبنة في جبل نتريا هو أنبا أمون وقد أُرغمَ على الزواج في سن الثانية والعشرين من عمره ولكنهما عاشا بتوليين تحت سقف واحد مدة ثمانية عشر سنة. رأت زوجته أنه من الأفضل أن يُعلن هذه الحياة التي يعيشها فتركها إلى جبل نتريا وعاش فيها اثنين وعشرين سنة وقد تنيح. ورأى أنبا أنطونيوس روحه صاعدة إلى السماء مع الملائكة.

وكان أنبا أمون يذهب ويستشير أنبا أنطونيوس في أمر جماعته وأن أنبا أمون رأى أنبا أنطونيوس مراراً وكان للأنبا أنطونيوس تأثير قوي على جماعة النساك في جبل نتريا.

وقد أورد روفينوس هذا الحدث إذ يقول ذهب الأنبا أنطونيوس مرة إلى جبل نتريا لزيارة الأنبا أمون وبعد أن تقابلا قال له الأنبا أمون، بما أن الإخوة قد تكاثروا بصلواتك، وبما أن بعضهم يريد أن يبني قلالي بعيدة عن بعضها لأجل أن يعيشوا في سلام، فما هي المسافة التي تنصح بها ؟ فأجاب أنبا أنطونيوس لنتناول طعامنا في الساعة التاسعة ثم نخرج نحو الصحراء ونختار

المكان، وسارا في الصحراء حتى غروب الشمس، ثم قال له: لنصل ونرفع الصليب في هذا المكان.

وهذا الخبر يؤكد مدى اهتمام الأنبا أنطونيوس المباشر بالمركز النسكي الجديد ومدى العلاقة بين الأنبا أنطونيوس ورهبان جبل نتريا.

(٥) منطقة القلالي أو برية كيليا (سيليا)

تقع منطقة القلالي على مسافة نحو ١٩ كيلومتراً إلى الجنوب الغربي لنتريا في الطريق إلى شيهيت وقد اشترك الأنبا أنطونيوس مع الأنبا أمون في إنشائها كما ذكر من قبل.

وكان الأب الروحي لمنطقة القلالي هو القديس مكاريوس الإسكندري وقد ولد هذا القديس بمدينة الإسكندرية في مستهل القرن الرابع وقد اشتغل خبازاً لبضع سنوات كما قيل أنه اشتغل بمهنة الرعي وقد عرف عن مكاريوس الإسكندري أنه لم يباشر حياة الرهبنة قبل سن الأربعين وقد زار القديس أنطونيوس في الصحراء الشرقية وتتلمذ على يديه سنة ٣٣٥م ثم رحل من هناك إلى نتريا بعد نياحة القديس أمون ورسم قساً حوالي سنة ٣٥٥م ثم تاقت نفسه إلى الحياة الانعزالية فاتجه جنوباً إلى سيليا أو منطقة القلالي وكان قدومه إلى سيليا سبب شهرة عظيمة

للمنطقة وعندما أخذت نتريا تفقد مكانتها بدأت سيليا في الازدياد والازدهار حتى القرن الثامن الميلادي.

وكل ما يبقى الآن هناك بعض الكثبان الرملية وقد قامت بعض البعثات الاستكشافية في الفترة من (١٩٦٤ – ١٩٨٤م) من جامعة جنيف بسويسرا وكذلك المعهد الفرنسي للآثار الشرقية من رسم صورة متكاملة عن هذه المنطقة التي سكنها أولاد أنبا أنطونيوس بعد أن حدد أب الرهبان هذا المكان أثناء زيارته للمنطقة لافتقاد أنبا أمون.

(٦) برية شيهيت:

أُطلق على هذه البرية عدة أسماء منها شيهات وشيهيت والإسقيط والبرية الغربية وبرية مكاريوس ووادي هبيب ووادي النطرون. وهي تقع في منتصف الطريق الصحراوي بين القاهرة والإسكندرية.

يبدأ التاريخ الرهباني لهذه البرية في القرن الرابع الميلادي بمجيء الأنبا مكاريوس الكبير وعاش بها إلى أن تنيح عام ٣٩٠م.

يُعتبر الأنبا مكاريوس تلميذاً للأنبا أنطونيوس إذ ذهب إليه كثيراً وتعرف منه على نظام الحياة الرهبانية وهو الذي ألبسه الإسكيم المقدس ويصف كتاب أقوال الآباء الزيارة الأولى " وذهب أبا مقارة لزيارة أبا أنطونيوس في جبله فلما دق الباب

خرج أنطونيوس وسأل من بالباب؟ ثم قفل الباب ودخل إلى مغارته وتركه خارجاً، ولما رأى صبره فتح له وتحدث معه بلطف قائلاً: " إني لي زماناً كثيراً وأنا مشتاق أن أراك إذ سمعت بأخبارك وجلسا يتكلمان عن خلاص النفس وأثناء ذلك يجدلان الخوص أيضاً ولما رأى أبا أنطونيوس ضفيرة أبا مقار وأنه ضفر كثيراً قال أن قوة كبيرة تخرج من هاتين اليدين.

وهناك زيارة أخرى تحدث عنها أنبا سيرابيون أسقف تمي كانت أثر أتعاب وحروب شديدة أثارها عليه عدو الخير فقام ومضى عند الأب الكبير أنطونيوس فلما نظره أنبا أنطونيوس من بعيد قال لتلاميذه هذا الإنسان سيكون غصناً مستقيماً وكبيراً وله ثمرات حلوة. ويُخبرنا أنبا سيرابيون أن في هذه المرة ألبسه الإسكيم المقدس ثم وعظه بكلام معزي وقال له " تأيَّد واحذر وتحفظ على القوة التي عندك أعني الكاروبيم المقدس وأعطاه الشيخ عصاته القديمة وقَبّله قُبلة مقدسة وعاد إلى شيهيت وجاء الآباء لاستقباله وتحدث معهم عن هذه الزيارة.

تجمعات أخرى خارج مصر:

وليس في مصر فقط التي تأثرت الرهبنة فيها بحياة وتعاليم هذا الناسك العظيم، بل العالم كله كما يخبرنا القديس جيروم: أنه لما ذهب الأنبا أثناسيوس الرسولي إلى رومية أخذ معه سيرة

أنطونيوس التي ألفها وكان كثيرون بعد أن قرأوا هذه السيرة هجروا العالم وترهبوا. فكانت هذه السيرة هي السراج الذي جذب إليه كل عشاق البتولية والتكريس من كل قبيلة وشعب وأمة فكانت الجماعات الرهبانية في بلاد الشرق وشمال إفريقيا وأوربا تعتنق أفكار وتعاليم أنطونيوس.

ولم يكتفِ أنبا أثناسيوس فقط بنشر السيرة بل كان يعلم ويعظ عن أنطونيوس في كل مكان يذهب إليه ويُخبر الآخرين أنه كان يزور أنبا أنطونيوس في الصحراء ليتعزى بمحادثته ويسترشد برأيه وكان يفتخر بهذا بل يفتخر بأنه كان يصب الماء على يديه. بل حينما لفت نظر أشراف أوربا بساطة ملبس أنبا أثناسيوس أخبرهم أنها منقولة عن الملابس التي يرتديها معلمنا أنطونيوس لأننا نقتدي به. هذه الأشياء جميعها جعلت القديس غريغوريوس النزيزي عندما يمتدح القديس أثناسيوس يورد ذكر كتاب حياة أنطونيوس فيقول: " كما كتب تاريخ أنطونيوس ذلك الرجل الإلهي الذي فيه رسم قوانين الرهبنة على مستوى العالم ".

وهكذا جذبت رائحة المسيح التي في معلمنا أنبا أنطونيوس الشرق والغرب بل كثيرون جاءوا من أماكن متفرقة تجذبهم أريج هذه الرائحة أمثال القديس إيلاريون الكبير الذي جاء من

فلسطين وأسس رهبنة هناك وكذلك القديس إبيفانيوس الذي تتلمذ على يد أنبا إيلاريون وجاء إلى مصر والتقى بالقديس أنطونيوس ثم عاد مرة أخرى إلى فلسطين ثم رُسم أسقفاً على سلاميس بقبرص.

وكذلك مار أوكين المصري الأصل الذي أسس مع سبعين راهباً قبطياً رهبنة في براري ماردين ونصيبين والموصل.

وقد عملت سيرة الأنبا أنطونيوس في تغيير حياة الكثيرين ولعل خير مثال هو القديس أغسطينوس الذي كان وثنياً واهتم والده بتعليمه العلوم الفلسفية وسائر الثقافات في عصره عندما قرأ سيرة أنبا أنطونيوس تغير مجرى حياته.

كانت هذه السيرة نوراً وهاجاً استطاع أن يبدد ظلمات حياة أغسطينوس.

رسائل

القديس أنطونيوس

الرسالة الأولى

في الخروج من العالم إلى الرهبنة وهو على ثلاث رتب

قال قبل كل شيء أنا أطلب خلاصكم بالرب وأقول أن الأرواح التي بلّغت إليها بشارة روح الله من رجال ونساءٍ ثلاث رتب:

(الرتبة الأولى):

هم الذين قبلوا بناموس الطبيعة والحرّية المخلوقة، معهم أوّلاً ما بلغ إليهم من البشرى بالقول ولم يتوانوا، بل أسرعوا مستعدّين كما كان أبونا إبراهيم مستعدّاً بناموس الطبيعة فكلّمهُ الله قائلاً: أُخرج من أرضك ومن بني جنسك وأدخل إلى الأرض التي أُريك إيّاها ولا تكن ذا قلبين.

فاستعدَّ إبراهيم لهذه الدعوة وصار مثالاً للذين يبتدؤُن، وإلى الآن هذه الدعوة ثابتة لمن يريد الدخول في هذا الشكل إذا هم صنعوا هكذا حتى يكون قلبهم مستعداً أن يتبع روح الله، فهم يقبلون المواعيد براحةٍ وهذه صفة هؤُلاءِ.

(والرتبة الثانية):

هم الذين يسمعون المكتوب وهو يشهد لهم بالدينونة التي تكون للخطاة والمواعيد الصالحة التي تكون لمن يبغي صالحاً، ومن أجل هذه الشهادات المكتوبة في الناموس تيقظت نيَّاتِهم وطلبوا الدخول في هذه الدعوة، كما قال داود النبي: أن ناموس

الرب يحيي النفوس. وقال أيضاً: كلامك يضيء لي، وناموسك يعلم الأطفال، والمكتوب مثل هذا كثير.

(الرتبة الثالثة):

هم الذين قلوبَهم قاسية، مدمنون على افتعال الخطايا فيجلب عليهم الله الرحوم مصاعب وشدائد حتى تتنبَّه سرائرهم ونيَّاتِهم لكثرة ما يأتي عليهم، فيندمون ويرجعون ويستعدُّون ويدخلون إلى هذه الدعوة ويتوبون من كل القلب ويقبلون المواعيد كالرتبتين الأولى والثانية. فهذه الثلاث رتب التي تدعى بِها النفوس الراجعة إلى الرب حتى تنال نعمة ربنا يسوع المسيح ابن الله.

وأنا أقول أن كل الذين دخلوا بكل قلوبِهم يتعلمون الصبر إلى أن يقتدروا على مضادة العدوّ، وقبل كل شيء فإن الروح القدس يدعوهم ويسهل عليهم كل الأمور حتى يَحْلو لهم الدخول في التوبة ويظهر لهم طرقها على الحقيقة ليتوبوا بأرواحهم بالقوَّة ويقمعوا الجسد والروح لكي يطهرا كلاهما ويصيروا وارثين الحياة الأبدية.

أما الجسد فتُتعبه بالصوم الكثير والسهر والجهاد وبقية الخدم التي هي الأثمار الجسدانية، ولهذا تكون روح التوْبة لذلك الإنسان تعزّيه وتعرفه أن لا يرجع إلى ورائه، ولا يتعلق بشيء من أمور العالم، وتفتح عيني النفس أيضاً للتوبة الحقيقية لكي

تطهر مع الجسد ويكونا كلاهما في الطهر واحداً لأن هذا هو تعليم الروح القدس لأنه يسعى أمامهما ويطهرهما، ويمحي عنهما الطبائع الممزوجة في الجسد وينقلهما إلى الخلقة الأولى التي كانت قبل المخالفة، ولا يبقى في الإنسان شيء من أمور العدوّ، وعند ذلك يصير الجسد تابعاً لإرادة العقل يطهرهُ في أكلهِ وشربهِ ورقادهِ وسائر تصرفاته ويتعلم من الروح القدس كما قال معلمنا بولس الرسول: أني أخضع جسدي وأستعبده.

وأنا أعلم أن في الجسد ثلاث حركات:

الأولى: دائمة فيه وليس لها سلطان أن تفعل شيئاً بغير إرادة النفس.

والحركة الثانية: فإنَها تحرك الجسد إلى المآكل والمشارب الشهية لأن حرارة الدم المتولدة من كثرة الأغذية تحارب الجسد وتستميلهُ إلى الشهوات الرَّديئة، ولذلك قد حذَّر سيدنا المسيح له المجد تلاميذه بقوله لا تثقل قلوبكم بالشبع والسكر، وبولس الرسول يقول: لا تسكروا من الخمر الذي يكون منه الجنون.

فإذاً يجب على كل الذين لبسوا زيّ الرهبنة أن يقولوا مع بولس الرسول أني أخضع جسدي وأستعبدهُ.

والحركة الثالثة: فإنَها من الأرواح الشرّيرة لكي تردَّ الذين يطلبون الدخول في باب الطهارة، ولكن النفس إذا تسلَّحت بالصبر الدائم وبالشهادات التي من نفس الله، فإن الرُّوح القدس يرشد العقل إلى تطهير النفس والجسد كليهما من هذه الثلاثة حركات.

فإن غفل الإنسان عن هذه الشهادات والتعاليم التي قد سمعها فحينئذٍ تقوى عليه الأرواح الرديئة وتنجّس جسده وتفكر نفسه أن كيف تأْتيها المعونة، فإن رجعت ولصقت بروح الخلاص فعند ذلك تعلم أن الصبر من أجل الله هو راحتها وسلامتها.

وهذه الأقوال التي قلتها هي لأجل اتفاق الجسد والنفس في التوبة فإذا نال العقل هذه النعمة عند ذلك يطلب بالرُّوح القدس ويبتدئُ أن يطرد عن النفس كل المصاعب التي تأتي عليها من شهوات القلب.

وهذا الرُّوح إن كان له شركة مع العقل لأجل حفظ الوصايا التي تعلمها فإنه يرشده ليترع الأوجاع عن النفس واحدة بعد أخرى التي قد امتزجت بالجسد وأيضاً الأوجاع التي لها خاصة، الكائنة فيها يترعها من فوق إلى أسفل القدمين، فالعينان لتضيئا باستقامة وينظرا بطهارة ولا يبقى فيها شيء غريب،

والأذنان ليسمعا بسلامةٍ لا بنميمةٍ ولا بتغييرٍ البتة بل باستقامة وترأُف على جميع الخليقة.

وأيضاً اللسان يتكلم بالطهارة وإن النفس تُعلّم اللسان أن ينطق دائماً بالخير، لأن هذه الأوجاع قد تسلطت عليها من اللسان كما قال السلّيح يعقوب: أن من يقول أنني أخدم الله ولا يلجم لسانه فإنه يضل قلبه، وخدمته باطلة، ويقول في موضع آخر: أن اللسان عضوٌ صغير وينطق بالعظائم وينجس الجسد.

ومثل هذا كثير في الكتب المقدسة، فإذا قوي العقل وأخذ من الرُّوح فإنه يتطهر وعند ذلك يفحص عن كل كلام ينطق به اللسان حتى لا تكون فيه إرادة جسدانية وهذا يكمل عليه قول سليمان القائل: أن الكلمات التي أُعطيتها من الله ليس فيها ميل ولا اعوجاج، ويقول أيضاً: أن لسان البار يشفي الأمراض.

وأيضاً: للأيدي حركات أخرى في بعض الأوقات تعمل بهوى النفس، وليس هكذا الواجب لأن الرُّوح أعدَّهَا للطهارة ورفعها للصلاة وفعل الرحمة والعطاء فيكمل عليها القول المكتوب من أجل هذه الصلوات الطاهرة أن رفع يدي كقربان المساء، ويقول من أجل الرحمة والعطاء أن يدي الأقوياء تعطي بسعة.

والبطن أيضاً يتحرَّز من المآكل والمشارب كما يقول الروح على لسان داود النبي: أني لم أُواكل الرغيب العين، الشره

القلب. فإن كان قد تسلطت عليه كثرة المآكل والمشارب وعدم الشبع واستجذبته النفس الشهوانية إلى ذلك فإن قوَّة العدوّ تختلط معها. فالذين يطلبون بهذا المقدار الطهارة فإن روح الله يهديهم إلى طرقه المستقيمة، وتعضدهم الطهارة واستقامة الجسد.

ويكمل عليهم قول بولس الرسول القائل: إن أكلتم أو شربتم فكل ما تفعلونه يكون ذلك لمجد الله.

فإذا قويت الثلاث حركات المذكورة أوَّلاً على الجسد لتحيده عن التقويم فإن الذي يكون طالباً للخلاص بالحقيقة يترعها عنه براحةٍ ويتمسك بالطهارة. لأن الروح قد صار له ملجأً ويزيدهُ قوَّة ويطفئُ عنه كل الشرور المتحركة عليه.

كما يعلّمنا الرسول بولس قائلاً: أميتوا أوصالكم التي على الأرض أعني الزنا والنجاسة والأوجاع والشهوات الرديئة وما يتبع ذلك.

والرجلان أيضاً إن كانتا ليستا بمستقيمتين ولم يسعيا كإرادة الله بتحرُّز فإن القلب الذي امتلأ بالنعمة يضبطهما ويحركهما بإرادة الروح القدس ليخدما في الأمور الحسنة لكي يتكمل الجسد بجميع الحسنات ويرجع تحت سلطان الروح القدس.

فأنا أقول أن ذلك الجسد قد اتخذ شيئاً من الجسد المزمع أن يقوم في قيامة الصديقين. وهذا قلناه من أجل أوجاع النفس التي

امتزجت مع الجسد وهي تحركه إلى الميل نحو الأوجاع الشرّيرة بخدمتها في جميع الأعضاء.

وأقول أن للنفس أيضاً حركات أُخَر كما تقدم القول نريد نعرفكم بها وهي كبرياءٌ وأوجاع مختلفة غير أوجاع الجسد مثال: تعيير الناس. غضب. ضعف قلب. عدم إمساك. وبقية الآلام. فإن سلمت ذاتِها للرب بكل قوَّتِها فإن الله الصالح يعطيها التوبة الحقيقية ويظهر لها هذه الأوجاع واحدة واحدة لكي تحيد عنها ولا تقوى عليها حركات العدو بالتجارب لأن قصدها التخلص منها.

فإن هي دامت على الصبر والاستماع الحسن للروح القدس الذي يجتذبَها للتوبة. فإن الباري الرؤُوف يترأَف على تعبها وأتعاب الجسد الذي هو كثرة الصوم والسهر الكثير والهذيذ في كتب الله والصلاة بغير فتور والخدمة لجميع الناس بطهارة قلب ومسكنة الروح.

فإذا دامت في هؤُلاء فإن الرب الصالح ينظر إليها وينجيها من جميع التجارب ويخلّصها برحمته ويرحمها لأنه محب البشر ويحق له التسبيح والتمجيد مع أبيه الصالح والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

الرسالة الثانية

لأولاده الرهبان في اشتراع الناموس وتجسد الله الكلمة وفيها يوبخهم على ترك العمل بالوصايا

أنطونيوس يكتب لأولاده الأحباء بالرب ويقرئهم السلام، الآن أيها الأحباء بالرب ليس في وقت واحد فقط يفتقد الله خليقته بل في كل وقت من بداية العالم إلى نهايته، فكل من يطلب الرب باجتهادٍ ومحبةٍ كما يسمع تعاليمه فإنه يكون معه ويعطيه نعمة الروح القدس.

وحيث أن الطبائع الناطقة المشتركة مع الأحياءِ ضعفت وتغيرت بحركات النفس وماتت ولم تستطع أن تفكر في خلقتها الأولى بل صارت كالبهيمة وخدمت المخلوقات دون الخالق. فقد افتقد الخالق بقوَّة صلاحه كل خليقته بنواميسه المحيية.

والذين استحقوا هذه النعمة سعوا بالناموس بكل قوَّتهم ونيتهم فقبلوا روح البنوَّة وتعلَّموا من الروح القدس واستطاعوا أن يسجدوا للخالق كما يجب، كقول الرسول بولس: أن هؤُلاءِ الذين ثبتت لهم الشهادة.

بإيمانهم لم ينالوا المواعيد لأن الله قدم النظر في منفعتنا نحن لئلاَّ يكملوا دوننا لأجل محبته العظيمة إذ هو إله الكل أراد أن يفتقد ضعفنا، فأقام لنا موسى الذي أعطانا الناموس على يديه

ووضع لنا أساس البيت الحقيقي الذي هو الكنيسة الناطقة الواحدة. وبمشيئته دبَّر أن يردَّ الخليقة إلى خلقتها الأولى.

فبنى موسى البيت ولم يكمله بل مضى وتركه. فأقام الله بعده جماعة الأنبياء بهذا الروح الواحد، فبنوا هم أيضاً على الأساس الذي وضعه موسى ولم يكملوا بل مضوا وتركوه.

ثم أن آبائنا الروحانيين لما نظروا هذا المرض ليس له شفاءٌ علموا أن لا أحد من هذه الخليقة يقدر أن يشفيه ما خلا وحيد الآب وحده الذي هو صورة أزليته الذي به كانت كل الخليقة التي هي مثاله وتحققوا أنه المخلص والطبيب.

فطلبوا باجتهادٍ من أجلنا نحن لأننا شركاؤُهم في الأعضاء قائلين: أليس درياق (ترياق) في جلعاد ولا طبيب لماذا لم يأت شفاءُ ابنة شعبي أعطينا أدويتنا فلم نُشفَ فالآن نَهرب منها.

وأن الله الكلمة بمحبته الغير مدروكة أتى إلينا كقول أنبيائه الأطهار: يا ابن البشر اتخذ لك آلة السبي، وهو الكامل بصورة الله ولم يختطف ذلك اختطافاً أن يكون عديلاً لله بل اتضع وأخذ شكل العبد وتشبَّه بنا نحن البشر ما خلا الخطية وأطاع إلى حد موت الصليب، فرفعه الله بالأكثر وأعطاه اسماً أعظم من جميع الأسماء لكي باسم يسوع تجثو كل ركبة مما في السماء وعلى الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع هو الرب ومجد الله الآب.

فمن الآن أيها الأحباء ليكون هذا الكلام ظاهراً لكم أن الآب بصلاحه لم يشفق على ابنه الوحيد بل سَلمه من أجل خلاصنا من خطايانا وآثامنا واتضع من أجلنا وشفانا بأوجاعه وبكلمة قوَّته جمعنا من أقطار الأرض وكل المسكونة وصار لنا قياماً وخلاصاً من خطايانا وأعلمنا أننا أعضاءُ بعضنا بعض.

فأطلب إليكم أيها الإخوة الأحباء باسم الرب يسوع المسيح أن تعلموا هذا التدبير العظيم. أن الإله الكلمة تشبَّه بنا في كل شيء ما خلا الخطية. والواجب على جميع الناطقين أن يعلموا هذا ويفرّقوا بين الخير والشر ليستطيعوا أن يصيروا أحراراً بمجيئه إلينا.

فالذين قد تحرَّروا وتدبروا بتدبيره دعوا عبيداً له وليست هذه الدعوة هي الكمال بل البرُّ في وقته هو الكمال وهو الذي يرشد إلى البنوَّة.

ولما علم ربنا يسوع المسيح أن تلاميذه قد اقتربوا أن يقبلوا روح البنوَّة وقد عرفوه وتعلموا بروح القدس قال لهم: ليس أدعوكم الآن عبيداً بل أحباءً وإخوةً لأن الذي سمعته من الآب أعلمتكم به.

فالذين عملوا بحقيقة جوهرهم العقلي نطقوا بأصواتهم قائلين: إنا لم نقبل روح العبودية فنخاف بل روح البنوَّة الذي

ندعو به الآب يا أبانا. فالآن يارب قد علمنا ما أنعمت به علينا وإن كنا بنين فنحن وارثين لله وأحباءَ وشركاءَ ميراث المسيح.

فليكن هذا الكلام ظاهراً لكم والذي لا يستعد أن يقوم بكل قوَّته فليعلم أن مجيء الرب المخلّص سيكون له دينونة فنحن لقومٍ رائحة موتٍ للموت ولقومٍ رائحة حياةٍ للحياة. وأن هذا لسقوط وقيام كثيرين من إسرائيل وعلامة المراء.

فأطلب إليكم أيها الإخوة الأحباءُ باسم ربنا يسوع المسيح أن لا تتوانوا عن خلاصكم بل فليشقّ كل واحد فواحدٍ منكم قلبه لا لباسه لئلاَّ نكون قد توشحنا بالإسكيم ونعدُّ لنا دينونةً فإنه قد قرب الزمان ويدان كل واحد فواحد كنحو عمله.

ولأجل غموض الكلام أردت أن أكتب إليكم أكثر فأمسكت لأجل القائل: أعطِ الحكيم سبباً فيزداد حكمة، أُقريكم السلام كبيركم وصغيركم، ونعمة الرب تكون معكم أيها الأحباءُ إلى الأبد آمين.

الرسالة الثالثة

لأولاده الرهبان يحثهم على العمل بأقوال من الإنجيل والرسائل

قال لهم يا أولادي أن الإنسان الناطق إذا استعد أن يُعتق في يوم مجيء ربنا يسوع المسيح فإنه يعرف ذاته بجوهر العقل لأن من يعرف ذاته فهو يعرف تدابير الخالق في خلائقه الأحباءِ بالرب واشتراكهم في الميراث الأبدي بشركة أعضاءِ القديسين.

ولهذا أنا أطلب إليكم باسم ربنا يسوع المسيح أن تسعوا بما يجب عليكم للرب لكي يعطيكم بأجمعكم روح إفراز لتميزوا وتعلموا المحبة التي لي فيكم، أنها ليست محبة جسدانية بل محبة روحانية.

ولذلك لم نسميكم بأسمائكم الجسدانية لأنها تزول بل بالثابت، لأن كل أحدٍ يعلم الاسم الحقيقي ينظر اسم الحق، كما كان اسم يعقوب أولاً عندما كان مع الملاك في الليل فلما كان الصباح دُعي اسمه إسرائيل، وترجمة إسرائيل العقل الناظر لله.

وأنا أعلم أنه ليس يخفي عنكم أن مضادي الفضيلة يقصدون إبطال الحقيقة في كل وقت، ولكن الله في كل وقت يتعاهد خليقته منذ بدءِ العالم إلى الأبد.

والذين يريدون أن يأتوا للخالق بكل ناموس قلوبهم فإنه يعلمهم أن يسجدوا له كما يجب.

والآن فمن كثرة الضعف وثقل الجسد وحرب الأعداء الخبثاء نشفت حواس الجسد الطاهرة، وصارت حواس النفس بغير قوة، فليست هي محلوله مع الجسد لأن جوهرها عادم الموت ولم تستطع أن تنعتق ببرها، ومن أجل هذا لم تستطيع أن تطلب ما يخصها لترجع كالخلقة الأولى.

ولذلك عمل الله معها بصلاحه وعلمها أن تسجد للآب كما يجب لأن الله واحد هو والجوهر العقلي أيضاً كائن في الوحدانية.

فليكن هذا الكلام يا أحبائي ظاهراً لكم فإن كل المجتمعين إذا لم يكونوا قلباً واحداً وإلاّ فهم يجلبون عليهم الحروب ويصنعون لهم دينونة.

فلما نظر الخالق إلى الخلقة وأنها قد اتسعت ضربتها وهي محتاجة إلى أطباءٍ ليشفوها أرسل سيدنا يسوع المسيح الذي هو خالقها ومشفيها منذرين أمامه، ولسنا نخاف إذا قلنا أن موسى كبير الأنبياء واضع الناموس أحدهم، والروح الفاعل في موسى هو الفاعل في جميع الأطهار بعده.

وتكلموا جميعهم من أجل ابن الله الوحيد، وكذلك يوحنا أيضاً أحد المنذرين لأن الناموس إلى يوحنا ومنه يغتصب ملكوت الله والغاصبون يختطفونه.

وهؤلاء جميعهم اللابسين الروح علموا أنه لا يستطيع أحد من الخليقة أن يشفي جرحاً هذا المقدار مقداره إلاّ صلاح الابن الذي هو وحيد الآب الذي أرسله خلاصاً لجميع المسكونة لأنه الطبيب العظيم الذي يمكنه أن يشفي هذا الجراح المتزايد. والآب بصلاحه لم يشفق على وحيده بل أسلمه عن خطايانا.

ولأجل خلاصنا جميعنا من آثامنا وضع الوحيد ذاته عنا وبذلك شفانا جميعاً من آثامنا، وبقوة كلمته جمعنا من أقطار الأرض إلى أقطارها وجعل لقلوبنا قيامة من الأرض، وعلمنا أننا أعضاء بعضنا بعض.

فأنا أطلب إليكم أيها الأحباء بالرب أن تتأملوا المكتوب، وتعلموا أنها وصايا الرب وهذا عظيم لنا أن نعلم صورة ربنا يسوع المسيح التي أتخذها من أجلنا وصار شبيهاً بنا في كل شيء ما خلا الخطية.

ولذلك ينبغي لنا أن نصير أحراراً لنتلذذ عند إتيانه لأننا بالمستجهل من أمره صرنا حكماء، وبمسكنته صرنا أغنياء، وبضعفه صرنا أقوياء، وهو صار لنا جميعاً قيامة وأبطل عنا سلطة الموت.

فمنذ الآن استرحنا فلا نحتاج إلى يسوع آخر بالجسد، لأن مجيء ربنا يسوع جعل لنا عبودية صالحة حتى أبطل جميع الشرور وعند ذلك قال لتلاميذه: أنني من الآن لست اسميكم عبيداً بل إخوة.

وعندما اقتربوا أن يأخذوا روح البنوة علمهم الروح القدس أن يسجدوا للآب كما يجب.

فأما أنا الشقي الأسير بيسوع المسيح أقول أن هذا الوقت الذي نحن فيه صار لنا منه سرورٌ ثم نوحٌ وبكاءٌ لأن كثيرين من جنسنا لبسوا شكل العبادة فبعضهم عملوا بكل قلوبهم بعد عتقهم بمجيء السيد المسيح فهؤلاء أسرُّ بهم.

وبعضهم أنكروا قوتها وعملوا بإرادة قلوبهم وأجسادهم فصار مجيء الرب لهم عقوبة وهؤلاء بعينهم أنا أنوح عليهم. وبعضهم أيضاً فكروا في طول الزمان وبعده وأضعفوا قلوبهم، فطرحوا شكل العبادة عنهم وتشبهوا بالوحوش وهؤلاء أيضاً أنا أبكي عليهم لأن مجيء سيدنا المسيح صار لهم عقوبة.

فأما أنتم أيها الأحباء بالرب فاعرفوا هذا الوقت وكونوا بكل القلب قرباناً لله. فإني بالحقيقة يا أحبائي بالرب قد كتبت لكم مثل ما يكتب لأُناسٍ ناطقين يمكنهم أن يعرفوا المكتوب لأني أعلم أن من يعرف المكتوب فإنه يعرف الله لأن من يعرف الله قد يعرف تدابيره التي يصنعها في خلائقه.

وليكن هذا الكلام ظاهراً عندكم كما تقدمت فقلت أولاً أنني لست بمحبة جسدانية كتبت لكم بل بمحبة الإله الروحانية الذي هو ممجد في مشورة القديسين.

وكونوا عالمين بقلوبكم بالذي هو يطلب من الله بسببكم لكي النار التي ألقاها الرب يسوع على الأرض يلقيها في قلوبكم لتستطيعوا أن تتدربوا في غرائمكم وحواسكم وتفصلوا بين الخير والشر وبين أهل اليمين والشمال والثابتين من غير الثابتين.

وربنا عالم أن الشيطان يطغي، ولأجل ذلك أمر تلاميذه قائلاً لهم لا تكتروا لكم كنوزاً في الأرض. وقال أيضاً: لا تهتموا بالغد، فالغد يهتم بشأنه. أقول بالحقيقة يا إخوتي أن في زمان اعتدال الأرياح كل الملاحين يفتخرون ولكن إذا حدث تغير في الأرياح حينئذٍ تظهر معرفة الملاحين المهرة.

وهكذا تأملوا هذا الوقت الذي نحن فيه كيف هو، ومن أجل هذا الكلام وغموضه، لئ كلام كثير أقوله لكم بل القائل يقول أعطِ الحكيم سبباً فيزداد حكمة. أقرئكم السلام جميعكم صغيركم وكبيركم السلام بالرب الذي له المجد إلى الأبد آمين.

الرسالة الرابعة

لأولاده الرهبان يعلمهم فيها أن العبودية بناموس الفضيلة ليست عبودية بل بنوة الحرية

أنطونيوس يكتب لأحبائه بالرب السلام أني لست أَمل من أذكاركم يا نصيبي الكنيسة وأريد أن تعلموا أن محبتي فيكم ليست جسدانية بل محبة روحانية لأن شركة الجسد غير ثابتة ولا باقية لأنها متحركة مع الرياح الغريبة.

فكل من يخاف الله ويحفظ وصاياه فإن هذا يكون عبداً للإله وهذه العبودية التي نحن فيها ليست عبودية بل هي براً تؤدي لطريق البنوة.

فمن أجل هذا اختار ربنا الأنبياء والرسل وائتمنهم على البشرى الرسولية وصاروا مأسورين بيسوع المسيح.

لأن الرسول بولس يقول أني أسير يسوع المسيح وكتاب الناموس جعل لنا عبودية صالحة لكي نستطيع أن نتسلط على جميع الآلام ونكمل الخدمة الصالحة التي للفضيلة المقولة من جهة الرسول.

فإذا اقتربنا من النعمة عند ذلك يقول لنا ربنا يسوع كما قال لتلاميذه لست أدعوكم من الآن عبيداً بل أحبائي وإخوتي لأني كل ما سمعته من أبي أعلمتكم به، أن الذين اقتربوا من

النعمة علموا بالروح القدس وعرفوا جوهرهم العقلي. فلما علموا وعرفوا ذاتهم صرخوا قائلين: إنَّا لم نقبل روح العبودية فنخاف بل روح البنوة الذي به نصرخ أيها الآب يا أبانا.

فإنا نعلم بالذي أنعم به الله علينا إذ جعلنا بنين وإذ صرنا بنين فنحن ورثة الله وشركاءُ ميراث القديسين.

فيا أيها الإخوة الأحباء الوارثين مع القديسين ليست الفضائل بأجمعها بعيدة عنكم بل هي لكم وفيكم، وأنتم فلستم مختفين في هذا العالم الوقتي بل ظاهرين لله، وروح الله لا يسكن في نفس أو جسد خاطئ لأنه قدوس وبعيد من كل غش.

وأنا بالحقيقة يا أحبائي أكتب إليكم كأُناس ناطقين وقد استطاعوا أن يعرفوا ذاتهم لأن الذي عرف ذاته فقد عرف الله، فلأجل هذا ينبغي لنا أن نسجد له كما يجب.

والآن يا أحبائي بالرب اعرفوا ذواتكم لأن الذين عرفوا ذواتِهم عرفوا الزمان، والذين عرفوا الزمان استطاعوا القيام بلا اضطراب من اللغات المتغيرة.

لأن أريوس قام بالإسكندرية وذكر كلاماً غريباً عن الوحيد الجنس الذي إذ ليس له ابتداء قد جعل له ابتداء، والذي ليس بمضطرب مضطرباً، ونحن نعلم أنه إذا أخطأ إنسان لإنسان يُطلب من أجله للإله. والذي يخطئ للإله فلمن يُطلب من أجله.

أما ذلك الإنسان الذي هو أريوس فإنه ابتدأ ببدء عظيم فضرب ضربة لا شفاء لها. فلو كان ذاك قد عرف ذاته حقاً فلم يكن لسانه ينطق بما لم يعلم بل هو ظاهر أنه لم يعرف ذاته ولذلك قد تجاسر على سر الابن الوحيد الذي له مع أبيه والروح القدس المجد والعز والإكرام والسجود إلى الأبد آمين.

الرسالة الخامسة

لأولاده الرهبان يحرضهم على التشبه بالقديسين ومغايرة أعمالهم

أنطونيوس يكتب لأولاده الأحباء ويقريهم السلام:

يا أولادي الأطهار الإسرائيليين بجوهرهم العقلي لست أحتاج أن أُسمي أسمائكم الجسدانية التي تعبر مع الجسد بل أُسميكم بني الإسرائيليين حقاً.

اعلموا أن محبتي لكم روحانية وليست جسدية ولذلك لم أَملّ من الطلبة إلى الرب عنكم لكي تعرفوا النعمة التي صارت لكم لأن الله برحمته ينبّه الكافة بأسباب نعمته فلا تملُّوا ولا تتكاسلوا يا أولادي عن الصراخ للرب نَهاراً وليلاً لتستعطفوا صلاح الله الآب حتى ينعم عليكم بمعونةٍ من العلاءِ وتعلموا ما يجب.

لأننا نحن بالحقيقة يا أولادي قاطنين في بيت اللصوص ومرتبطين برباطات الموت وهو حاملنا. فلا تعطوا من الآن نوماً لعيونكم ولا نعاساً لأجفانكم لترفعوا ذواتكم ذبائح للرب بكل طهارة وتعاينوه. لأنه بغير الطهارة لا يمكن أحد أن يعاين الرب كما يقول الرسول.

واعلموا يا أحبائي أنكم إذا صنعتم الخير تنيحون سائر القديسين الأطهار لأنهم بعدُ لم ينالوا النياح الحقيقي حتى نكمل نحن. وأيضاً تعطون سروراً لخدمة الملائكة وإتيان السيد المسيح.

وأما أنا الشقي الكائن في هذا البيت الترابي فأنكم تعطـــون سروراً لروحي. وأنا أعلم أن جميع القديسين الأطهار إذا رأونـــا نتوانى يحزنون ويقدّمون دموعاً وتنهداً أمام الخـــالق، وأن ربنـــا لأجل تنهُّد الأطهار يغضب على أرواح الـــشر ويكـــسر عنـــا أعمالهم الشرّيرة.

وإذا نظروا (الأطهار) منا التقويم والنموّ فـــإنَهم يـــسرُّون كثيراً ويداومون بكثرة الطلبات عنا بالسرور والفرح أمام الخالق فيفرح ربنا بأعمالنا الحسنة وشهادات قدّيسيه وطلباتِهم فيهـــب لنا مواهب كثيرة. لأن ربنا دائماً مع خليقته العاملين بوصـــاياه كما تقدم القول منا عن ذلك في رسائلنا.

فنبكي الآن يا أولادي أمام صلاحه ونقول كما قال المزمور ماذا نعطي عوضاً عن الخيرات التي صنعها معنا. ونقول أيـــضاً قول داود المزمّر أَيُّ منفعةٍ في دمي إذا هبطتُ إلى الهلاك.

وأُريدكم أن تعرفوا حينئذٍ ما أقوله لكم وأَشهد به. بالحقيقة يا أولادي أن كل من لم يبغض ما يختص بالطبيعـــة الهيولانيـــة الأرضية وكل أعمالها بكل قلبه، ويبسط عقله نحو العـــلا لأَب الكل فليس يستطيع أن يخلص.

ومن يعمل هكذا فإن ربنا يترأَف على أتعابه وينعم له بالنار الغير مرئية ولا هيولانية لتحرق كل الأوجاع التي فيهِ وتُطهـــر

عقله وعند ذلك يسكن فيه الروح القدس ويكون معهُ ليستطيع أن يسجد للآب كما يجب.

فإن بقينا مصطلحين مع هذه الطبيعة الهيولانية فنحن أعداءُ الله وملائكته وجميع قديسيه. وأَنا أَطلب إليكم باسم ربنا يسوع المسيح أن لا تتوانوا عن حياتكم وخلاصكم. ولا تدعو هـــذا الزمان الوقتي اليسير يسرق منكم الزمان الأبدي الذي لا نَهايـــة له. ولا هذا الجسد اللحمي أن يبعدكم من المملكة النورانية التي لا تُحد ولا تُوصف ولا هذا الكرسي الفاني الهالك أن يترلكـــم عن كراسي محفل الملائكة.

بالحقيقة يا أولادي أن نفسي مبهوتة وروحي ساهية كوننا جميعاً أُعطينا حريَّة الاختيار لنعمل أعمال القديسين ونحن قـــد سكرنا بالأوجاع مثل قوم سكروا من تلذذ الخمر، ولم نـــرِد أن نرفع عقولنا لطلب المجد السمائي، ولم نماثل أعمال القديـــسين جميعهم، ولم نتبع آثارهم لنرث معهم الميراث الأبدي.

واعلموا يا أَحبائي أن القوات المقدســـة العلويـــة العقليـــة والنورانية والطبائع الحسية مخلوقة من البدءِ لشيء واحد وهـــو تمجيد الله.

إن الملائكة ورؤَســـاء الملائكـــة والكراســـي والأربـــاب والشاروبيم والسارافيم والشمس والقمر والنجوم ورؤَساء الآباء

والأنبياء والرسل والشياطين والأبالسة وأرواح الخبث وأراكنة الجوّ هؤُلاءِ جميعهم إبداع الثالوث القدوس الآب والابن والرُّوح القدس.

فبعضهم لأجل حركتهم الحسية سماهم الله كأعمالهم. والذين نموا بزيادة تمجَّدوا بزيادة من قبل الله الذي له العز والإكرام مع أبيه الصالح وروح قدسه إلى أبد الآبدين آمين.

الرسالة السادسة

لأولاده الرهبان المقيمين بالفيوم يعرّفهم فيها قتالات الشياطين، ومعونات القوات المقدّسة ويحثهم على الصبر، وتكميل ما خرجوا إليه

أنطونيوس يُقرئُ أولادهُ الأحباء المقيمين في الفيوم وأعمالها وجميع من في حوزهم وكل الذين يتقدمون للرب بكل قلوبهم السلام.

سلامي لكم بأجمعكم من صغيركم إلى كبيركم رجل كان أو امرأة الذين أنتم بالحقيقة إسرائيليون أنكم قد نلتم الطوبى المغبوطة بحصول النعمة فيكم. لأنه ينبغي لكم أن لا تتوانوا في الحرب من أجل الرب الذي أفتقدكم مشرقاً من العلوّ حتى تصيروا له ذبيحةً طاهرةً مقدسةً.

لأنَّنا نعلم كيف سقطت هذه الطبيعة الجوهرية من علوّها إلى قعر الفضيحة والذلة وكيف افتقدها الإله الرحوم بناموسه على يدي موسى والأنبياء وفي الآخر كان ذلك بابنهِ وحيدهِ الذي هو رأس أحبارنا العظيم وطبيبنا الحقيقي الذي يمكنه شفاءِ أوجاعنا.

فاتخذ جسدنا وسلم ذاته عنَّا وعن خطايانا فأخذ من أجل جهالتنا شكل الجهل، ومن أجل ضعفنا أخذ شكل الضعف،

الموت. وهذه كلها صبر عليها من أجلنا وبموته تخلّصنا.

فيجب علينا لذلك أن نجاهد بمقتضى الجهاد لتسرُّ بنا جميع القديسين الذين يطلبون عنا في وقت ونيتنا. ويفرح الزارع والحاصد معاً.

ويجب عليكم يا أولادي أن تعلموا ما أنا فيه من الألم العظيم بسببكم؛ لأني ناظر إلى أتعاب القديسين عنكم وتنهدهم وطلبهم لأجلكم كل حين أمام الله.

احرصوا بأن تماثلوهم لأنهم نظروا في تدابير خالقهم بتجسده العجيب وأتعابه لخلاصنا. وأيضاً في غباوة العدوّ الطالب كل حين هلاكنا في الجحيم الذي هو نصيبه مع جميع جنده. لأنهم دائماً طالبون أن يهلكونا بهذا الهلاك العظيم.

فأطلب إليكم يا أولادي الأحباء أن تفهموا هذا وتنظروا في تدابير خالقنا وافتقاده لنا بالتبشير الظاهر والمخفي وإذ كنا نحن المدعوّين ناطقين صرنا كغير الناطقين لميلنا مع هوى العدو وصانع الشرّ وأب الكذب، وأُريدكم أن تعلموا كم هي ربوات صنائع الشياطين وأنواعها التي لا تُحصى.

أنهم لما علموا أننا قد علمنا بأوجاعنا وفضيحتنا واجتهدنا في الهروب من أعمالهم الرديئة العاملة فينا وليس هذا فقط بل ولا

أعمالهم بهزوءٍ وهم يعلمون أن موهبة خالقهم صارت لهم ههنا موتاً وقد فرغوا أن يُبعدوا ويكونوا ميراثاً للجحيم من أجل غفلتهم وكثرة خبثهم.

ولأجل هذا يا أولادي الأحباءُ أنني لست أمل من الطلبة عنكم في الليل والنهار أن يفتح الرب أعين قلوبكم لتنظروا عظم كثرة مكر الشياطين وشرّهم الذي يجلبونه علينا في كل يوم.

وأن يعطيكم قلباً مستيقظاً وروح إفراز لكي تستطيعوا أن ترفعوا ذواتكم لله ذبيحة حية مقدسة وتتحرَّزوا من حسد الشياطين لكم في كل وقت ومن مشوراتهم الرديئة ومضادتهم الخفية وشرّهم المستور وأرواحهم المضلة وأفكارهم التجديفية وما يلقونه من ضعف الأمانة في كل وقت وسهو القلب.

واضطراباتهم المتوالية التي يأتون بها في كل يوم مع حزن القلب وغضبهم ونميمتهم التي يلقونَها فينا لكي ينمَّ بعضنا على بعض، ونزكي ذواتنا وحدنا؛ وندين غيرنا؛ ويشتم بعضنا بعضاً؛ ونتكلم بلسانٍ حلو والمرارة في قلوبنا؛ وندين الظاهر من غيرنا واللص داخل ذواتنا؛ ونحارب ونقاوم بعضنا بعضاً لنقيم كلمتنا ونظهر مكرَّمين.

ويعرّضوننا لأعمال أُخرى لا نقوى عليها؛ ويقلبون علينا ما هو لفائدتنا فيضحكونا في وقت البكاءِ ويبكونا في وقت الفرح وهم في كل حين قاصدين إحادتنا عن الطريق المستقيم ليستعبدونا بطغيانهم.

وليس لي أن أقول في هذا الوقت عن جميع شرورهم واحدة فواحدة ما خلا إنّنا إذا امتلأت قلوبنا من مثل هذه فتصير لنا كالطعام وحينئذٍ يعظم الشرّ فينا ويتأصل وتكون لنا عقوبة رديئة.

فلأجل هذا يجب علينا أن لا نملَّ من الطلبة لصلاح الآب لتأتي معونتهُ وتعضدنا في جميع أعمالنا. لأن هذه المتعدّدة كافية لهلاكنا وبيتنا مملوءٌ حرباً.

وأنا أقول لكم يا أولادي أن كل إنسان يتلذّذ بأفكاره فهو يسقط بإرادته لأنهُ يفرح بما يلقي فيه من تلك الأشياء، ويظنها أسراراً عظيمة ويزكي ذاته وحده بما يصنعه ويكون مسكناً للروح الشرير الذي يشير عليه بالشرّ وجسده يمتلئُ من أسراره المرذولة الخفية؛ فالذي يكون هكذا فإن أوجاع الشياطين تملكه لأنه لم يلقهم عنه.

فيجب علينا أن نعرف فخاخ الشيطان وحيله ونحيد عنها ونَهرب منها لأن الخطايا والآثام التي من الشياطين ليست ظاهرة

ولا جسدانية لأن ليس لهم أجساد حتى ينظروا لكن نحن أجساد لهم ونفسنا تقبل منهم أفكار الظلمة وعند قبولها منهم فإنّهم يصيرونَها ظاهرة في الجسد.

فاحرصوا يا أولادي أن لا تجعلوا لهم فيكم موضعاً لئلا يأتي غضب الرب علينا فيفرحون ويستهزؤُن بنا وينصرفون عنا.

فلا تطرحوا عنكم كلامي فإنّهم يعلمون أن حياتنا هي من بعضنا بعض لأن من هو الذي رأى الله منذ قط فمسكه لئلا يبعد عنه ويفرح به ويخلصه من مضادة هذا الجسد الثقيل أو رأى الشيطان جسدياً واقفاً قبالته فيهرب منه بل إن الشياطين كائنون في الخفاء ونحن نظهرهم بأعمالنا.

وجميعهم جوهر واحد عقليٌ لكن لما بعدوا من الله صارت لهم هذه الأسماءِ المتغيرة من أجل أعمالهم المتغيرة وثبتت عليهم كثرتَها الكثيرة شرورهم وهي: شياطين، أبالسة، جان، أرواح شريرة، أنجاس، كفرة، أراكنة هذا العالم المظلم. وكثير مثل هذه.

فأما القوات السماوية فأسماؤُهم. رؤَساء، ملائكة، كراسي، أرباب، سلاطين، شاروبيم، سارافيم. وثبتت لهم هذه الأسماءِ لأنَهم حفظوا إرادة خالقهم.

وأما الذين أبغضوا ثقل هذا الجسد الذي نحن لابسوه وطرحوه عنهم فمنهم قوم دُعوا رؤساءٌ، آباءٌ، وبعض أنبياءٌ، وملوك وكهنة، وحكماء، ورسل.

وهذه الأسماء صارت لهم ذكوراً كانوا أو إناثاً من أجل أعمالهم المتغيرة وميلهم إلى الخير وكثير مثل هذا بل هم جميعهم من مبدأ واحدٍ وجوهر واحدٍ ولأجل هذا من يخطئ إلى أخيه أو قريبه فإنما يخطئ إلى ذاته.

ومن يصنع بقريبه أو مساويه في الجنس شرّاً فإنما يصنعه بذات نفسه. فمن هو الذي قدر أن يوصل قط بالرب تعباً أو راحةً أو يخدمه كما ينبغي أو يسبحه كما يجب له أو يكرمه حق كرامته أو يرفعه كاستحقاقه وذلك لأجل ثقل أوجاع هذا الجسد علينا.

فينبغي لنا إذ قد علمنا هذا أن ننبه الله الساكن في ذواتنا بأعمالنا وسرورنا وترأفنا على بعضنا بعضاً، ولا نحب في ذواتنا وحدها فنصير من نصيب الشرير.

لا نعرف ذاتنا لأن من عرف ذاته فهو يعرف كل المخلوقات التي أبدعها الخالق من العدم إلى الوجود. ويعرف أن الطبيعة العقلية الباقية مخفية في هذا الجسد المنحل لترى أفعالها فيه وبه

والذي عرف هذه فهو يستطيع أن يحب الله وحده والذي يحب الرب فهو يحب الكل.

فيا أولادي الأحباء لا تكلُّوا ولا تملُّوا من المحبة بعضكم لبعض بل اجعلوا هذا الجسد الذي أنتم لابسوه مجمرة ترفعون فيها جميع أفكاركم ومشوراتكم الرديئة وتضعونها أمام الرب ليرفع قلوبكم إليه وبسلطة العقل تطلبون منه أن ينعم عليكم بإتيان ناره الغير هيولانية من العلاء إليكم لتحرق كل ما في تلك المجمرة وتطهرها.

وتخاف الكهنة المضادين الذين للبعل ويهربوا من قدامكم مثل إيلياس النبي، وحينئذ تنظرون أثر إنسان طالعاً بالماء من الينبوع الإلهي ويمطر لكم المطر الروحاني الذي لروح البارقليط.

فإذا ما نلتم يا أولادي هذه المواهب الفاضلة لا تظنوا أنها من أعمالكم بل هي قوة مقدسة مشتركة معكم في جميع أعمالكم. وأنا أطلب إليكم أن تجتهدوا وتداوموا على أعمالكم الحسنة لتسرَّ بكم كافة القديسين وروحي أنا المسكين لأننا جميعنا مخلوقون من مبدأ واحدٍ وجوهر واحدٍ عقلي غير مرئي.

فمن عرف ذاته يعلم أنه جوهر واحد وأن ربنا يسوع المسيح هو العقل الحقيقي الذي للآب الذي منه تحقيق جميع الطبيعة

الناطقة التي خلقت كشبه صورته. لأنه هو رأس الجسد ورأس البيعة كما يقول الرسول بولس.

ولهذا نحن جميعاً أعضاء بعضنا بعض وجسدٌ واحدٌ للمسيح. فلا تستطيع الرأس أن تقول للرجلين لا حاجة لي بكما بل إذا تألم عضو واحد فإن جميع الأعضاء تتألم معه كما قال الرسول أيضاً. فلأجل هذا يجب علينا بالأكثر أن نحفظ محبة بعضنا بعضاً لأن الذي يحب أخاه فهو يحب الله ومن يحب الله فهو يحب نفسه كما يقول الرسول يوحنا.

وأنا أطلب إليكم يا أولادي الأحباء أن تعلموا أيضاً أننا قد خلقنا ذوي سلطة على إرادتنا من أجل ذلك تضادنا أرواح الخبيث المحيطون بنا، بل اعلموا ما هو مكتوب في المزمور أن ملاك الرب يعسكر حول أتقيائه ومن جميع أحزانهم يخلصهم.

وأُريد أيضاً أن تعلموا أن كل الذين ابتعدوا من الفضيلة فقد كمل فيهم غش الشياطين وتم عليهم المكتوب أنهم بنون لإبليس لأن الشيطان إنما سقط من رتبته السمائية لأجل كبريائه وصار دائماً يريد أن يُسقط كل الذين يتقدمون للرب بكل قلوبهم بهذه الصفة التي سقط هو بها التي هي العظمة ومحبة المجد الباطل.

وبهاتين صارت الشياطين تحاربنا وتظن أنها تفرقنا من الله بهما وبغيرهما لأنها تعلم أيضاً أن كل من يحب أخاه فهو يحب الله فيلقون في قلوبنا لعداوتهم في الفضيلة وجنونهم أن نبغض بعضنا بعض حتى يصير الواحد منا لا يشتهي أن ينظر أخاه أو يكلمه كلمة واحدة.

ولأجل ذلك يا أولادي أنا أعلمكم أن كثيرين بالحقيقة قد تعبوا في الفضيلة غاية التعب ولعدم إفرازهم قتلوا ذواتهم وأنا عارف أنه ليس هذا بعجب إذا ما تكاسلتم عن العمل من قِبَل إحكامكم الفضائل في ذواتكم.

وتسقطون في هذا المرض الذي للشيطان وهو عدم الإفراز وتظنون أنكم قد اقتربتم من الله وحصلتم على النور بل أنتم حقاً في الظلمة كائنين.

فيا أولادي ما هو الذي أحوج ربنا يسوع المسيح حتى شدَّ وسطه بمنديل وتعرَّى وصب ماءً في مغسلة وغسل أرجل الذين هم دونه إلاَّ أنه ليعلمنا الاتضاع وأظهره لنا بهذا المثال الذي صنعه.

فكل الذين يريدون الرجوع إلى رتبتهم الأولى لا يمكنهم ذلك إلا بالاتضاع. لأنه أولاً في البدء كانت حركة الكبرياء التي أسقطت صاحبها من السماء فإذا لم يكن في الإنسان

الاتضاع الكثير بكل القلب وبكل النية وبكل الروح وبكل النفس وبكل الجسد فلا يرث ملكوت الله كما هو مكتوب.

وبالحقيقة يا أولادي الأحباء بالرب أنني أطلب من خالقي ليلاً ونَهاراً الذي روحي بيده أن ينير عيني قلوبكم لتعلموا أولاً محبتي لكم وبعد ذلك تنظرون خزيكم وتعرفونه.

لأن من يعرف خزيه فذاك هو الذي يطلب المجد المختار الحقيقي لأن الذي قد عرف موته قد يعرف حياته الأبدية.

وأني لخائف عليكم يا أولادي أن يدرككم الغلاء والفقر في الطريق المؤَدية إلى الموضع الذي يمكنكم أن تنالوا منه الغناءَ واشتهي أن أنظركم ههنا بالجسد لكنني منتظر لذلك الدهر الذي ليس فيه حزن ولا كآبة ولا تنهدٌ بل سرور وفرح لمستحقيه جميعاً، وأن نجتمع هنالك عن قريب وأراكم.

وبعد فإن لي كلاماً كثيراً أقوله لكم ولكن ليس هذا وقته بل الآن وقت أقرئكم فيه يا أولادي الأحباء كأسمائكم السلام بالرب الذي له التسبحة من الآن وإلى أبد الآبدين آمين.

الرسالة السابعة

لأولاده الرهبان يعرّفهم فيها أن خلاصنا ليس بملاك ولا بإنسان بل بالإله الكلمة المتجسد ويحثهم فيها أن يجاهدوا بمقتضى الجهاد لينالوا الخلاص

قال أنا اعرف نعمة ربنا يسوع المسيح الذي قد تمسكن من أجلنا وهو الغني لكي نستغني نحن بمسكنته ونتحرَّر بخضوعهِ ونتقوى بضعفهِ ونتحكم بالمستجهل من أمرهِ ونقوم بموته ونصرخ مع الرسول قائلين إن كنا نعرفهُ بالجسد فلسنا الآن نعرفهُ.

كذلك بالحقيقة يا أحبائي أقول لكم أن هذا الكلام دقيقٌ في معناه وعندي أقوال كثيرة فيه ولكن ليس هذا وقت شرحها.

بل أبتدئُ وأقريكم السلام بالرب يا أولادي المباركين وأعرفكم أنَّا نحن الذين نريد التقرب من خالقنا يجب علينا أن نجاهد على خلاص نفوسنا من الأوجاع، بالناموس العقلي لأن من أجل تفاقم الغشّ ولذّة الأوجاع وكثرة التجارب الشيطانية وضعف محسوسنا ماتت حركات نفوسنا.

ولهذا لم نستطع أن نعرف قدر جوهرنا العقلي لسبب ما قد سقطنا فيه من الآلام وليس لنا خلاص إلا بربنا يسوع المسيح لأنهُ مكتوب في رسالة السليح بولس أنه بآدم الأول كان الموت، وبالمسيح كانت الحياة.

فإذاً السيد المسيح ربنا هو حياة كل الناطقين المخلوقين كشبه صورتهِ التي هي عقل الآب الحقيقي. وصورة الآب غير منتقلة ولا متغيرة. أما هذه الصورة الظاهرة الموجودة في خلائقه فهي منتقلة ولأجل ذلك صار بها موتنا وهي بخلاف الطبيعة العقلية ومنها وُلدنا بجسد وصرنا بيتاً مملوءاً حرباً.

وأنا أشهد لكم وأقول أن جميع الفضائل كانت قد هلكت منا، ولما نظر الله الآب إلى ضعفنا وأننا لا نستطيع على ظهورهِ فينا كهيئتهِ بالحق والعدل أرسل ابنهُ الوحيد وأتخذ جسدنا وتعهد خليقتهُ وخدمهُ وقديسيه بمواهبهِ.

فيا أولادي المحبوبون عندي أنا أطلب إليكم بمحبتي فيكم أن تتقدموا للرب بكل قلوبكم وذواتكم وتعلموا أن كل أعمالنا التي نقدمها للرب بالنعمة التي أعطاها لنا. ليست تقوم مقابل تواضعه عنا لأنهُ ليس بمحتاجٍ لنا ولا أتى إلينا لأجل تواضعنا بل بعظم صلاحه وترأفه وبمحبته الغير مدروكة لم يصنع معنا كخطايانا، بل جعل القمر والنجوم لخدمة هذا البيت المظلم الذي هو العالم لأجل قيام الجسد وجعل أيضاً أشياء كثيرة خفيةً تخدمنا التي لا ننظرها بأعيننا الجسدانية ونحن لأجل كثرة خطايانا صارت خدمتها لنا باطلةً.

فما الذي نقولهُ يوم الدينونة لربنا لأنهُ ما من خير من الخيرات لم يعمله معنا هو بنفسه. لأن الرؤساءَ لم يتعبوا من أجلنا

والكهنةَ لم يعلّمونا والحكامَّ والملوك لم يحاربوا عنا والرسل لم يُطردوا بسببنا. بل الابن الحبيب الكلمة مات عنا جميعاً ولذلك يجب علينا أن نستعدّ بكل الطهارة وندرّب بها عزائمنا وحواسّنا المنتقلة بين الخير والشر.

إذ نحن لا بد لنا أن ننتقل ونلتقي بربنا يسوع المسيح الذي أتى إلينا وخلّصنا بكل تدابيره وتشبَّه بنا في كل شيء ما خلا الخطيئة. وكان هذا عند قوم لأجل ما فيهم من كثرة شر الشياطين جهالةً. وعند قوم شكاً. وأما عند آخرين فمنفعةً وآخرين حكمةً وقوَّةً وآخرين قيامةً وحياةً. فيا أولادي ليكن لكم هذا ظاهراً أن مجيء ربنا صار دينونةً لأولئك وحياةً لهؤُلاء.

وأما عن هؤُلاءِ يقول إرميا النبي ستأْتي أيام قال الرب أجعل ناموسي في صدورهم وأكتبهُ على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً ولا يعلّم أحد حينئذٍ من كان من أهل مدينتهِ ولا أخاه قائلاً له اعرف الرب لأنهم جميعهم يعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم وأمحصَهم من ذنوبهم ولا أعود أيضاً أذكر لهم خطاياهم.

وأما عن أولئك فيقول الرسول كي يستد كل فم ويخضع العالم كله لله لأن الذين عرفوا الله و لم يمجدوه كإله لأجل عدم معرفتهم التي لم يمكنها أن تقبل حكمة الله، يحلُّ عليهم الغضب.

والآن يا أولادي أني أنظر أن كل واحدٍ فواحدٍ منا قد سلم ذاته بإرادته إلى الشرور وقد تكمَّلت فينا لجهلنا وتملكتنا ولذلك أخذ ربنا شكل جهلنا ليخلّصنا بهِ وكمَّل كل تدابيره إلى موت الصليب لكي بموته وقيامته تكون لنا قيامةٌ فاضلةٌ وتبطل عنا قوَّة الموت التي هي قوَّة الشيطان ونكون إذا حررنا ذواتنا وتشبهنا بتواضعه نصير تلاميذ لهُ.

فبالحقيقة يا أولادي الأحباء بالرب أقول لكم أنني مضطرب جداً بجسدي وروحي كوننا تسمينا بأسماء القديسين ولبسنا لباسهم ونحن مفتخرين بذلك أمام غير المؤمنين وليس لنا قوَّة العمل وأخاف لئلاَّ يتم علينا قول الرسول أنهم قد أخذوا شكل الديانة وهم لقوَّتها جاحدون. وأنا فلأجل محبتي فيكم لست أفترّ من الطلبة إلى الله عنكم كي ما تفهموا حياتكم المخفية فيكم وتعلموا ما تستحقون أن ترثوا بهِ ما لا يُرى.

واعلموا يا أحبائي أننا إذا أكملنا أعمالنا بكل قوَّتنا كإرادته فهذا هو الواجب علينا لأنهُ طبيعي في جوهرنا وليس لنا فيهِ فضل لأن كل من يخدم الله ويطلبهُ بكل قلبه فإنما يفعل ذلك بجوهره الطبيعي فإن أتت منهُ خطية يُلام عليها فإنما هي غريبة عن جوهره الطبيعي.

فاعرفوا ذلك واعلموا أنني لم أخفِ عنكم شيئاً لم أعلمكم بهِ مما هو فيهِ خلاصكم وأعلمكم أيضاً أن الجسد مضادٌّ للروح دائماً كما يقول الرسول بولس فالذين يريدون أن يتدبروا بمعيشة النسك بيسوع المسيح يجب عليهم أن يطردوا عنهم الشهوات الجسدية بالطلبة للرب يسوع المسيح وهو برحمتهِ وتحنُّنه يبطل عنهم كل الضوائق والتجارب التي تأتي من جهة الجسد كما كانت على آبائنا الرسل.

ومن قِبَل صبرهم أبطلوا قوَّة العدوّ التي هي عبادة الأوثان وأعطاهم ربنا عزاءً وقوَّةً بقولهِ لهم يكون لكم ضيق في العالم لكن تقوُّوا فإني غلبت العالم وقال أيضاً لهم إن كانوا طردوا الأنبياءَ وطردوني فسوف يطردونكم وإن كانوا أبغضوني فسوف يبغضونكم لكن تقوَّوا.

واعلموا أن بصبركم تحلُّون قوَّة العدوّ وأنا أيضاً يا أولادي المباركين أُريدكم أن تعرفوا هذا القول وما قالهُ أيضاً بولس الرسول. أن أوجاع هذا الدهر لا توازي المجد المزمع أن يظهر فينا.

واعلموا أنني لمحبتي فيكم كلمتكم بهذه الكلمات القليلة الروحانية لتطييب قلوبكم لأني أعلم أن العقل الذي كان منتبهاً فليس بمحتاج إلى كثرة الكلام الجسداني.

وأنا فرحاً بالرب لأجلكم يا أولادي المحبوبين الأطهار بجوهركم العقلي وأريدكم أن تعرفوا مقدار المواهب الصائرة إلينا من جهة الرب لحفظنا ونموّنا وتتمسكوا بالأعمال الطبيعية الجوهرية لا بالغير جوهرية لأنني أنا الشقي أعلمكم أيضاً أن ربنا قد نبَّه عقلي من نوم الموت بنعمته.

وقد صار لي نوحاً وبكاءً مدة ما بقي لي من هذا الزمان اليسير على الأرض لأني أُفكّر ما هو الذي نعطيه للرب عوضاً عن الذي صنعهُ معنا.فإنهُ جعل ملائكته تخدمنا وأنبياءَه تتنبأُ لنا ورسله تبشّرنا وأعظم من هؤُلاء جميعهم إرساله ابنه الوحيد لخلاصنا.

ولذلك أطلب إليكم أن تيقظوا قلوبكم بخوف الرب وتعلموا أن يوحنا السابق عمَّد بالماءِ للتوبة ليجتذبنا إلى معمودية ربنا يسوع الذي عمَّد بالروح القدس والنار.التي هي نار الأعمال الصالحة.

فلنستعد الآن أن ننقي ذواتنا جسداً وروحاً لنقبل معمودية ربنا يسوع المسيح ونعمل ونرفع ذواتنا قرباناً مقبولاً لهُ لأن الروح المعزي المأخوذ في المعمودية يعطينا العمل بالتوبة ليردنا ثانية إلى رئاستنا الأولى ونرث الميراث الذي لا يزول.

واعلموا أن كل الذين يعتمدون بالمسيح فللمسيح يلبسون كما قال الرسول بولس وينالون نعمة الروح القدس. فإنه لا عبد ولا حر ولا ذكر ولا أُنثى ينال هذه النعمة إلاَّ وتبطل منهُ

هذهِ اللغات الجسدانية ويقبل تعليم الروح القدس في ذلك الوقت للذين ينالون فيهِ إرث ملكوت السماء الأبدي ويسجدون للآب كما ينبغي بالرّوح والحق.

فلا يقل أحد منكم يا أولادي أن ليس دينونة كائنة لنا في يوم مجيءُ ربنا الأخير بل ليعلم أن مجيءُ سيدنا المسيح الأول قد فرغ أن يكون لنا دينونة في ذلك اليوم إذا لم نكمل فرائضهُ.

واعلموا أن كل لابسي الرُّوح يطلبون في كل وقت عنَّا أن نتحد بربنا ونرث الذي هو مُعدّ لنا منذ البدءُ ونلبس ثانية صورتنا الأولى الجوهرية التي تعدّيناها بالمخالفة. لأن صورة الآب على الدوام لهؤُلاء اللاّبسي الروح ليظهر لهم صلاحه ويذكرّهم بالمكتوب القائل عزوا شعبي يا كهنة وتكلموا في قلب أورشليم.

وأنا أسأل إله السلامة برحمته في كل حين الذي يتعاهد خلائقه ويظهر صلاحه فيهم أن يعطيكم حكمةً ومعرفةً ونعمةً وروح إفراز لتفهموا ما قد كتبتهُ إليكم من وصايا الرب وتعملوا بِها لتحفظكُم أطهاراً إلى النفس الأخير وهو يقبل مني تضرعي هذا الذي هو عن خلاص جميعكم يا أيها الأبناء الأحباء بالرب الذي لهُ المجد والعز والإكرام إلى أبد الآبدين. آمين.

الرسالة الثامنة

لأولاده الرهبان يحثُّهم على الجهاد لكي ما يقبلوا الروح القدس المنادي ههنا ويذكرّهم بجهاداته، ويعرّفهم بما حصل له لينشّطهم بذلك. [1]

يا أيها الأحباءُ بالرب أنا أكتب إليكم مثل الأبناء الأحباء عند آبائهم؛ لأن الأبناء الجسدانيين إذا ما تأملوا آبائهم ووافقوهم فإن الآباءَ يحبونَهم من كل قلوبهم ويكرمونَهم غاية الإكرام بأكثر من أبنائهم الغير مطيعين لهم؛ وإذا حصل لهم شيء حسن ادَّخروه للأولاد الموافقين لهم والمتشبهين بهم.

فإذا كان الآباء الجسدانيون يصنعون هكذا، فبكم أحرى آباؤُنا الروحانيون يريدون أن يعطوا الكرامات لأولادهم الموافقين لهم المتشبهين بهم.

فأما أنتم يا أحبائي بالرب الذين أنا أحبهم بكل القلب اشتهي أن أكون عندكم في كل حين وأنظركم وأبارك عليكم لأن تعاهدكم لي وتشبهكم بي ورجوعكم إلى الله، فإني أنظر كل ذلك مستقيماً وقد حللتم بقلبي بكل سبب.

---

(1) يجب أن تُقرأ يوم نياحته.

ومن الآن فأنا أطلب من إلهي بسببكم ليلاً ونَهاراً لكيما يعطيكم مواهبه التي أعطانيها، بنعمته فقط لا باستحقاقٍ فيَّ لأن هذا هو الغنى العظيم الذي أعطانيه ربنا. وأنا أسأله أن يعطيه لكم وهذه غاية شهوتي وطلبتي دائماً الليل والنهار أن تكونوا في الموضع الذي أكون أنا فيه عند انتقالي من هذا الجسد.

لأن ربنا دائماً من صغري إلى هذا اليوم يسمع لي وأنا عالم أنه برحمته يسمع لي هذه الأخرى وقد كتبت لكم يا أولادي لأجل عظم محبة قلبي فيكم لأنكم بجهادكم للرب تشبهتم بي في كل شيء.

واعلموا أن سيدنا المسيح لأجل محبته العظيمة هكذا صنع بتلاميذه إذ قال لهم: أنني لست أدعوكم الآن عبيداً بل إخوةً وأحباءً وأبناءً. ولما صاروا لهُ بنين طلب إلى الآب لأجلهم قائلاً: يا أبتِ أُريد أن يكونوا هؤُلاء حيث أكون أنا لأني أنا فيك وهم فيَّ لكي نكون بأجمعنا كاملين في الوحدانية.

فانظروا وأفهموا كيف طلب ربنا يسوع من أبيه لأجل تلاميذه كونَهم صاروا لهُ بنين أن يكونوا معهُ حيث يكون هو.

وهكذا الآن هي طلبتي يا أحبائي أن نكون جميعنا في المكان الذي ليس فيه حزن ولا مرض ولا ظلمة ولا أرواح خبيثة بل مملوء من كل السرور والنور والحياة الأبدية والأكاليل التي لا

تضمحل وأشياء أُخر كائنة هناك لا يستطيع اللسان أن يصفها لأنها دائمة إلى أبد الأبد.

فيا أولادي صلوا إلى الرب أن يسهل طريقي إليكم دفعةً أخرى وأقيم عندكم زماناً ما لأني أعلم أن هذا لبنيانكم وفرحكم بالإيمان.

فأنا أيضاً أفرح إذا أتيت إليكم لتفرحوا وتنموا بزيادة في الإيمان وأعرّفكم بأسرارٍ أُخر كثيرة لا يمكنني أن أكتبها إليكم في هذه الرسالة.

وأمكم سارة التي هي الروح تفرح بكم هذهِ التي كملت حبها وولدت روحاً إلهياً فيكم وتشتهي أن تكملكم كما طلبتُ منها عنكم. بذلك الروح الناري العظيم هذا التي قبلته أنا لتقبلوه أنتم أيضاً. **وإذا أردتم أن تقبلوه ويسكن فيكم فقدّموا أوّلاً أتعاب الجسد وتواضع القلب وارفعوا أفكاركم إلى السماء في الليل والنهار واطلبوا باستقامة قلبٍ هذا الروح الناري وحينئذٍ يُعطى لكم.**

لأنه هكذا وصل إليه إيليا التسبيتي وأليشع وكافة الأنبياء ولا تفكروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلبين وتقولوا من يقدر أن يقبل هذا. لا يا أولادي لا تدعو هذه الأفكار تأتي على قلوبكم بل اطلبوا باستقامة قلبٍ وأنتم تقبلونه.

وأنا أيضاً أبوكم أجتهد معكم وأطلب لأجلكم أن تقبلوه لأني عارف أنكم كاملين وقادرون على قبوله لأن كل من يُفلّح ذاته بهذه الفلاحة فإن الروح يعطي لهُ في كل جيل وإلى الأبد.

وأعرف أن أُناساً قبلوه؛ لما لم يكمّلوا هذه الفلاحة لم يثبت فيهم فأما أنتم يا أحبائي الذين أشتهي أن أنظركم لأجل استقامة عقولكم أديموا الطلبة باجتهادٍ من كل قلوبكم فإنهُ يُعطى لكم لأن ذلك الروح يسكن في القلوب المستقيمة، وإذا قبلتموه فإنهُ يكشف لكم الأسرار العلوية وأشياء أُخر لا أستطيع أن أعبر عنها في قرطاس (ورقة أو رسالة) بقلمٍ ومدادٍ.

ويجعلكم أن تبتعدوا من خوف البشر والوحوش والأبالسة وما يشبه ذلك ويكون لكم فرحٌ سماويٌ ليلاً ونهاراً وتكونون في هذا الجسد كمن هو في الملكوت.

ولا تطلبون عن أنفسكم فقط بل وعن آخرين لأن كل من قبل هذا الروح لا ينبغي لهُ أن يطلب عن ذاته فقط لكن وعن الغير أيضاً، كما صنع موسى لما قبل هذا الرُّوح طلب من أجل الشعب قائلاً لله إن كنت تُهلك هؤُلاء فأمحُ اسمي من سفر الحياة. وهكذا تكون طلبة كل من يبلغ إلى هذا الحد من القديسين وغيرهم.

فإنني لا أقدر أن أصفهم بأسمائهم واحداً واحداً. أما أنتم فحكماء وتعرفونَهم، وأنا فطلبتي الآن ليلاً ونَهاراً ليكون فيكم عظمة لذة هذا الرُّوح الذي قد قبله جميع الأطهار.

وأني يا أولادي الأحباء بعد أن كتبت هذه الرسالة تحرَّك فيَّ روح الله أن أكتب لكم عن هذا الرُّوح الناري في آخرها وعن المحبة الإلهية. وإذا أتيت إليكم بمعونة الرب عرَّفتكم أشياء أُخر كثيرةً عن هذا الروح لكي تقتنوها جميعها.

وكما أقريتكم السلام في مبدأ هذه الرسالة كذلك أيضاً أقريكم السلام بمحبة الرب في آخرها بِهذا الروح الناري الذي قبلته أنا وإياكم بنعمة الرب.

وأطلب إليكم أن تتركوا إرادتكم الحسيَّة وتلزموا الهدوء بكل نوع لكيما تسكن عندكم القوَّات العلوية بمؤَازرة هذا الروح القدس وتعينكم على العمل بإرادة الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس لهُ السبح دائماً سرمدياً إلى أبد الآبدين. آمين.

الرسالة التاسعة

لأولاده الرهبان يعرّفهم مقدار فعل قوَّة الله في القديسين ويحثهم على اقتنائها لينالوا الملكوت الدهرية

أيها الأحباء بالرب إن الإنسان إذا كان يحبُّ الله بكل القلب وبكل الفكر وبكل النية وبكل القوَّة فإنهُ يقتني خوف الله والخوف يولّدُ البكاءَ والبكاءَ يولد القوَّة وبكمال هذهِ في النفس تثمر في كل الأشياء.

وإذا نظر الرب إلى هذه الثمرات الحسنة في النفس فإنهُ يقبلها إليهِ كرائحة بخورٍ مختارٍ ويفرح بِها مع ملائكته الأطهار في كل حين ويعطيها سروراً ويحفظها في جميع طرقها لتصل إلى موضع راحتها ولا يقوى عليها الشيطان لأنهُ ينظر إلى الحارس العلويّ محيطاً بها ويخاف أن يقترب من ذلك الإنسان بجملته لأجل تلك القوَّة العظيمة.

فالآن يا أحبائي بالرب الذين نفسي تحبهم وتعلم أنهم يحبُّون الإله اقتنوا لكم هذهِ القوَّة لكي تخاف منكم الشياطين وتخفُّ عليكم الأتعاب التي تصنعونَها وتحلو لكم الإلهيات. لأن حلاوة حُبّ الله أحلى من الشهد.

ولأن كثيرين من الرهبان والعذارى الذين في المجامع لما لم يذوقوا حلاوة حب الله ولم يقتنوا القوَّة الإلهية فكانوا يظنون

أنهم اقتنوها ولكنهم لم ينالوها لأنهم لم يتجروا فيها ولهذا لم يعطها الله لهم.

وأن كل من تاجر فيها فإنهُ ينالها بعطية الله لهُ. لأن الله ليس عنده محاباة ولا يأخذ بالوجوه بل هو في كل الأجيال جيلٌ بعد جيلٍ يعطيها لمن يعمل بأعمالها.

والآن يا أحبائي بالمسيح أنا أعلم أنكم تحبون الإله لكن احرصوا أن يكون ذلك من كل قلوبكم وبهذا يفرح قلبي لكي تستطيعوا أن تقتنوا قوَّة الله وتجيزوا بقية حياتكم بسرورٍ وفرحٍ وتخفُّ عليكم أعمال الرب.

لأن القوَّة التي تُعطى للإنسان فهي التي تُهديه إلى مواضع الراحة وتحفظهُ حتى يجوز كل قوَّات الجوّ كما قال المزمور مغبوط هو الرجل الذي يملأ جعبته منهم حينئذٍ لا يخزون إذا كلموا أعدائهم في الأبواب.

فاعلموا يا أولادي أنهُ ما دام مع الإنسان نور الله وقوَّتهُ فهو يرفض شتائم أهل العالم وكراماتهم أيضاً ويبغض جميع ما في العالم ونياحات الجسد ويطهر قلبهُ من الأفكار الشريرة وعند ذلك يقدّم صوماً ودموعاً الليل والنهار مع طلبات نقيةٍ فيعطيه ربنا تلك القوَّة عينها.

فيا أولادي المباركين اجتهدوا في اقتناء تلك القوَّة وبها تصنعون جميع أعمالكم براحةٍ وخفةٍ وتجدون دالةً عظيمةً أمام الرب ويكمّل لكم جميع مسئلاتكم.

واعلموا أني كنت أريد أن أكتب لكم كلاماً كثيراً لأجل محبتي فيكم لكني اقتصرت على هذا اليسير؛ وأطلب أن يجعله ربنا يسوع المسيح لكم خلاصاً وفرحاً، الذي ينبغي لهُ السبح والإكرام من كل الناطقين مع أبيه الصالح وروحه القدوس إلى أبد الآبدين. آمين.

الرسالة العاشرة

لأولادِهِ الرهبان بسبب المجد الباطل وقتالاته ويعرّفهم كيف يجاهدون ليخلصوا منهُ

قال كتبتُ إليكم يا أولادي المباركين هذه الرسالة لكي ما تعرفوا أن محبي الإله وطالبيه بكل قلوبِهم يستمع منهم ويعطيهم كل مطلوباتِهم.

فأما الذين لا يأتون إليهِ من كل قلوبِهم بل يكونون ذوي قلبين فجميع ما يصنعونهُ ظاهراً إنما هو حتى ينالوا المجد من الناس؛ فهؤُلاء لا يستمع الله لهم في شيء ما من طلباتِهم؛ بل بالأكثر يغضب عليهم لأن أعمالهم بالرياءِ؛ ويتمُّ عليهم قول المزمور القائل أن الله يبدّد عظام المرائين.

لأن الله جلّ ذكره يغضب على أفعالهم ولا يسرّ بطلباتِهم وبزيادة يضاددهم لأنَهم يصنعون أعمالهم بغير أمانة كونَهم يصنعونَها للمراءاة أمام الناس؛ ومن أجل ذلك قوَّة الله لن تفعل فيهم لأنَهم ضعفاء القلوب في كل ما يبتدئون بهِ من الأعمال.

ولذلك لم يعرفوا الحلاوة الإلهية ولا خفَّتها ولا فرحها بل ثقلت أعمالهم على نفوسهم كالحمل الثقيل.

وكثيرون من جنسكم هكذا لما لم يقتنوا هذهِ القوَّة التي تُعطي النفس لذةً وتملأُها فرحاً وسروراً يوماً فيوماً وتشعل فيها

حرارة إلهية خدعهم هذا الروح الخبيث وعملوا أعمالهم لمراءاة الناس.

فأما أنتم يا أحبائي المحبوبون لقلبي الذين قدَّمتم أثمار أتعابكم أمام الرب اجتهدوا أن تبتعدوا من روح المجد الباطل وتقووا عليهِ دائماً ليقبل ربنا أثماركم التي قدمتموها أمامه وتنالون من جهته القوَّة التي تُعطي لمختاريه. وقلبي متعزّي بسببكم يا أحبائي لأني أعلم أنكم لا توافقون روح المجد الباطل بل تضادونه كل حين ولأجل ذلك ثمرتكم طاهرة حيةً.

فداوموا على مضادّة ذلك الروح الردي. لأنه عندما يبتدئُ الإنسان بالأعمال البارَّة والاجتهاد الصالح يأْتي إليهِ ويشاركهُ ويجعلهُ أن يتأخر عن ذلك حتى لا يدعهُ يصنع شيئاً على وجه البرّ لأنه روح شرّير يضادُّ كل من يريد أن يكون مؤْمناً.

وقوم كثيرون يفتخر الناس بهم لأنَهم أُمناء وبسرعة يبذلون الرحمة للمحتاجين وهؤُلاء أيضاً يضادهم ذلك الروح. وقوم آخرون يشاركهم في أعمالهم ويتلف أثمارهم ويجعلهم متأخرين كونَهم يصنعون فضائلهم ورحمتهم ممتزجة بمجد الناس وهؤُلاء يظن الناس أن لهم ثمرةً وليس لهم. لأنَهم كالجميزة التي يظن بِها من يراها عن بُعدٍ أنَها مملوءَة من الثمرة الحلوة فعندما يقترب إليها لم يجد فيها غير ثمرةً فاسدة ليس فيها من الحلاوة شيء.

فهكذا كل الذين يقبلون المجد من الناس فإن الناس يظنون أن لهم أثماراً كثيرة صالحة أمام الرب وليس فيهم شيء من الثمرة بالجملة. بل قد تركهم الله جافّين من أجل أنهُ لم يجد فيهم ثمرةً صالحةً فمنعهم من حلاوة لاهوته العظيمة.

فأما أنتم يا أولادي المجاهدين اجتهدوا أن تقفوا قبالة روح المجد الباطل وتضادُّوه وتقووا عليهِ؛ فتأتي قوَّة الله وتعينكم وتثبت عندكم وتعطيكم نشاطاً وحرارةً في كل حين. وأنا أطلب عنكم أيضاً أن تدوم هذه الحرارة فيكم لأنها حقيقيةٌ وليس أفضل منها.

فإن نظر أحد منكم أن هذه الحرارة ليست فيهِ فليطلبها باجتهاد وهي تأتي إليهِ. لأنها تشبه النار التي إذا قصدت الناس أن يسلقوا شيئاً من الخضر فإنهم ينفخون فيها حتى تشتعل. فإذا اشتعلت فإن الماءَ بحرارتِها يكتسب طبعها ويفور طالعاً ومحرقاً.

فهكذا يا إخوتي إذا رأيتم نفوسكم قد بردت بالغفلة والتواني فاجتهدوا في إقامتها ونوحوا عليها ولا بد أن تلك الحرارة تأتي وتتحد بها وتكسبّها طبعها وتفور بالأعمال الصالحة.

لأن داود لما رأى نفسه قد ثقلت وبردت قال هكذا طرحت نفسي أمامك وذكرتُ الأيام السالفة وتلوتُ أعمال يديك.

وأيضاً أني بسطتُ يدي وصارت نفسي كالأرض العطشانة أمامك.

فافهموا يا أحبائي ما صنع داود أنهُ لما ثقل قلبه اجتهد إلى أن توجهت الحرارة إلى قلبه حتى قال: قلبي مستعد يا الله قلبي مستعد وقبل الخفَّة في خدمته الليلية والنهارية.

وهكذا أنتم فاصنعوا أيضاً لكي ما تكونوا مجتمعين باستعداد قلب بضياءِ اللاهوتية وحرارتِها ويكشف الله لكم الأسرار العظيمة التي لا توصف.

وأنا أسأله أن يحفظ أجسادكم وأنفسكم وأرواحكم صحيحةً إلى حيث ينقلكم إلى مقرّ رحمته، الموضع الذي حصل فيهِ آباؤُنا القديسون، كونوا فرحين بالرب الذي لهُ المجد إلى أبد الآبدين. آمين.

الرسالة الحادية عشر

لأولادهِ الرهبان يحثهم على الإفراز وعلى اقتنائه لأنهُ هو الكمال

قال اعلموا يا أولادي المباركين أنني قد كتبتُ لكم كمثل الأولاد الأحباء المستحقين البركة وارثو الملكوت؛ فيجب عليكم إذ قد صرتم هكذا أن تذكروا ليلاً ونَهاراً الذين يريدون أن يصيروا أولاد الملكوت لكي يحفظهم الله من كل الشرور لينظروا كل الأشياء ويتأملوا الصالحات وينالوا الخيرات المعدَّة للأبرار.

ولأنكم يا أولادي قد صرتم لي أحباء وأبناء الملكوت فأنا أطلب عنكم بلا فتور لكي ما يعطيكم الله أن تنظروا وتفرزوا جميع الأشياء حتى تفرقوا بين الخير والشر.

لأن بولس الرسول كتب أن الطعام القوي للكملاءِ وهؤلاء هم الذين درَّبوا حواسهم وعزائمهم بكثرة الفحص عن الخير والشر وصاروا بنيناً للملكوت وأُحصوا في البنوة الإلهية ولأجل هذا يعطيهم الله هذا النظر والإفراز في سائر أعمالهم لكي لا تضلّهم لا البشر ولا الشياطين.

واعلموا أن العدوّ يضادُّ المؤمنين بحجة الخير ويضل كثيرين من أجل أنَهم لم يُعطوا هذا النظر والإفراز. ولما عرف الطوباني بولس هذا الغنى الذي يصير مع المؤمنين الذي ليس لعُظمهِ حدٌّ قد كتب لأهل أفسس الذين صاروا لهُ أولاداً وأبناءً للملكوت لأجل عظم

محبته فيهم قائلاً لهم: أيها المؤمنون الأطهار بأفسس أني منذ سمعت بإيمانكم بربنا يسوع المسيح ومودَّتكم لجميع الأطهار لستُ أفترّ من الشكر عنكم والذكر لكم في صلواتي أن يكون إلـه سيدنا يسوع المسيح آب المجد يعطيكم روح الحكمة والبنيان لتستنير عيون قلوبكم فتعلمون ما هو رجاءُ دعوتهِ وما هو غنى مجد ميراثهِ في القديسين.

وقال أيضاً: أنني أجثو على ركبتي للآب الذي منهُ تسمى كل أبوة ما في السماء والأرض أن يعطيكم كغنى مجده حتى يصحُّ يقينكم ويقوى بما يؤيدكم فيهِ من روحه ليحل المسيح في بشركم الباطل بالإيمان وفي قلوبكم بالمودَّة إذ يكون أصلكم وأساسكم وثيقاً كي تستطيعوا أن تدركوا مع جميع الأطهار ما هو العرض والطول والارتفاع والعمق.

فيا أولادي أنظروا إلى هذا الرسول العظيم أنهُ لما عرف عظم هذا الغنى الذي لا يعرفه أُولئك الذين أُحصوا لهُ أولاداً بدخولهم في الإيمان طلب عنهم أن ينالوا معرفة عظم هذا الغنى الذي قد عرفهُ وهو النظر الحقيقي الذي هو الإفراز الذي ليس شيء أعظم منهُ في الأمانة المسيحية.

وذلك لأجل كثرة محبته فيهم وعلمهم أنَهم إذا نالوه لا يصير لهم تعب في شيء ولا يجزعوا من خوف وفرح ربنا يعزيهم ليلاً

ونَهاراً. وأعماله تصير حلوة عندهم على الدوام في سائر الأوقات ويعطيهم الإله لأجل ذلك إعلانات الأسرار العظيمة التي للدهر الآتي التي لا نستطيع أن نصفها باللسان اللحمي.

فيا أيها الأحباء بالرب الذين قد صرتم لي أولاداً اطلبوا لي ليلاً ونَهاراً بغزارة دموع بسبب هذا النظر والإفراز لكي يكون لكم الخير الدائم من جهة إلهنا ويزداد بَهاؤُكم في كل شيء ويعطيكم أشياءَ أُخر كثيرةً ما عرفتموها قط.

وأنا أبوكم أطلب أيضاً لأجلكم أن تأتوا إلى هذا المقدار الذي لنا لأن كثيرين من الرهبان والعذارى الذين في المجامع لم يبلغوا إلى هذا المقدار.

وإذا أردتم يا أولادي أن تبلغوا إلى هذا المقدار الذي هو الكمال فابتعدوا من كل الذين عليهم هذا الاسم الذي هو الرهبنة والبتولية ولا يوجد فيهم هذا النظر والإفراز.

لأنكم إذا خالطتموهم لا يدعونكم تتقدمون. بل يطفون الحرارة منكم لأن ليس فيهم حرارة لكن برودة، وهم يسيرون كإرادتِهم؛ فإذا أتوا إليكم وتكلموا معكم بكلام هذا الدهر وبما يوافق إرادتِهم فلا توافقوهم.

لأنهُ مكتوب في الرسول بولس لا تطفئوا الروح ولا ترذلوا النبوات **واعلموا يا أولادي أن الروح ليس ينطفي منا إلاّ بالكلام**

الباطل والمزاح وأعمال أُخر كثيرة لا يمكنني أن أكتبها واحدةً فواحدةً.

فإذا ما نظرتم لهؤُلاء فلا تحقروهم لكن اصنعوا معهم الخير ولا تخالطوهم لئلا يجذبونكم إلى خلف. وسلام ربنا يحل على أرواحكم الوديعة يا أولادي الأحباء. لهُ المجد إلى أبد الآبدين. آمين.

الرسالة الثانية عشرة

لأولاده الرهبان في المحبة وأنهُ يشتهي أن يراهم ويتعزُّوا جميعاً بما يعرّفه لهم شفاهياً

قال اعلموا يا أحبائي بالرب أن محبة الرب على الدوام تتعاهد ضمائرنا وتساعد كل الذين أعدُّوا كل أفكار قلوبهم لتذكار كنيسة الأطهار ليلاً ونَهاراً غير متحركة لغيره.

وكما أن هؤُلاءِ روح الله هو تذكارهم دائماً وهو يطلب عنهم بزيادة لأنهم صاروا له أولاداً إذ أنه ولدهم بالله فهكذا أنتم الذين أُحصيتكم لي بنيناً وجعلتكم أبناءَ الله لا أفترُّ عن تذكاري لكم في صلواتي ليلاً ونَهاراً لكي تكون أمانتكم ثابتةً وتزدادون في عمل الفضائل ويثبت ربنا نظركم وإفرازكم ويعطيكم قوَّة عظيمة أكثر مما هو لكم وهذه هي طلبتي دائماً لأجلكم إذ قد ولدتكم بالمسيح وصرتم لي بنيناً.

وهكذا تيموثاوس لما ولده بولس الرسول بالله وصار له ابناً كتب له هكذا قائلاً: أني أذكرك في صلواتي ليلاً ونَهاراً واشتاق إلى رؤيتك واذكر دموعك لأمتلئَ سروراً بما يخطر ببالي من إيمانك الصحيح.

فانظروا يا أولادي لهذا الرسول كيف صار له تيموثاوس ابناً وولده بالله وكان يصنع عنه هذه الثلاثة الأشياء وهو أن يذكره ليلاً ونَهاراً؛ ويصلي بسببه؛ ويشتهي أن ينظره.

وهكذا أنا يا أحبائي الذين من أجل استقامة قلوبكم يحبكم قلبي وأصنع كما صنع بولس لتيموثاوس هذه الثلاثة بعينها وهي أن أذكركم؛ وأصلي عنكم؛ واشتهي أن أراكم.

وأنا أصنع هذا لتذكري أتعابكم وتنهدكم وحزن قلوبكم وكثرة صبركم وهدوكم لأنكم تصنعون هذه الأشياء بقلب قوي وحكمة لأن كل من يعمل أعمال الله فبروح الحكمة يعمل.

وهكذا قال بولس الرسول: أن الله لم يعطنا روح الخوف بل روح الحكمة وقوة المحبة. وربنا يطلب من كلٍّ منا أن تكون أعماله بِهذه الحكمة.

والآن يا أولادي أنا أطلب من الرب أن يسهل طريقي لآتي إليكم دفعة أُخرى لأني أعلم أنكم مشتهون أن تروني كما أنا بالأكثر اشتهي أن أراكم.

واعلموا هذا أن ليس على الأرض شيء يعادل محبة الآباء للأولاد، والأولاد للآباء لأنهم في كل وقت يشتهوا أن ينظروا بعضهم بعضاً.

فإذا كان الآباءُ الجسدانيون والأبناءُ لهم هذه المحبة فكم بالحري الآباءُ الروحانيون وأولادهم بالله فإنَهم يشتهون بخوف الله ومحبته أن ينظروا بعضهم بعضاً لأن الآباءَ بالله أعظم من الآباء بالجسد وأن حب الآباء للأبناء أعظم من حب الأبناء للآباء.

ولهذا قال الرسول الإلهي بولس: إن كان لكم فيَّ محبة يسيرة أما محبتي لكم فعظيمة. وهكذا أنا أبوكم يا أولادي ومحبتي لكم أكثر من محبتكم لي وبما أنكم قد صرتم لي بنين فلنصلي جميعنا معاً لكي يعطينا ربنا أن يرى بعضنا بعضاً دفعة أخرى؛ فأنا أعلم أن باجتماعي بكم يحصل لكم سرورٌ وفرحٌ؛ كما قال بولس السليح: أني تائق جداً إلى أن أراكم وأفيدكم عطية الروح ليصح بها يقينكم ونتعزى جميعاً بإيماني وإيمانكم لأننا إذا اجتمعنا أعلمتكم بأشياء آخر التي لا يمكنني أن أكتبها إليكم في الرسائل ليكون ذلك لكم خلاصاً بالرب يسوع المسيح الذي له المجد والوقار والتسبيح مع أبيه وروح قدسه إلى أبد الآبدين. آمين.

الرسالة الثالثة عشر

لأولاده الرهبان يحثهم على اقتناء الفرح الذي يناله المجاهدون وكيف يحكمون على أهل جيلهم المتوانين

قد تعلمون يا أحبائي بالرب أن كل الخليقة الناطقة ذكراً كان أو امرأة فآلة المحبة كائنة فيهم لكلا الجهتين لقبول الإلهيات والجسدانيات، فالإلهيون يحبون اللاهوتية والجسدانيون يحبون الجسدانية؛ ولأجل أن اللاهوتية فيكم فأنا أحبكم بكل قلبي وروحي لاقتنائكم الله فيكم وقد صرتم عندي في محل عظيم.

وأنا دائماً طالب من إلهي بسببكم أن تنمو في قلوبكم اللاهوتية بمحبته وأن يكشف لكم عظم سرائره التي لا أطيق أن أعبَّر عنها بلساني لأنَها في غاية الرفعة والعظمة لا كمثل التي لهذا الدهر التي لا تُكشف للأنفس الغير طاهرة بل للذين قد طهروا قلوبَهم من جميع النجاسات وأعمال هذا الدهر الزائل.

هؤُلاء هم الذين أبغضوا العالم حتى نفوسهم وحملوا الصليب وتبعوا الرب في كل شيء وعملوا بإرادته فحلَّت فيهم اللاهوتية وأعطتهم حلاوة وفرحاً بالله لأن هذا الفرح يغني النفوس ويجعلها تنموا بزيادة.

وكما أن الأشجار إن لم تشرب من طبيعة الماء لا يمكنها أن تنمو فهكذا النفس إذا لم تقبل الفرح السمائي لا يمكنها أن تنمو وتصعد إلى العلاء.

وأما النفوس التي قبلت الفرح السمائي فهي التي تستطيع أن تنمو إلى العلاء لأنها قد حفظت ما قلناه متقدماً وانكشفت لها أسرار ملكوت السماوات وهي في هذا الجسد ووجدت الدالة أمام الله في كل شيء وكمل لها جميع طلباتها

والآن يا أحبائي المكرمين هذه طلبتي دائماً أن تبلغوا إلى هذا الحد وتعرفوا وتعلموا غنى ملكوت الله الذي ليس له مقدار ولا نهاية وأنا أعلم أن هذا لا تستحقه إلاَّ أنفس قلائل من الرهبان والعذارى الذين في المجامع لكونهم بلغوا إلى حد الكمال وأُعدت لهم كراسي ليجلسوا عليها يوم الدينونة للحكم.

وأنا عارف بقوم في جيلنا هذا قد بلغوا إلى هذا الحد من بنوة الله ولم يخلُ قط جيلٌ من الأجيال ممن بلغ إلى هذا الحد ولا الأجيال الآتية أيضاً تخلوا من ذلك وليس من الرجال فقط بل والنساء أيضاً.

فإذا جلسوا على الكراسي كما تقدم القول كل منهم يدين أهل جيله لكونهم جاهدوا حتى كملوا لأن الذين كملوا هم الذين يدينون المسكونة، وهذا الذي أطلبه لأجلكم ليلاً ونَهاراً أن تبلغوا إلى هذا المقدار لتدينوا أهل جيلكم.

هذهِ لأجل كثرة محبتي العظيمة فيكم التي لا أقدر أن أشرحها بوصفٍ ولا أنتم أيضاً لأن الرسول بولس يقول للذين أُحصوا لهُ بنين أنني لستُ أُريد أعطيكم البشرى فقط بل ونفوسنا من أجل أنكم صرتم لنا أحباء بالرب. وهكذا هو الكائن في قلبي لكم يا أحبائي بالرب. وقد أرسلت لكم عوضاً عني ابني الحبيب إلى أن يسهل الله حضوري عندكم بالجسد وأفيدكم فرحاً أكثر من فرحكم. لأن الرب إذا رأى الآب يحبَّ بنيه فإنه يكون للجميع فرح ويعطيهم قوّةً عظيمةً وسلامة في موضع الوحدانية الذي هو الملكوت الأبدية الذي لكم أن ترثوه بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي لهُ السبح والمجد والعز إلى الأبد. آمين.

الرسالة الرابعة عشرة

لأولاده الرهبان يحثهم على تكميل الطاعة لتحلَّ عليهم بركات آبائهم

يا أحبائي بالرب الذين أعددتم ذواتكم لملكوت السماوات وطلبتم الله لكي يكون لكم كما هو لأبيكم لتمضوا إلى الموضع الذي يمضي إليهِ أبوكم. والبركة التي تحلُّ عليهِ تحل عليكم والمجد الذي يقبلهُ تقبلونهُ لأنكم قد صرتم لهُ بنون ببنوَّة الحق والبركة والطاعة.

لأن الأولاد الطائعين هم الذين يرثون غناءَ آبائهم وبرُّهم وبركتهم لأن الطلبات التي يصنعونَها الأبناء أمام الله تشبه طلبات آبائهم، فبها يرثون فضائلهم وبرَّهم وبركاتهم لأن هكذا كانت طلبات يعقوب شبيهة بطلبات آبائه في كل شيء.

ولذلك حلَّت عليه كل بركات آبائه وأُهّل لنظر السلم الروحاني والملائكة صاعدة ونازلة عليه؛ وقبل أن ينال البركة من آبائه لم ينظر ولا ملاكاً واحداً؛ فلما نال بركة آبائهِ رأى الملائكة وبورك منهم.

وهكذا الأبناءُ الحقيقيون علموا أنَهم لا يستطيعون أن يروا شيئاً من القوَّات إن لم ينالوا البركة من آبائهم فبذلوا الاجتهاد في الطاعة والطلب من آبائهم لكي ما يباركونَهم وبتبريكهم إياهم يستحقون أن ينظروا الأجناد والملائكة.

وإذ هم نظروا إليهم ثبتوا بلا اضطراب في جميع الأشياء وهكذا الطوباني بولس لما نظر إلى هؤُلاء ثبت وتقوَّى وصرخ قائلاً: ماذا يفصلني عن حب المسيح ضررٌ أم حبس أم طرد أم جوع أم عُريٌ أم مقاومة أم سيف.

وقال أيضاً: أنه لا الموت ولا الحياة ولا الملائكة ولا الرؤساء ولا المتسلّطون ولا هذهِ الأشياء القائمة ولا المزمعة ولا القوَّات ولا العلوّ ولا العمق ولا الخليقة الأخرى السفلى تقدر أن تفصلني من حب الله بربنا يسوع المسيح.

فانظروا الآن يا أحبائي أن كل الذين اجتهدوا حتى صاروا بغير اضطراب لا يهمهم شيء البتة وهكذا أُريد أن تكونوا. وأنا مشتهي أن أراكم من أجل ما لكم من كثرة المحبة في الله وأطلب إليه في الليل والنهار أن يحل ببركات آبائنا عليكم وبركتي أنا أيضاً المسكين لكي تسكن فيكم القوَّات العقلية وتجيزوا بقية حياتكم بكل السرور.

لأن كل من لم يبلغ إلى هذا المقدار فإنهُ لم يجد سرور السمائيات، واعلموا يا أولادي أن كل الوصايا ليست ثقيلة ولا متعبة بل نورٌ حقيقيٌّ وسرورٌ أبديٌّ لمن كملَّ الطاعة.

وأنا أقول لكم أنني لم أفتر من الطلب عنكم لكي ما تكونوا معي حيث أكُون أنا لأنكم صرتم لي أبناء وقد سمعتم لي في كل شيء.

ولما نظر ربنا يسوع المسيح إلى تلاميذه أنَهم يسمعون منهُ طلب من أبيه قائلاً: يا أبتِ الموضع الذي أكون أنا فيه أُريد أن يكون هؤُلاء معي، لأنَهم سمعوا كلامي وأنا أُسلم ذاتي عنهم، يا أبتِ أنت فيَّ وأنا فيك وهؤُلاء فينا فيكونوا في الوحدانية كما نحن.

فانظروا يا أولادي إلى طلبة ربنا لأجل تلاميذه أن يكونوا حيث يكون وطلبته أيضاً من الآب أن يحفظهم من الشرير إلى أن يبلغوا إلى موضع الراحة لأنَهم صاروا لهُ أحباء.

واعلموا أن هكذا هي طلبتي إلى الله بسببكم. أن يحرسكم من الشرير إلى أن تبلغوا إلى مواضع الراحة. وأن يعطيكم بركة آبائنا.

لأن هذه البركات إذا حلَّت عليكم تزيدكم نعمةً عظيمةً لأن يعقوب لما مضى إلى ما بين النهرين بعد قبوله البركة نظر الملائكة وباركه الله لأجل طاعته لآبائه ونوال البركة منهم. فلما نظر الملائكة ظاهرين له وجهاً لوجهٍ تمسَّك بأحدهم حتى قبل منه البركة بزيادةٍ وبِها بارك بنيه.

وهكذا أنا المسكين أطلب من إلهي الذي أنا أخدمه من صغري إلى الآن أن يباركَكم ويزيدكم من البركة لكي ما تصيروا مثل أبينا يعقوب الممتلئُ بركة بأرواحكم وأجسادكم.

واعلموا أن أبينا يعقوب لما كان بين النهرين ذكر أبويه وأخذ في الرجوع إلى أرضهِ وفزع من أخيه فقدَّم له قبل أن يلقاه أربع

تقدمات وليس أن أخيه كان محتاجاً لذلك لأنه كان غنياً جداً. بل صنع هذا ليحلَّ العداوة التي بينهما وتحلُّ عليه بركة آبائه لأنه يعلم قوَّة بركة آبائه. كما هو مكتوب أن بركة الآباء تحلُّ على بيت الأولاد.

فمن الآن يا أحبائي بالرب أنه لفرح لي أن تذكروا مسكنتي وتذكروا أيضاً آبائكم الجسدانيين لكي تحلَّ عليكم بركاتَهم في كل حين، اعلموا هذا وسلام الرب يحفظ قلوبكم ونعمته تعضدكم لهُ السبح من جميع الناطقين. آمين.

الرسالة الخامسة عشر

لأولاده الرهبان يعرّفهم فيها أن الصوم وبقية الفضائل ثمارٌ حية ناطقة وأن المجد الباطل وراحة الجسد تفسدها وتجعلها ثماراً مائتة رديئة ويحثهم على الهروب من هذا واستعمال تلك

قبل كل شيء يا أولادي المباركين أنا أسأل الله أن يعطيكم غير المنظورات. لأن هذه المنظورات زمنيات فانيات وتلك الغير منظورات أبديات باقيات؛ وطلبتي هذه عنكم لأني نظرت ثماركم حيَّةً ناطقةً وصرتم إرثاً ونصيباً للإله الكلمة ولذلك فرح قلبي جداً لأني أعلم أن الله يفرح بمن تكون ثمارهم هكذا حية ناطقة ويجعلهم ميراثاً لهُ ونصيباً.

وأن كل الذين ثمارهم ميتة فإنَهم لا يعدون نصيباً لله؛ بل هو يلومهم بالأكثر كما قال للنبي أن يعرّفهم ذلك بقوله لهُ أصرخ بقوَّةٍ ولا تشفق وأرفع صوتك مثل البوق وعرّف شعبي بخطاياهم وبيت يعقوب بآثامهم لأنَهم ليسوا بعيدين وأنَهم سيطلبونني في الأيام الأخيرة.

وهم بشهوتِهم الغضبية قالوا: لماذا صُمنا ولم تعلم؛ ووضعنا نفوسنا ولم تنظر، فأجاب وقال للذين قالوا هذا: لأنكم في أيام صومكم توجدون صانعي إرادة قلوبكم الشريرة والذين هم تحت

سلطانكم تتقسمون عليهم. وتقرعون رؤُوسهم؛ وصومكم هو للقضاء والحروب.

وإذ أنتم هكذا فأنا لا أقبل صومكم لأن هذا الصوم ليس هو الذي اخترته قال الله. وقال أيضاً لو لويت عنقك مثل الحلقة ولبست مسحاً وبسطت رماداً فليس هذا الصوم بمقبول.

فاعلموا يا أولادي أن هذه هي الثمار المائتة وأن كل الذين يصنعونَها لا يسمع الله لهم عند تضرُّعهم بل يلومهم بالأكثر.

والإنجيل المقدس قد بيَّن لنا هذه بقوله إذا كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلام كم يكون. والنبي أيضاً في موضع آخر يقول أن جميع برُّكم عندي كخرقة الحائض.

فإذ قد عرفتم يا أولادي الأحباءُ هذه الثمار المائتة فلا تَهتموا بشيء منها لئلاَّ تفسد أثماركم الحية الناطقة.

وأنا أتضرَّع إلى الله من أجلكم أن يحفظ ثماركم من الفساد ويجعلها أن تنمو وتزيد في نعمتكم وفرحكم ومحبتكم للإخوة وللمساكين ويكمل فضائلكم الحسنة وثماركم الحقيقية إلى أن تخرجوا من هذا المسكن وتجتمعوا بعضكم ببعض في ذلك الموضع الذي ليس فيه مرض ولا ضيق ولا شرٌّ لكن فرح وسرور ومجد وأكاليل وتاجات وثمارٌ طاهرة وكنيسة الأطهار والميراث الذي لا

يزول وسائر الخيرات التي لم ترَها عين و لم تسمع بِها أُذن و لم تخطر على قلب بشرٍ.

وأُريدكم يا أولادي المباركين أن تعضدوا طلبتي هذه وعظم محبتي فيكم بدوامكم على أعمال الرب بقلوب ثابتة.

وأنا أطلب إليهِ أيضاً أن يحفظكم في هذا الوقت من السوء وتكونوا معافين بالجسد والنفس والروح ويعطيكم معرفةً في كل الأشياء لكي تخلصوا من طغيان هذا الدهر ويكون لكم سلامة وفرح وخلاص بالرب من هذه الثمار المائتة الرديئة التي أصلها جميعها المجد الباطل وراحة الجسد.

وسلام ربنا يسوع المسيح يحل على جميعكم؛ الذي ينبغي لهُ المجد والعز والإكرام الآن وإلى أبد الآبدين. آمين.

الرسالة السادسة عشر

من أجل المسكنة والاتضاع

لنتكلم معاً يا أولادي الأحباء بيسير من أخبار الآباء القديسين الأطهار الذين رفعهم الله لأجل تواضعهم ومسكنتهم الأولى وأعطاهم المجد والغنى ههنا لكونَهم تواضعوا من كل قلوبِهم قبل تعظيم الله لهم.

فنخبركم أولاً عن أب الآباء إبراهيم أن الله رفعه من المسكنة إلى الغنى ومن الإهانة إلى المجد؛ وكل هذا جسداني و لم ينسَ إبراهيم مسكنتهُ الأولى بل صار ساكناً في المظال، وكذلك اسحق ويعقوب.

وكان لإبراهيم الاستطاعة أن يبني لهُ القصور في كل مكان إذ كان قد صار لهُ من الغنى الكثير بالذهب والفضة والعبيد والإماءُ والمواشي وهو لما كان يعلم أن قلبهُ إذا كان دائماً في تذكار المسكنة لا ينسى كثرة الخيرات التي صنعها الله معهُ.

فلم يفعل ذلك بل سكن المظالَّ ولأجل ذلك ظهر الله لهُ ومعهُ ملاكان وهو جالس عند شجرة ممري. ولما أهتم بربنا وملائكته لم يأمر أحداً من عبيده أن يصنع ما أهتم بهِ لئلا ينسى النعمة التي أعطاها لهُ بعد تواضعهِ ومسكنتهِ بل هو نفسهُ بشيخوخته الحسنة التي كانت تناهز مائة سنة مضى إلى قطعانهِ وأتى بعجلٍ جيدٍ وذبحه

وأمر زوجتهُ نفسها أن تعجن ثلاثة أكيال سميداً وكان كل عبيدها وإمائها قياماً حولها.

وإبراهيم لما قدم لهم ليأكلوا كان واقفاً بين أياديهم كالمسكين الذي ليس لهُ شيء من العبيد. ولأجل هذه المسكنة التي كانت لهُ ظاهرة أمام الرب؛ أظهر لهُ الرب نفسهُ وكمل لهُ كل إرادتهِ وقال لهُ في ذلك اليوم: أن في مثل هذا الوقت من العام المقبل يكون لسارة ولدٌ؛ وكان كذلك ورزقا إسحاق.

وإسحاق هذا كان غنياً جداً وتمسكن بقلبه حتى أن الفلسطينيين كانوا يظلمونهُ كواحدٍ مسكين ولا كان يقاصهم وكان غناه يزداد أكثر منهم.

وهكذا يعقوب لما أراد أن يمضي إلى بين النهرين قبل نياحة أبيهِ إسحاق وحصول البركات لهُ منهُ ترك عنهُ كثرة الغنى وكان يمشي بمسكنةٍ وليس معهُ سوى عصاهُ وزاد لكفافه في الطريق. وكان إذا رقد يضع تحت رأسهِ حجراً ولأجل هذا استغنى بالأكثر في بيت خاله لابان.

فلما أراد أن يرجع إلى بيت أبيه لم ينسَ المسكنة لأجل ما صار لهُ من كثرة الغنى. لأنه كان دائماً مستسير بالمسكنة، بل وقد أظهرها أمام الرب قائلاً: أنني عبرت الأردن بعصاتي وكنت بين عسكرين.

فانظروا أيضاً كيف أنه لم ينسَ المسكنة حتى إلى وقت نياحته. فلما سجد على طرف عصاته وكانت أولاده حوله أوصاهم قائلاً: لا تنسوا المسكنة الأولى يا أولادي لأجل ما صار لكم من هذا الغنى؛ وكانت عصاته بيده دائماً في كل وقت حتى لا يتكبر قلبه بكثرة غناهُ بنظره إليها ويذكر العبودية التي صنعها في بيت خاله لابان لأنها كانت بيده حيث كان يرعى رعيته.

وهكذا يوسف لما ملك على مصر لم ينس ذاته ولم يخز أن يُظهر ذلك لفرعون بقوله لإخوتهِ إذا استقصى منكم فرعون فقولوا لهُ أن عبيدك رعاة للبهائم وقد فعل هذا حتى لا يكون لهُ فخر عند فرعون فانظروا أن ملكه وغناه لم ينسياه إذلاله ومسكنته.

وهكذا موسى كبير الأنبياء لما صار ابناً لابنة فرعون ومُلّك على خزائن مصر جميعها عندما ذكر إخوتهِ المولودين من إبراهيم الذي رفعه الله من تواضعه ومسكنته قد طلب حياتهم وانتزح عن مصر وصار غريباً بأرض مديان أربعين سنة وكان خبزه وماؤُه على كتفه وهو يرعى الغنم.

فلما نظر الله إلى كثرة تواضعه خاطبه قائلاً: أن يرجع إلى مصر ويكون رئيساً على شعب الله. فقال موسى للرب أنظر لك آخر غيري يصلح لهذا الأمر فإني لست صالحاً لهُ؛ وأغضب الرب بهذا القول وهذا القول كان منه احتقارٌ لذاته لأنه لم يتكبَّر.

ولأجل كثرة تواضعه عظَّمه الله وأعطاهُ علامةً في عصاته حتى لا ينسى المسكنة بل يشكر لنعمتها. وأمره أن يصنع الآيات والعجائب بالعصاة التي بيده. وكل العجائب والآيات كانت كائنة معه بالرب في عصاته ليكن تذكار مسكنته عنده ولا ينساه لأجل تلك العصاة التي هي دائماً بيده وبِها شق البحر وبِها صنع العجائب بمصر.

وأما البحر فكان ينبغي له عندما نظر عمود النور يتقدَّم أمام الشعب أن ينشق ويولي هارباً فلم يكن كذلك بل أن الله جعل موسى أن يفلق البحر بعصاته التي بيده. لكي إذا تعظم قلب موسى لكون البحر خاف منه فينظر إلى عصاته التي بيده ويتذكَّر أنَها التي كان يرعى بِها الغنم في البرّية وهو غريب مسكين فيتضع.

فهذه العصاة كانت لموسى للأمرين كلاهما الأوَّل تعظيماً لهُ لأجل كثرة العجائب التي كان يصنعها بِها. والآخر تذكاراً للمسكنة حتى لا يتعظم بقلبه بل يقول أَن هذه القوَّة ليست هي لي بل هي للرب.

وقد قيل عن دبورة أنه لما حصل لها من الله تلك الرفعة العظيمة التي هي تدبير الشعب جميعه لم يرتفع قلبها بل كانت تذكر طقس النساءِ وتقول أن الرجل رأسها ولما أرادت محاربة سيسرا الملك أرسلت خلفه باراق وأعطته السلطة لكي يمضي ويحارب سيسرا

وأن القديس باراق لم تضله هذه الكرامة العظيمة ولا نسي تدابير الله بل قال لها إن كنت تنطلقي معي فأنا أنطلق.

لأنه كان يعلم أنِ الله معها وقد ولاَّها التدبير حتى أن دبورة قالت لهُ أنني إذا خرجت معك لا تكون لك كرامة بل يقال أن سيسرا سُلّم في يدي امرأةٍ.

فانظروا يا أولادي إلى كرامة هذين إذ كان ينبغي لدبورة أن تقول أن الرب أعطاني هذه الكرامة وأني لا أُعطيها لآخر بل أنَها ذكرت طقس النساء من أجل اتضاع قلبها.

وكان أيضاً ينبغي لباراق لما تولَّى الأمر من دبورة أن يمضي إلى الحرب وحده ليفتخر ويقول: أني أنا غلبت سيسرا بل بالأكثر اتخذ الاتضاع حتى تأتيه المعونة من الرب.

وهكذا جدعون أيضاً لما قال لهُ ملاك الرب أنني مرسلك إلى محاربة ملك مديان. لم يتكبر قلبه بل ذكر مسكنته ولام نفسهُ وحدهُ بأنواعٍ كثيرة ليتخلَّص من الكبرياء فأوَّل ما قال: يارب كُن معي بقوتك حتى يتخلص إسرائيل لأني أنا وهذه الربوات مذلولون وأنا أصغر من في بيت أبي (الذي هو سبط منسى).

فقال لهُ الملاك: أذهب أنا أكون معك ولكن تواضع قلبه لم يتركه بغير اهتمام فطلب من الملاك علامات لأنهُ كان عند نفسهِ غير مستحق لهذا المقدار العظيم ولأجل ذلك قوي على مديان

معونة الرب وكان دائماً يذكر مسكنته الأولى هارباً من العظمة ولما سأله الشعب أن يكون رئيساً عليهم أجابَهم باتضاع قلب أنني لا أكون رئيساً عليكم ولا ولدي أيضاً بل الرب هو الرئيس عليكم وفرَّ من الرئاسة ولم تضله الكرامة في شيء.

وهكذا حنَّة أُم صموئيل النبي كانت تصنع لهُ لباساً في كل سنة مما يختص بها ومعلوم أن هيكل الرب ليس كان محتاجاً حتى تأتي أُم النبي بلباسٍ من عندها بل أن أُمهُ فعلت ذلك لأجل دخوله إلى الهيكل صغيراً لئلا يقول أني ملاك ذو قوَّة ورأيت إعلانات في الهيكل.

وكانت تصنع ذلك في كل سنة حتى يعرف ويتحقق ابن من هو ويذكر تواضعهُ وجنسهُ ولأجل هذا كان ينمو بزيادةٍ مرضياً لله. وحنة أُمهُ أيضاً كانت متضعة وديعة، كما قد صار داود النبي متضعاً وديعاً.

فلنتخذ نحن يا أولادي الوداعة والاتضاع مثل هؤُلاء. لأن داود قال: اذكر يارب داود وكثرة دعتهِ. وعندما كان يرعى غنم أبيه انتخبهُ الله ملكاً مكرَّماً منه أكثر من جميع بيت أبيه. ولما مضى ليحارب جليات اتخذ ثلاث حجارة من الوادي وخبأهم في مخلاته وأخذ أيضاً عصاته التي كان يرعى بِها الغنم وتقدَّم لجليات الجبار وحاربهُ وبقوَّة الرب غلبهُ.

وأُحضر أمام الملك شاول وصار مكرَّما منهُ ولم يترك عنه لأجل كرامة قصر الملك لا عصاته ولا مخلاته بل حفظهما معهُ ليكون قلبهُ دائماً متضعاً وأيضاً يكون مثالاً لنا لنتعلَّم نحن. ولما دُهن بالدهن وصار ملكاً قال أنني لم أنسَ مسكنتي وتواضعي ولم أرتفع بقلبي.

وقال من أجل ذلك بإعلان. يارب لم يتعظَّم قلبي ولم تستعلَ عيناي ولم أمشِ في عظائم ولا عجائب أكثر مني. وإن كنت لم أتواضع بل رفعت صوتي مثل المفطوم من لبن أُمه. مثل المجازاة على نفسي.

وهذه المزامير لم يقولها داود إلاَّ وهو ملك. ولم ينسَ مسكنته الأولى بل قال صغيراً كنت في إخوتي وشاباً في بيت أبي كنت أرعى غنم أبي. وهذه الأقوال قالها لكي يعرفهُ جميع العالم ويتعلَّموا الاتضاع والمسكنة.

وهكذا أيضاً إيليا النبي لما صنع العجائب الكثيرة لم يترك عنهُ مأزرته ولا عند صعودهِ إلى الفردوس لئلاَّ يتعظَّم قلبه لكثرة ما كان يصنع من الآيات بل في صعوده طرحها على تلميذه إليشع وكان أيضاً متمنطقاً بمنطقة الجلد لتذكرّه أنهُ إنسان مسكين وبتذكار تلك المنطقة الجلد لم ينسَ مسكنته الأولى.

وهكذا الآباءُ الرسل لما ابتدءوا يتبعون ربنا يسوع المسيح كانوا يتذكرون مسكنتهم الأولى دائماً. حتى أن ربنا قال لبطرس الرسول في كفر ناحوم عندما طولب بالجزية أمضِ إلى البحر وألقِ صنارتك وأول سمكة تطلع أفتح فاها فتجد استاراً فخذها وأعطِ عني وعنك.

فيا أولادي انظروا إلى بطرس أنهُ لم يترك عنهُ صنارتهُ لئلاً ينسى تواضعهُ ومسكنته. واعلموا أن ربنا أظهر هذه المقدَّم ذكرها لنتضع نحن بذواتنا ولكي يفتضح الشيطان ويخزى وتنطفي سهامهُ النارية المتوقّدة.

وليس هؤُلاء المذكورين ومن شابَههم فقط الذين ذكروا مسكنتهم بل ربنا يسوع المسيح نفسهُ دعي ابن داود وقال عن ذاته أن ابن الإنسان لم يأْتِ ليُخدَّم بل ليَخدِّم وكان إذا قيل له أنت ابن الله ينتهر من يقول ذلك. وإذا صنع العجائب والأشفية كان يأمرهم قائلاً: لا تعلموا أحداً وكل هذا تواضع منه لأجلنا. وليس تركهُ الافتخار خوفاً منه كلاَّ لأنه قادر أن يظهر قوَّة لاهوته أي وقتٍ أراد بل ذلك كان منهُ ليعلّمنا أن نحفظ مسكنتنا وضعفنا لننظر الرب ونتواضع. لأنه ظاهر أن لا أحد يمكنه أن يتضع بحقيقة قلبه إلاَّ من قد نظرت نفسه الرب.

واعلموا يا أولادي أن كثيرين يسعون بالاتضاع وليس كذلك بحقيقة قلوبهم فهم بظاهرهم متضعون أمام الناس و لم ينظروا كرامة

الله وهذا الأمر لا يناله أحدٌ بكثرة الذهب والفضة والنحاس ولا بالقرب من الملك الأرضي ولا من عساكرهِ وجنوده. بل مذكور عن الآباء الأطهار القديسين أنَهم إذا جاهدوا ونظروا الرب فإنَهم يتواضعون بالأكثر لأننا سمعنا المكتوب عن أيوب أنه قال للرب أنت تعلم يارب أني إنسان خاطئ ومن هو الذي يخلص من يديك ليتَ بيننا واسطة للحكم وبقية المقول.

ثم أن أيوب لما رأى الرب في سحابة وتكلَّم معه وانفتحت عيني قلبه ونظره أعدَّ نفسه تراباً ورماداً وندم كونه تكلم مع الرب فقال: أني أضع يدي على فاي لأني تكلمت دفعةً ولا أرجع إلى مثلها.

وهكذا أيضاً إشعياءُ النبي في الأول بكت الشعب لأجل خطاياهم وبعد أن رأى الرب الصاباؤوت والسارافيم قياماً حوله أظهر تواضعه بالأكثر قائلاً: الويل لي لأني إنسان خاطئُ ذو شفاهٍ دنسةٍ.

وتلاميذ ربنا يسوع المسيح كانوا يأكلون ويشربون معه و لم يخافوا عند مفاوضته لهم ولما تجلى على طور طابور وتغيَّر شكله أمامهم سقطوا على وجوههم وعرفوا مسكنتهم وتواضعوا وعلموا أنَهم لا شيء أمام مجد السيد المسيح.

ونحن فموجود عندنا شهادات كثيرةً كهذه لأن سبب كثـرة تواضع القديسين هو ما نظروه من مجد الله وأن العمل الذي صنعه ربنا مع تلاميذه يقنعنا بالأكثر لكي ما نعرف أن الاتضاع الحقيقي يكون للنفس في هذا العالم بنظرها من البُعد إلى المجد المعدَّ المزمع أن تناله.

لأن الإنجيل الأقدس يقول أن ربنا يسوع لما علم أن الآب قـد سلَّم في يديه كلّ شيء قام عن العشاء ووضع ثيابه وأشتد بمنـديل وصب ماءً في لقانٍ وبدأ يغسل أرجل تلاميذه ويمسحهم بالمنـديل المشتدّ به لأن تلاميذه صاروا متضعين.

وهكذا يا أحبائي بالرب إذ قد نظرتم مجد الرب وعرفتم ميراثهُ الذي تقبلونهُ فاتركوا عنكم مجد البشر وداوموا في هذا التواضـع العظيم ولا تنتقلوا من موضع إلى موضع لأجل مجد الناس فتنـسوا مسكنكم الأول. لأني أرى قوماً هكذا هذه صورتهم فيطلبون مجد الناس فإذا حصل لهم ذلك في مجامع سكناهم يجعلهم أن ينتقلوا إلى مجامع أُخر لكي يحصل لهم زيادة في المجد من الناس.

فإذ قد عرفتم الآن هذا يا أولادي فلا تنقلوا من مجمع إلى مجمع لأجل مجد الناس بل كونوا عند ذواتكـم كالأطفـال وتـشبهوا بتلميذيّ يوحنا المعمدان لأنهما لم يتركاه ولا قصدا الافتخار بغيره بل لما علما أن الرب يسوع أعظم من يوحنا بشهادة يوحنا عنه قد

يتعاه لكي ما يصيرا من الأطفال الجدد؛ فاصنعوا هكذا أنتم في كل حين عندما تمضوا إلى من هو أكبر منكم ليتم فـيكم المكتـوب يتجدد شبابك مثل النسر؛ وقولوا أننا خطـاةً؛ وأبكـوا علـى أرواحكم لأجل ما قد صنعتموه بعدم المعرفة وبهذا تكون بالحقيقة إرادة الرب كائنة معكم وصانعة فيكم لأنه صالح ويغفر خطايا كل من يرجع إليه من البشر ولا يذكرها بعد بل هو يريد أن يوجـدوا هم ذاكرين خطاياهم المصنوعة منهم أولاً لئلاً ينسوها ويكونـوا مطالبين بما قد غفر لهم من الخطايا.

لأنه هكذا جرى لذلك العبد الذي ترك له سيّده ما كان عليه من الوزنات. فلما نسي ذلك وجهل بما صنعه برفيقه في العبوديـة طلب منه سيّدهُ كلَّ ما كان له عليه الذي كان تركه له لأجل أنه لم يرحم رفيقه في العبودية ويترك له المائة دينار التي هي مقدار يسير بالنسبة إلى ما ترك له.

وموسى أيضاً في البريَّة أوصى شعبه أن لا ينـسوا خطايـاهم الأُولى بقوله لهم إذا ما دخلتم إلى الأرض التي ترثونَها فاحتفظوا إذا استغنيتم أن تأكلوا وتشربوا وتبطروا لكن اذكروا العبوديـة الـتي كانت لكم بمصر وما قد أغضبتم الرب به أيضاً في البريَّة. ويكون هذا التذكار لكم طول أيام حياتكم.

وهذا هو لنا يا أولادي إذ صرنا عبيداً زماناً طويلاً بمصر التي هي الخطيئة التي نحن بإرادتنا استعبدنا لها.

فلنجاهد إذن أن ندخل أرض الميعاد؛ وإذا دخلنا فلا ننسى عبوديتنا بل نذكرها دائماً لئلاَّ نأكل ونشبع ونبطر. ولكن ليس موسى يعلمنا ذلك فقط بل وسائر الأنبياء أيضاً هكذا يعلموننا بأن لا ننسى خطايانا التي قد غفرها الله لنا ونسيها. بل نكون نحن لها ذاكرين كل حين لكي ما نكون على الدوام متواضعين أمام الرب كمثل قوم ماثلين أمام من له عليهم دين. وانظروا إلى داود النبي أيضاً أنه لما أخطأ بامرأة أُوريا وبكَّتهُ ناثان النبي لأجلها ولأجل ما صنعه بزوجها أيضاً فعندما سمع التبكيت لوقته ندم وتواضع فقال له ناثان: أن الله قد غفر لك خطاياك. أما داود لما حظي بالصفح عن خطاياه لم ينسها ولا ترك تذكارها عنه بل كتبها في المزمور الخمسين وصار ذلك تذكاراً في جميع الأجيال من جيل إلى جيل. ولما قد حصل له من الصفح قال أني أعلّم المخالفين طرقك وإليك ترجع المنافقون؛ وهذا قاله داود ليتعلَّم منه كافة الخطاة ويقوموا مثله هكذا ولا ينسوا خطاياهم التي تترك لهم بل يكونوا لها ذاكرين في كل وقت.

وهكذا قال الله في سفر إشعياء النبي أني أمحو خطاياك ولا اذكرها. فأما أنت فاذكرها أولاً لتتزكَّى. فلأجل هذا يجب على الخاطئ إذا ترك له الله خطاياه لا ينساها بل يذكرها ليتزكَّى.

وقال أيضاً في إرميا النبي ارجعوا إليَّ يا جميع بيت إسرائيل لئلاَّ آتي ببليتي عليكم لأني رحوم يقول الربَّ ولا أغضب عليكم إلى الأبد لكن اعرف أنت ظلمك وأنك قد صرت جاهلاً لذاتك ومنافقاً على إلهك.

وهكذا نحن يا أولادي الواجب علينا إذا ما غفر لنا ربنا خطايانا لا نغفرها نحن لذواتنا بل نذكرها دائماً بتجديد التوبة. ولهذا فإن يوحنا المعمدان لما كان يعمّد الشعب للغفران أمرهم قائلاً: لا تكونوا بغير اهتمام من أجل غفران خطاياكم بل اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة لأن ها هوذا الفأس موضوعاً على أصول الشجر وكل شجرة لا تثمر ثمرة صالحةً تقطع وتُلقى في النار.

فهذه جميعها أذكركم بها يا أحبائي لأجل أنني أذكر عظم فضيلتكم ولئلاَّ تتغافلوا فيخفى نوركم. بل ولتزدادوا أثماراً تليق بإسكيمكم الملائكي الذي أنتم لابسوه واعلموا هذا أيضاً كيف أنه لما وجد ذلك الإنسان الكنز المخفي في الحقل قد باع كل شيء من قناياه واشترى ذلك الحقل.

فأنتم الآن يا أحبائي بالرب لقد ظهر مجدكم في الشركة جميعها لكن أنتم لا تتفكروا في هذا لئلاَّ تتعظَّموا بل باتضاعكم ووداعتكم اذكروا مسكنتكم الأُولى فتصيروا كمن لا يعلن ذلك. لأن موسى لما تمجَّد لم يعلم ببهاء وجهه لأجل تواضعه ووداعته. ولما أن علم الشعب ذلك. وكان في خوفٍ عظيم من نظره إياه. سترَ موسى وجهه.

كذلك أنتم يا أحبائي إذا ما تركتم عنكم خيرات هذا العالم الزائل الذي هو أرض الأموات كما تركه من تقدم ذكرهم. فليكن رجاؤُكم قوياً لكي تنالوا الخيرات من الرَّب في أرض الأحياء.

فلا تطلبوا يا أولادي المباركين أن ترضوا الناس الذين في كورة الأموات وإلاَّ فلا تستطيعوا أن ترضوا الرَّب في كورة الأحياء وإذا نلتم الخلاص من خطاياكم فلا تغفروا أنتم من أنفسكم لذواتكم لئلاَّ تكون ثمار توبتكم عاجزة بل تشبهوا إذن بمعلم المسكونة بولس الرسول أنه من بعد أن غفر له الرَّب بظهوره له وكلامه معه لم يغفر هو لذاته وحده و لم ينسَ عدم معرفته الأُولى التي قد نسيها الرب برحمته بل قال أني كنت طارداً لكنيسة الله وأمثال ذلك.

ربنا يسوع المسيح يحفظكم في طاعته إلى الأبد. الذي ينبغي له التقديس والتسبيح مع أبيه وروح قدسه. آمين.

الرسالة السابعة عشر

لأولاده الرهبان يعرّفهم أن الاتضاع الحقيقي لا يحصل إلاَّ بعد نظر الثاؤريا التي هي نظر الله ؛ويبين رتبها الثلاثة الأولى والوسطى والكمال بشهادات من العتيقة والحديثة ؛ ويحرضهم على تكميل ذلك بمعرفة الرب

اعلموا يا أحبائي أن ليس الثابت في شيء واحدٍ هو الناسك ولا المتمسك بشيء واحدٍ هو المضاد للفضيلة؛ وإن كان النسك هو فخر الفضيلة فإن كثيراً من الشرّ مضادٌ لها.

فالذي يريد أن يصير كاملاً بالنسك فلا يتعبَّد لشيء من الشر لأن الذي يتعبد لشيء واحد من الشرّ فإنه بعيدٌ من حدّ الكمال لأن الكمال هو كما قيل أنني تحرَّرتُ من الكل لكي أربح الكثيرين وهذا القول قاله بولس الرسول لأنه لم يكن بعدُ يجعل ذاته عبداً للشرّ ولا يعلّمها ما كان قد تركه عنه.

ولما انعتق من الشرّ وتحرَّر إلى الانقضاء طلب من أجل فائدة الكثيرين الذين كانوا يريدون أن يتعبدوا للشرّ لأنه ما كان لهم استطاعة أن يتخلصوا من خطيئة شرورهم لكونهم عاجزين عن قوَّة القائل في المزمور: لنقطع أغلالهم ولنلقِ عنَّا نيرهم.

ولما نظر السليح بولس إلى الرَّب يسوع حصل له الكمال وعند ذلك كان معاضداً للذين ليس لهم قوَّة حتى يبلغوا إلى التمام ويمضوا

إلى العلوّ وذلك بكثرة التواضع الذي صار له مثل ربنا يسوع المسيح الذي جعل بكثرة تواضعه لاهوتهُ مستتراً بناسوتهِ وكان يُنظر إليهِ مثل إنسان وليس هو إنساناً فقط بل إلهاً متأنساً كالمكتوب. والكلمة صار جسداً وحلّ فينا.

والرسول بولس أيضاً لما كان مستسيراً بالتواضع كالأوامر التي أمره الرب بها قال: إنني صرت مع من لا ناموس له كمن لا ناموس له من حيث لم أكن بلا ناموس لأربح الذين لا ناموس لهم. ولم يصر الرسول كذلك خارجاً عن كماله. كما لم يصر ربنا خارجاً عن لاهوته بتجسده الذي كان لا بدَّ له منه كما قيل في الناموس وكما كتب في الإنجيل أن الكلمة صار جسداً وحلَّ فينا.

وإذ كان الرسول كائناً في كماله. لأنه أوَّلاً انعتق من الشرّ وثانياً أنه لم يتعبَّد بعدُ لشيء من الشهوات لكونه صار ناسكاً وفي الآخر تحرَّر بنظره للسيد يسوع المسيح وعندما نظرهُ للوقت تبع أقواله بلا تأخير وصار في غاية الكمال والاتضاع.

وهكذا كل الذين يتمسكون بأقوال الرب فإنَهم يعرفون الحق. والحق يصيرّهم أحراراً ويعتق نفوسهم من كل الشرّ كما صار بولس الرسول. لأن مخلصنا أظهره حراً ولأجل ذلك قال هو عن ذاته: أفلست أنا حراً. أو لم أنظر الرب كما نظرهُ أولئك الأوَّلون.

ثم أن كثيرين يقولون بجهالتهم إننا رأينا الرب يسوع مثل الرسل؛ وهؤُلاء يا أولادي مخدوعون وضالون وليس لهم عيون ينظرون بها كما نظر الرسول للرب.

لأن الرسول نظر الرب كما كان ينظره الرسل الذين كانوا معه ومن آمن به في ذلك الوقت مثل ما كان يمشي والجموع حوله وهم ينظرونه كإنسان.

فلما نظرته النازفة الدم بعيني قلبها وآمنت أنهُ إلهٌ ولمست بإيمان طرف ثوبه خلصت؛ ولما قال من الذي لمسني ليس لأنهُ كان غير عارف بل ليشهر أمانتها. فقال له بطرس: أن الجمع يزحمك وتقول من الذي لمسني.

ولما أظهرت تلك أنَها شفيت قال لها الرب: أمضي بسلام إيمانك خلصك. ولكن بيلاطس وحنان وقيافا رأوا الرب كمثل سائر الجموع الذين كانوا ينظرونه بعيني الجسد فقط. لأنَهم لم ينظروه بأمانة مثل ما نظره الرسول ولذلك لم يستفيدوا شيئاً بنظرهم له.

والرسول نظره بعين قلبه وأمانته القويَّة كمثل ما نظرته النازفة الدم التي لمسته بإيمان وشفيت. وكما ظهر ربنا يسوع المسيح لرسوله بولس بعد غلبته للأوجاع وصيرهُ حراً.

فهكذا كل من انعتق من الأوجاع فإنه ينظر الرب بعيني قلبه ويتحرَّر لكنه لا يستطيع ينظر بعيني جسده ذلك النور البهي جداً الذي نظرهُ بولس الرسول. وأما أولئك المخدوعون المتعظمون بنفوسهم فشرهم عظيم ولا يستطيعوا أن يقبلوا خبز الحياة لأن أعينهم غير نيرة وهم غير مرضيّين لله. الذي تسجد له جميع الأطهار بقلوبهم ويرونه.

لأن ربنا يظهر لمثل هؤلاء الذين ليس هم عبيداً للأوجاع لأنه مكتوب هكذا من أجل إشعياء النبي أن الرب ما رجع يظهر للنبي لكونه لم يبكت الملك عُزيا ومنع عن النبوة. وبعد وفاة عُزيا ظهر له ملاك الرب وطهّرهُ بالجمرة النارية.

فاعلموا إذاً يا أحبائي هذا أن الإنسان إذا مات منه ملك الخطيَّة فإن الله يظهر للنفس ويطهرّها والجسد معاً.

فإن كان ملك الخطيَّة حياً في الجسد فلا يمكن للإنسان أن ينظر الله. لأن النفس كائنة في الظلمة فلا يظهر فيها النور الذي هو نظر الله. لأن داود يقول: بنورك يارب نعاين النور. وما هو هذا النور الذي يعاين الإنسان به الله ؟ هو النور الذي ذكره ربنا يسوع المسيح في الإنجيل. أن يكون الإنسان كله نيرّاً وليس فيه جزء مظلم.

وكما قال أيضاً: أن ليس أحد يعرف الآب إلاَّ الابن ولمن يريد الابن أن يكشف لهُ. وإن الابن يا أولادي لا يظهر أبيه لبني الظلمة بل للثابتين في النور الذين هم أبناء النور وقد أضاء عيون قلوبهم بمعرفة الوصايا.

فيجب علينا نحن أن نتشبه أولاً بموسى العظيم في الأنبياء لنجد مجد أمانته بالله الذي لا يرى. لأن موسى صار ابناً لابنة فرعون ولما أختار أن يتعب مع شعب الله ترك عنه العبودية المملوءَة إهانة وهو لم يكن نظر الله بعد إذ كان في العبودية. بل لما خلص من تلك العبودية التي لفرعون عند ذلك تحرَّر واستحق أن ينظر العوسجة مشتعلةً بالنار وهي لا تحترق وقال: أنَها كانت رؤيا عظيمة وكانت له بداية ثم نظر السر الأوسط وبعدهُ كان الكمال.

وموسى هذا لما ترك مصر وهرب من فرعون كان له يومئذٍ أربعين سنة وعمل عملاً مضاداً لفرعون وتفرَّد في برّية مديان التي تأويلها موضع الله. لأن العقل إذا تفرَّد عن الكثيرين وصار في الوحدة فإن الله يقويه ويثبّته ليمكنه أن يسأل ويبحث في الذي للرب وعند ذلك ينظر عظمة قوته ولاهوته وبَهائه في خلائقه.

فيا أولادي إن بداية الرؤيا العظيمة هي النظر الأول الذي نظره موسى بالعجب العجيب كون العوسجة تشتعل ولم تحترق وهذا النظر بعيد من حد الكمال.

وأما نظر السر الأوسط فهو أنه تقدم بزيادةٍ أكثر من الوقت الأول وقال أمضي وانظر ما هذه الرؤيا العظيمة فلما تقدم خُوطب وأما الكمال فهو تواضعه بعد الخطاب ونظره وعمله الآيات.

واعلموا يا أولادي أن هذه المناظر التي لله فإنّها لغير الكاملين مثل الناظرين في المرآة. وأما الذين قد وصلوا إلى الكمال فإن عيني قلوبهم تنكشف ويظهر لهم نور عظيم براحة لا بتعب.

لأن عيني الكملاء لا يبقى فيها شيء من تبكيت الخطية ولا ظلمة. لأن هاتين إذا كانتا موجودتين لا تدعا النفس تنظر نظر الكمال الذي للكملاء. وهو النظر الذي كان لبولس ومن يشبهه الذي قال عنه هذا الرسول: أننا بوجوهٍ مسفرة ننظر إلى مجد الله كمن ينظر في مرآة وذواتنا تتبدل من مجد إلى مجد.

وهكذا موسى لم ينتقل من موضع إلى موضع ولا من كورة إلى كورة. بل انتقاله ظاهر عجيب لأنه نظر هذه الرؤيا العظيمة وهي اشتعال النار في العوسجة من غير احتراق ثم المخاطبة والمنظر فهذا هو الانتقال العجيب الذي هو مثال للسر العجيب الذي لا يُدرك وهذا الانتقال هو الذي ذكره بولس الرسول أنه انتقال من مجد إلى مجد ومن إيمانٍ إلى إيمان ومن فضيلةٍ ناقصةٍ إلى فضيلةٍ كاملةٍ.

فهذا الانتقال والتقدم هو الذي يقرّبنا للرب ونأخذ نظر معرفة قوية. لأن الله يقول على لسان نبيه إن المقتربين مني يعرفون قوّتي **فإذا كان الذي يقترب من الرب يعرف قوّته. فالذي لا يقترب إليه لا يعرف قوّته.**

وأما العقل الذي لم يقترب بعدُ من الله فإن المنافق الذي هو الشيطان يرتفع فيه مثل شجرة لبنان. فإذا اقترب العقل من الله واتحد به وصار معه واحداً فإن المنافق لا يعود يظهر للذي كان يرتفع فيه أولاً وعن هذا يعلمنا داود قائلاً: رأيت المنافق قد زاد علواً وارتفع متطاولاً مثل أرز لبنان ثم عبرتُ فإذا هو كأنه لم يكن طلبته فلم أجد مكانه.

وداود لم يطلب المنافق ولا موضعه إلا لبحثه عن معرفة الله فإنه لا يجد المنافق جملةً. وقولهُ عبرتُ كقوله أيضاً في مزمور آخر إني سأجوز في موضع ظلمة عجيبة إلى بيت الله فهذا الجواز الذي هو العبور يظهر لنا نموّ النفس لأن النبي أعطاها علامة الكمال كون طريقها من قبل بعيدة من الله.

ولا تتعجبوا يا أولادي من هذا كون طريقنا بعيدة وذاك لأجل إننا بعد في الطفولية الروحانية. لأننا نرى ذلك النبي العظيم إيليا قد قيل له قم كل وأشرب وتقوّى لأن طريقك بعيدةٌ وعن هذا البعد قال داود من يعطيني أجنحة حمامةٍ لكي أطير وأستريح.

وبهذا يجب علينا أن نعلم أن حياة كل منا معوزة والطريق شاقة. ولذلك ينبغي لنا أن لا نسعى بضعفٍ وانحلال وونيةٍ بل بتحفظٍ وثبات. لأن معلم المسكونة بولس يشير علينا أن نجري لندرك. ويقول أيضاً إني أقمع جسدي وأصيره عبداً.

فلنجر الآن يا أولادي ما دام لنا وقت في هذا الجسد لكي ندرك الكمال كما أدركه هذا القديس بولس. لأنه قال إني جاهدت جهاداً حسناً وأتممتُ سعيي وحفظت إيماني واحفظ منذ الآن إكليل فخري.

فلمَّا أدرك هذا الرسول الكمال في الجسد اشتهى الخروج منه وقال: وأنا أيضاً وإن كانت لي بحياة جسدي هذا أثمارٌ في أعمالي فلستُ أدري ما أختار لنفسي وأن الأمرين جميعاً ليضطراني إلى أن أهواهما. لأني اشتهي أن أنطلق وأفارق الدنيا لأصير مع المسيح وهذا الأصلح لي كثيراً والأنفع. واشتهي أن أبقى أيضاً حياً بجسدي يضطرني الأمر إلى ذلك من أجلكم لسروركم وتربية إيمانكم.

فلتكن سيرتكم كما يلائم البشرى. فهكذا يا أولادي اصنعوا أنتم **لأن كل من يسعى بالونيَّة والكسل فإن آخرته تدركه قبل كماله بالمسيح.** كما قال سليمان في الأمثال إن أنفس مخالفي الناموس تترع قبل أن تصل إلى خوف الله.

وهكذا جرى لحزقيا الملك عندما أدركه فناءُ أيامه وهو بغير اهتمام فلما رجع عمَّا كان عليه وطلب من الرب استحق زيادة سنين أُخر ونمى بزيادة. ولما تمت تلك السنين فارقت نفسهُ جسدهُ وهُو في غاية الكمال من خدمة الله.

فاعلموا هذا أيضاً أنه كما أن للجسد ثلاثة مقادير مدة دوام النفس فيه وهي. الصبا والكهولة والشيخوخة. فهكذا النفس لها ثلاثة مقادير أيضاً مخفية في الجسد وهي: بداية الأمانة؛ والعمل؛ والكمال.

فأوَّلاً إذا ابتدأت النفس أن تؤْمن فإنَها تولد بالمسيح كما قيل في الإنجيل. ويوحنا الرسول أعطانا أيضاً علامة لهذا الميلاد ووسطهُ وكمالهُ. بقوله كتبت إليكم أيها الشبان. كتبتُ إليكم أيها الأبناءُ. كتبتُ إليكم أيها الآباءُ.

وهذه الكتابة ليست هي لأحبائه الجسدانيين. بل للمؤْمنين بمقاديرهم الثلاثة الذين يشتهون اللبن الناطق ويتقدَّمون للكمال ويستحقون النعمة الحقيقية.

ولهذا فإن داود النبي لما علم مقدار أيام كمال النفس ههنا وأنه قد طعن في أيام الجسد وفرغ أن ينحل منه و لم تكن له تلك الأيام النفسانية طلب من الله قائلاً: لا تأخذني يارب في منتصف أيامي وهذا الاهتمام كان منه بسبب الأيام الروحانية لا الجسمانية لأن

وبهذا يجب علينا أن نعلم أن حياة كل منا معوزة والطريق شاقةً. ولذلك ينبغي لنا أن لا نسعى بضعفٍ وانحلال وونيةٍ بل بتحفظٍ وثبات. لأن معلم المسكونة بولس يشير علينا أن نجري لندرك. ويقول أيضاً إني أقمع جسدي وأصيره عبداً.

فلنجر الآن يا أولادي ما دام لنا وقت في هذا الجسد لكي ندرك الكمال كما أدركه هذا القديس بولس. لأنه قال إني جاهدت جهاداً حسناً وأتممتُ سعيي وحفظت إيماني واحفظ منذ الآن إكليل فخري.

فلمَّا أدرك هذا الرسول الكمال في الجسد اشتهى الخروج منه وقال: وأنا أيضاً وإن كانت لي بحياة جسدي هذا أثمارٌ في أعمالي فلستُ أدري ما أختار لنفسي وأن الأمرين جميعاً ليضطراني إلى أن أهواهما. لأني اشتهي أن أنطلق وأفارق الدنيا لأصير مع المسيح وهذا الأصلح لي كثيراً والأنفع. واشتهي أن أبقى أيضاً حياً بجسدي يضطرني الأمر إلى ذلك من أجلكم لسروركم وتربية إيمانكم.

فلتكن سيرتكم كما يلائم البشرى. فهكذا يا أولادي اصنعوا أنتم **لأن كل من يسعى بالونيَّة والكسل فإن آخرته تدركه قبل كماله بالمسيح.** كما قال سليمان في الأمثال إن أنفس مخالفي الناموس تنزع قبل أن تصل إلى خوف الله.

وهكذا جرى لحزقيا الملك عندما أدركه فناءُ أيامه وهو بغير اهتمام فلما رجع عمَّا كان عليه وطلب من الرب استحق زيادة سنين أُخر ونمى بزيادة. ولما تمت تلك السنين فارقت نفسهُ جسدهُ وهو في غاية الكمال من خدمة الله.

فاعلموا هذا أيضاً أنه كما أن للجسد ثلاثة مقادير مدة دوام النفس فيه وهي. الصبا والكهولة والشيخوخة. فهكذا النفس لها ثلاثة مقادير أيضاً مخفية في الجسد وهي: بداية الأمانة؛ والعمل؛ والكمال.

فأوَّلاً إذا ابتدأت النفس أن تؤْمن فإنَها تولد بالمسيح كما قيل في الإنجيل. ويوحنا الرسول أعطانا أيضاً علامة لهذا الميلاد ووسطهُ وكمالهُ. بقوله كتبت إليكم أيها الشبان. كتبتُ إليكم أيها الأبناءُ. كتبتُ إليكم أيها الآباءُ.

وهذه الكتابة ليست هي لأحبائه الجسدانيين. بل للمؤْمنين بمقاديرهم الثلاثة الذين يشتهون اللبن الناطق ويتقدَّمون للكمال ويستحقون النعمة الحقيقية.

ولهذا فإن داود النبي لما علم مقدار أيام كمال النفس ههنا وأنه قد طعن في أيام الجسد وفرغ أن ينحل منه و لم تكن له تلك الأيام النفسانية طلب من الله قائلاً: لا تأخذني يارب في منتصف أيامي وهذا الاهتمام كان منه بسبب الأيام الروحانية لا الجسمانية لأن

معنى قوله منتصف أيامي هو فزعه أن تؤخذ نفسه قبل كمال أيامها ويكون غريباً من الكمال.

وهكذا إبراهيم شهد عنه أنه شاخ وطعن في أيامه وهكذا جميع الأطهار من بعد إيمانهم كانوا يتعبون أجسادهم ليذلوها لأن إذلالهم للجسد صيَّر لهم شيخوخة بنمو العبادة وخدمة الله.

وأفهموا يا أولادي أمر دانيال وكيف صار صبياً بجسده وشيخاً بعقله كمثل أُولئك الشيخين اللذين طعنا في أيامهما بالجسد وكانت أفعالهما أفعال الصبيان وشهوة الصبا معهما؛ ذينك الذين بكَّتهما الكلام الطاهر من الصبي دانيال لأجل شيخوختهما الجسدانية الصبيانية وحكمهما على القديسة البارَّة سوسنة إذ قال لهما: يا الذين طعنا في أيامهما الرديئة وتتمة المقول.

وهكذا يوسف أيضاً فيجب لمن يحب النسك أن يغاير طهارته وعفته ويبتدئ أن يدرب ذاته بالتلاوة ويتقوى على جميع الشهوات الجسدانية لأنَّها حقيرة وحينئذٍ يستطيع أن يدوس الشهوات الأُخر القوية التي للعدو المحتال، ويقول كما قال أيوب أن القوة فرغت من صلبه وصرة بطنه.

وبالحقيقة يا أولادي أن كل من يجاهد ويتقوى على هذه الشهوات الجسدانية التي تتولد من كثرة المآكل والمشارب فهو يستطيع إذاً أن يشد حقويه بالطهارة ويطيب قلبه بما قيل في المزمور

تقلد بسيفك على فخذك أيها الجبار وهذا القول يعني به أن كلمة الله التي تنال بالطهارة هي سيف ذي حدين قاطع كما يقول الرسول وهذا السيف له الاستطاعة أن يقطع ويقتل جميع الشهوات الرديئة.

وهكذا يعقوب أيضاً لما صارعه الملاك استل عرقاً من فخذه ولذلك خذل وضعف جسده وسمي إسرائيل يعني ناظر الله.

فهكذا يجب علينا نحن أن نضعف الجسد بحكمة وتدبير لتضعف الشهوات وتنطفئ وهذا الضعف يكمل فينا قوَّة الطهارة لأن الرسول لأجل هذا الضعف يقول: أنني إذا ما كنت ضعيفاً فحينئذ أصير قوياً.

وهكذا النبي داود افتخر بهذا الضعف أيضاً بقوله أن ليس لجسدي شفاءٌ وهذا قاله لأنه كان أضعف جسده الضعف الكريم لأنه كان يطلب الخلاص العظيم وليس هذا عدم شفاء بل شفاءٌ وخلاص لأنه إذا ضعف الجسد حينئذٍ تقوى النفس.

فلنُضعف أجسادنا بحكمةٍ وتدبير لكي نستطيع أن نضبط ذواتنا. لأننا إذا اقمعنا الجسد واستعبدناه للنفس فإن الأفكار الجسدانية التي محبتها عداوةٌ لله تموت بذلك الضعف وتضئ حينئذٍ النفس وتصير هيكلاً للروح القدس.

فالذي يجاهد لكي يصير طاهراً بجميع أعضائهِ فهذا هو الناسك بالحقيقة وليس بزانٍ. وهو الذي يمكنهُ أن يقول مع داود: عظامي كلها تقول من يشبهك يارب. وهو الذي علم جميع حواسهِ ولم يدعها تتسلّط عليه وثبتها وحمل عليها نيرَ الرب بعظم طهارةٍ، وعيناه لم يدعهما أن ينظرا إلى شيء غير صالح ولا يشتهيا امرأة، وأذناه لن يتركهما أن يسمعا نميمةً ولا مشورة الشيطان وأفكاره، ولأجل هذا تمَّ عليه المكتوب أن أُذنيك لم تمل لكلام الباطل.

وهذا الكلام جعله بالأكثر متعبداً للمسيح كالطيب العاطر والبخور الزكي. وفمه أيضاً جعل عليه حافظاً ولم يتركه يتفرَّغ لكلام الجهل. ويداه جعلهما يعملان بغير ظلم أعمالاً حسنةً بالرحمة والحق. ورجلاه لا يسعيان لسفك الدماء. بل يسرعان بنشاطٍ نحو أقوال الرب. إذ قال من سخرك ميلاً أمضِ معه ميلين. وبطنهُ وصدرهُ حفظهما حتى لا يسقط بهما على الأرض كمثل الثعبان الذي يدب على بطنه وصدره.

فهذه يا إخوتي صفة الناسك. فأما الذين ليسوا بنسَّاكٍ بل يبكرون لشرب المسكر فإننا نسمع فيهم قول النبي القائل: أنَهم يحترقون من سكرهم من الخمر وعيونَهم يعطونَها لتداول الكاسات ويأكلون الجداء من قطعان الغنم والعجول والرضعان من فدان

البقر ويتنعمون باللّين من الفراش. وبكل ما يليق بالهيولي وهم يفكرون في ذواتِهم أنَهم حكماء. وهؤُلاء أعداء وتنانين. لأن التنين يعمل فيهم وقد ألقوا بطونِهم وصدورهم على الأرض ويظنون بذواتِهم أنَهم عقلاء وعارفون بالكتب وهم يعلمونَها رديأً لأنهم صدور للتنين.

فاعلموا هذا يا أولادي أن هؤُلاء الذين أعني بِهم النبي هم الذين يدخلون على التعاليم الصحيحة والأمانة المستقيمة الاعتقادات الغريبة ويضادون الأمانة القوية الثابتة بأمانتهم الكاذبة الغير ثابتة قائلين عن الذي خلق كل الأشياء. أنه مخلوق ولم يعلموا أن الله خلق بكلمته كل الأشياء كما شهد يوحنا الإنجيلي قائلاً لأجله: في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله. والله هو الكلمة. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان.

فإذ قد ثبت أن الأشياء كلها به كانت. السمائيون والأرضيون ما يُرى وما لا يُرى كما شهدت به الأمانة الصادقة. فكيف يجسرون هؤُلاء إذ يقولون عنهُ بعد اتحادهِ أنه كأَحد المخلوقين بقولهم أن المسيح مخلوق.

فهؤُلاء هم الذين صيروا صدر قلبهم محصوراً تحت صدر التنين كما تقدم قول النبي عنهم. أن التنين يسعى في صدورهم وبطونَهم.

فأما الذين انهضوا عقولهم يا أولادي من الأرض ناظرين إلى السماء حيث المسيح جالس عن يمين الله فقد صاروا خارجاً عن البطن وشهواته. وأن ربنا يسوع المسيح الجوهر الواحد. الأقنوم الواحد. الطبيعة الواحدة المشيئة الواحدة يقبلهم ويقدّمهم إلى أبيه كالأشياء الفاخرة الحسنة.

فإذ قد عرفنا هذا يا أحبائي **فيجب على كل من يريد منا أن يكون ناسكاً أن يجتهد في البعد عن الجموع** ولا يقترب منها لكي يبقي جسمهُ وقلبهُ وعقلهُ خارجاً عن اضطراب الجموع والخلطة. لأن الاضطراب العظيم يوجد فيما بين الناس ومخلّصنا يسوع المسيح قد صار لنا مثالاً للبعد والانفراد بطلوعه الجبل وحده منفرداً ليصلي وأيضاً غلبته لإبليس في البرية لما حاربهُ. وليس لأنهُ كان عاجزاً أن يغلبه في وسط الكثيرين. لكن حتى يعلّمنا أن بالانفراد والهدوء نقدر أن نغلب أعدائنا وننال الكمال.

وأيضاً أن مخلّصنا لم يظهر مجده لتلاميذه أمام الناس بل أخذهم وصعد إلى الجبل وأراهم مجده. وأيضاً يوحنا المعمدان فإنهُ كان في البرية إلى يوم ظهوره لإسرائيل.

واعلموا يا أولادي أن عدوَّنا مشتد علينا بأسلحته الظاهرة والمخفية. قد جعل لهُ أُناساً آلة وسلاحاً لطاعتهم إياه وبهؤلاء

يضادُّ المؤمنين. ومثل تلك الامرأة الغير عفيفة فإنها تكون سلاحاً قوياً لهُ لأنها تفرش جناحيها بجسارة قلب.

وأيضاً بطرس الرسول يعلمنا منفعة الانفراد لأنهُ لما كان وحدهُ نظر السماء مفتوحةً والإزار هابطاً عليه ونجا بسببه وبعد ذلك ارتفع عنهُ الإزار صاعداً إلى السماء.

وهكذا أيضاً حزقيال لما نظر الأربعة حيوانات ذوي الوجوه الأربعة والبكرات أيضاً هذه الدالة على مجد الله لم يكن ذلك في مدينة ولا في قرية بل خارجاً في حقل. لأن الله قال لهُ أُخرج إلى الحقل وهناك تنظر مجدي.

وعلى الجملة أن هذه المناظر والإعلانات لم تصر للقديسين إلاَّ في الجبال والبراري.

والرسول بولس فقد تكلّم لأجل هؤلاء القديسين وسيرتهم المكرمة في رسالته إلى العبرانيين. يقول هكذا أن هؤلاء كانوا تائهين في الجبال والبراري والأودية والمغائر وشقوق الأرض.

وهكذا النبي أيضاً لما علم أن الانفراد يرضي الله. قال أنهُ جيد للإنسان أن يحمل عليه نير الرب من صغره ويجلس وحدهُ.

وقال أيضاً المرتل داود: أني أكون وحدي حتى يجوز الإثم.

وإرميا النبي أيضاً لمعرفته بالاضطراب الذي في الجموع وأنه يقلق الذين يريدون أن يرضوا الله فإنهُ لم يستعفَ إذ قال من يعطيني مسكناً في القفر لأترك عني هذا الشعب وأمضي وأبتعد منهم.

فاعلموا يا أولادي فضيلة الانفراد. لأن ربنا يسوع المسيح بانفراده دفعات كثيرة جعل لنا رجاءً ثابتاً في محبة الانفراد.

كما قال داود النبي لأنك أنت يارب على الرجاء أسكنتني مطمئناً وإشعياء النبي أيضاً الذي استحق الطعام الروحاني والاغتذاء من ملاك الرب ليس كان له ذلك في وسط الجموع ولا في مدينة ولا في قرية بل في البرية فقط. وكل ما صار للقديسين من هذه وأمثالها كتب لتعليمنا لكي ما نغاير نحن هؤلاء الذين أحبوا الانفراد الذي له الاستطاعة أن يوصل إلى الرب لأنهُ عزاءٌ عظيمٌ ويجعل الإنسان كاملاً ولما أحبه قومٌ بكل قلوبِهم وذواتِهم صار لهم شرفاً ونوراً أكثر من سكان المدن والقرى.

فاجتهدوا إذاً يا أولادي الأحباء بالرب أن تثبتوا فيه كما ينبغي ليوصلكم إلى نظر الله الذي هو الثاؤريا الروحاني بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد من جميع الناطقين مع أبيه وروح قدسه من الآن وإلى أبد الآبدين آمين.

الرسالة الثامنة عشرة

لأولاده الرهبان يعرفهم أنَهم إذا بلغوا إلى المناظر الإلهية والإعلانات أن يتحرَّزوا من المناظر الشيطانية لئلا يضلوا بخداعهم الكاذبة وتتعظم قلوبَهم ويحثهم على الدوام في الطاعة

اعلموا يا أولادي الأحباء أن من البدء لما حادت النفس عن الوصية حصلت المخالفة وبتلك المخالفة صارت جميع النفوس يمضي بِها إلى الجحيم كما قيل في الرسول: أن بآدم الأول كان الموت.

فتحنن الإله الكلمة وتجسد منا بالسر الذي لا يدرك وكمل كل التدبير لخلاصنا؛ فنزل إلى الجحيم وسباه سبياً واجتذب منه كل النفوس المحتبسة فيه وخلصها من سلطة الشيطان عليها وحفظ الغير مطيعين في الظلمة بأمره لا بسلطة الشيطان إلى يوم الحكم الرهيب وأصعد الذين بإرادتِهم قد أطاعوا وسمعوا وعملوا بالأوامر الإلهية إلى السماء حيث الفردوس.

وكان سبب صعودهم إلى السماء النار الغير مرئية التي هي حرارة الأعمال الصالحة التي اشتعلت في قلوبِهم؛ وليس أعرفكم هذا فقط بل بماذا تشبه هذه النفس التي يسكنها نار الله تشبه طيراً ذا جناحين يطير بهما ويعلوا مرتفعاً في جوّ السماء لأن الطيور من دون المخلوقات خُصَّت بالأجنحة.

أما أجنحة نفس المتعبد للرب هي قوة نار الله التي يمكنها أن تطير بهما إلى العلو فإذا عدمت هذه الأجنحة فلا تبقى لها استطاعة أن ترتفع إلى الجوّ لفقدها قوة تلك النار وتبقى مثل طير قد نزع عنه جناحيه وصار لا يستطيع الطيران.

وأيضاً شبهت نفس الإنسان بالطير لكون الحرارة هي سبب وجوده في العالم لأن البيض إذا لم يحتضنه الطير في كل وقت فلا يمكن أن تخرج منه فراخ حية؛ لأن حياتِها لا يمكن وجودها إلاّ من الحرارة ولهذا قال الرب في الإنجيل المقدس يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم من مرة أردت أن أجمع بنيكِ كما يجمع الطائر فراخه تحت جناحيه.

فإذ قد عرفتم يا أولادي تشبيه نفس عابد الله بالطير الذي أصل وجوده الحرارة فلا تدعوا قوة هذه النار تنزع منكم لأن حروباً كثيرة كائنة لكم من الشيطان لأجل هذه النار المعطاة لكم من الرب لكي يترعها منكم لأنه يعلم أنه لا قوَّة له عليكم ما دامت معكم وفيكم.

فجاهدوا إذاً قبالته واعرفوا تخيلاته وحيله لأنه يطمر مرارته في الحلاوة حتى لا تظهر ويصوّر لكم أشياءً كثيرة حسنة وليس هي كذلك ليميل قلوبكم إليه بحيله المتشبهة بالحق وهذه صنعته دائماً أن يقاوم بقوته كل النفوس المتعبدة لله تعبداً حسناً؛ وأوجاع

كثيرة مختلفة يلقيها في النفس ليطفئ تلك النار التي تقام الفضيلة من قبلها وبها وأول ذلك راحة الجسد وما يختص به.

فإذا رأى الشيطان أنه لا يطاع ولا يقبل أمره في شيء منها فإنه يأتي بحيل أُخر على وجه البر فيظهر كشبه ملاك النور كما يقول الرسول بولس.

ثم أشياءٌ أُخر أعظم من هذه ليميل قلوبهم إليه فإذا رآهم أيضاً متحفظين من هذه الأُخر ولا يقبلونَها منه ولا يسمعون له مطلقاً فإنه حينئذٍ يولي عنهم مخزياً وعند ذلك تسكنهم روح الله.

فإذا سكنت فيهم روح الله فإنَها تريحهم في جميع أعمالهم ويحلو لهم حمل نير الله كما كتب في الإنجيل احملوا نيري عليكم ويصيرون ولا يتعبون قط لا في عمل الفضائل ولا في الخدمة ولا في سهر الليالي ولا يغضبوا من شتيمة الناس ولا يخافوا البتة لا من إنسان ولا من وحش ولا من غلاء ولا من جان لأن فرح الله معهم ليلاً ونَهاراً ويربي عقولهم ويغذيها لأن النفس دائماً تتربى بِهذا الفرح وتغتذي به وبه تصعد إلى السماء.

وكما أن الجسد قوامه وثباته بالخبز والماء وبما يشاكل ذلك من بدايته إلى نِهايته لأننا نرى الطفل يتربى بلبن أمه وبعده بالطعام الرطب وبعده بما اتفق له يوماً فيوماً ويتقوى ويجسر قلبه على أعدائه المقاومين له فإن لحقه مرض يمنعه من الاغتذاء فإن أعداءه

يقوون عليه من كل جهة ويغلبونه ولا يمكنه أن ينال الصحة من مرضه ويغلب أعداءه إلاَّ بملازمة الطبيب إياه ومعالجته له.

فهكذا نفس الإنسان إذا لم يكن فرح الله فيها فإنَها توجد مريضة ومطروحة بجراحات خبيثة فإذا هي اجتهدت في طلب إنسان خادماً لله عارفاً بالطب الروحاني وتمسكت به فإنه يشفيها إذن من أوجاعها وتقوم دفعة أُخرى ويعلمها ما يخص الله ويحصل لها ذلك الفرح الذي هو طعامها وعند ذلك تقدر أن تضاد أعدائها الذين هم الأرواح الشريرة وتغلبهم وتدوس كل مشوراتِهم وتتكمل بالفرح.

فالآن يا أحبائي إذ قد علمتم هذا فتحفظوا من مشورات الشيطان الرديئة لأنه يأْتي بصورة من يقول الحق ليخدع ويطغي من يقبله فإذا **أتاكم بشبه ملاك النور فلا تصدقوه ولا تسمعوا منه** لأنه يصطاد المؤمنين بأسباب حسنة وليس كذلك والذين لم يكملوا بعد لا يعرفون حيل الشيطان هذه ولا بما يلقيه فيهم كل وقت.

وأما الكاملون فإنَهم يعرفونَها كما قال الرسول إن الطعام القوي للكملاء هؤلاء الذين درَّبوا حواسهم وعزائمهم وعرفوا الخير والشر فهؤلاء لا يقدر العدو أن يطغيهم.

وأما المؤْمنون الذين لم يكملوا إذا لم يحترسوا لذواتِهم فإنه يخدعهم بطعامه الطيب الذي ليس بطيب ويجتذبَهم كمثل ما يجتذب الصياد السمكة عندما يغطي بالطعم رأس الصنارة ولذلك

لا يعلم السمك بالصنارة المستورة بالطعم بل يتقدم ويبلع الطعم فيؤْخذ عاجلاً بسهولة.

فافهموا هذا أن السمك لو علم أنه يؤْخذ بذلك الطعم فإنه كان ينفر منه ولا يقربه رأساً وهكذا كما قلنا عن المؤمنين الغير كملاء أن العدو يصيدهم بالأسباب التي تشبه الحق كما يقول سليمان الحكيم أنه قد يوجد طريق يظن بها أنَها مستقيمة وآخرتِها تؤدي إلى أسافل الجحيم؛ ومكتوب أيضاً في عاموس النبي يا عاموس ماذا تصنع ههنا فقال أني أرى شبكة لأخذ الطير.

ومعلوم أن الطير لفزعه من أن يؤخذ في الأرض تراه يتعالى في الجوّ ويصنع له في المواضع العالية مكاناً لراحته ورقاده ويكون آمناً بغيرهم إذا رقد كونه لا يصل إليه أحد فيمسكه.

وقد نرى أن الصياد يتحيل ويأتي إلى أسفل مكانه وينصب له شبكته ويخايل له بالطعم ولأجل ذلك ينزل به من العلو ويقتنصهُ فهكذا يصنع الشيطان ويصيد المؤمنين الغير كملاء بحيله التي هي شبيهة بالحق وليست كذلك ويترلهم من علوّهم.

لأنه هكذا فعل لما اختفى في الحيَّة. وقال لحواءَ أنكما إذا أكلتما من الشجرة تصيران آلهة وتنفتح أعينكما؛ وحواءَ لما سمعت هذا الكلام مال قلبها له وظنت أنه حق لأنَها لم تفحص عنه؛ فلما أكلت وأطعمت آدم أصابَهما الذل العظيم وسقطا من علوهما.

وهكذا يفعل بالمؤمنين الذين لم يكملوا عندما لم يفرقوا بين الخير والشر بل يتبعوا أهويتهم ويقنعوا برأيهم ولا يرجعوا ليتعلموا من آبائهم الذين قد كملوا وفرقوا بين الخير والشر ويظنون أنهم قد حصلوا كاملين ومباركين من آبائهم فهؤلاء يا أولادي يشبهون تلك الطيور التي صنعت وكرها في الجوّ وهبطت إلى الأرض واقتنصها الصيادون بالحيل الخيالية.

وهذا يكون لهؤلاء لأجل اتكالهم على ذواتِهم وعملهم مشيئات قلوبِهم وتكميل إرادتِهم وقلة طاعتهم واستماعهم لآبائهم. فإن الشيطان حينئذٍ يأتي عليهم بهذه المناظر الخادعة ويصنع فيهم كبرياء قلبٍ إذ يريهم في الليل أحلاماً ويحققها لهم نَهاراً ليضلهم وليس هذا فقط بل ويأتي لهم بأنوار في الليل حتى أن مواضعهم تضئ.

ويصنع مثل هذه أشياءَ كثيرةً وعلاماتٍ لا نستطيع أن نأتي عليها أو نكتبها واحدةً فواحدةً وكل ما يصنعه لهم هو لكي يطيب قلوبَهم بأنه ملاك الله ويقبلونه إليهم. فعندما يقبلونه إليهم بهذه الصفة. فإنه عاجلاً يهبط بهم من علوهم مثل ما ذكرنا عن هبوط تلك الأطيار لأجل روح الكبرياء التي تملكت عليهم ويجعلهم يظنون أنهم صاروا عظماءُ وأجلاءُ في الروحانية أكثر من الكثيرين فلا يرجعون يسمعون من آبائهم ويتم عليهم المكتوب. أنهم عناقيد

زاهرة قاسية وهم بالحقيقة كذلك. لأن التعليم من الآباء صار صعباً عليهم لظنهم أنهم قد عرفوا كل الأشياء.

فيا أولادي المباركين افهموا ما قد قلته لكم فإنكم لا تقدرون على أن تتقدموا وتنمو بالزيادة ولا تكملوا ولا تعرفوا أن تفصلوا ما بين الخير والشر إذا لم تسمعوا من تعليم آبائكم الكملاء لأن آبائنا هكذا صنعوا بسماعهم من آبائهم وتعليمهم منهم فتقدموا ونموا وصاروا معلمين كما هو مكتوب في حكمة يشوع بن شيراخ تعلموا من آبائكم لأنهم قد تعلموا من آبائهم.

فيجب عليكم يا أولادي أن تماثلوا هؤلاء الذين أطاعوا آبائهم وسمعوا منهم في كل شيء وعلمتهم آباؤهم جميع أعمال الله التي تعلموها من آبائهم؛ وهم أيضاً صاروا معلمين لبنيهم المؤمنين الطائعين. لأن إسحاق أطاع إبراهيم. ويعقوب أطاع إسحاق. ويوسف أطاع يعقوب. وأليشع أطاع إيليا. وبولس أطاع حنانيا. وتيموثاوس أطاع بولس. وهؤلاء وأمثالهم من القديسين أطاعوا آبائهم وكمَّلوا إرادتِهم بتكميلهم الطاعة لهم في كل شيء وعرفوا الحق وتعلموا البرّ واستحقوا أخيراً روح الله. وعند ذلك صاروا ينطقون بالحق في كل الأشياء كما هو مكتوب في حزقيال النبي أني جعلتك مدبراً لبيت إسرائيل.

فالآن يا أحبائي بالرب المستقيمون بقلوبهم إن أردتم أن تأتوا إلى قدام وتنموا بزيادة، وتصيروا غير مضطربين بقلوبكم ولا تقدر الشياطين أن يهزأوا بكم في شيء فاسمعوا من آبائكم وأطيعوهم فما تسقطون.

وأنا أُعلمكم عملاً آخر يثبت الإنسان من بدايته إلى نَهايته. وهو أن يحبَّ الله من كل نفسهِ ومن كل قلبهِ ومن كل نيتهِ ويتعبد له. وعند ذلك يعطيه الله قوَّةً عظيمةً وفرحاً وتحلوا له جميع أعمال الله مثل الشهد وكل أتعاب الجسد أيضاً، والهذيذ والسهر وحمل نير الرب يصير عليه خفيفاً حلواً.

ولأجل محبَّة ربنا للبشر يطلق عليه أشياء مضادةً لتلك حتى لا يتعظم بل يثبت في الجهاد ويزداد في النمو فعوضاً عن القوَّة ثقلاً وضعفاً؛ وعوضاً عن الفرح حزناً؛ وعوضاً عن الراحة والهدوء قلقاً؛ وعوضاً عن الحلاوة مرارةً؛ وبكثير مثل هذا يُصاب بها محب الله ويتقوّى بالأكثر في جهادها ويغلبها، فإذا غلبها فإن روح الله تكون معه في كل شيء وتقوّيه حتى لا يخاف البتة من شيء رديء.

وأني أسأل سيدي أن يعطيكم هذه النعمة لأجل طاعتكم ويحفظها لكم الذي له مع أبيه وروح قدسه التسبيح والتقديس من جميع الناطقين إلى الأبد. آمين.

الرسالة التاسعة عشرة

لأولاده الرهبان يعرفهم أن الذين وصلوا إلى الكمال وقبلوا الروح القدس لابد أن تطلق عليهم قتالات أصعب من الأولى لتتحفظ عليهم النعمة ويزدادون في كمالهم وينالون البركة الأخيرة

اعلموا يا أولادي الأحباء بالرب أن الروح القدس أزليٌ سرمديٌ يفوح رائحةً زكيةً حلوةً لا توصف بلسان كما قيل. مَنْ هم الذين عرفوا لذة الروح وحلاوته إلاَّ الذين استحقوا أن يحل فيهم وهذا معلوم أن كثيرين لم يستحقوه. لأن روح التوبة لا يسكن في نفوس التائبين إلاَّ بعد أتعاب كثيرةٍ جداً. فإذا سكن فيها يسلمها الروح القدس، ويحل الروح القدس فيها.

وقد ننظر يا أولادي أن في العالم أشياءً تشاكل هذه. وهو أن حجر الجوهر لا يُقتنى إلا بتعب كثير ولا يجده أحدٌ في المدن ولا في القرى إلاَّ في بيوت الملوك فقط؛ وهكذا هو أيضاً الروح القدس لا يسكن في نفس متكبرة بل في أنفس المتواضعين الذين أفكارهم جميعها في الكمال.

فإذا أسكن في هؤلاء هذا الروح فإنَهم يرسلون للرب شكراً عظيماً وتمجيداً كثيراً لأنَهم استحقوا حلول الروح القدس فيهم مثل ما استحقه لاوي وأرسل للرب الشكر العظيم قائلاً أُباركك يارب الذي علمتني بالروح الذي أعطيته لعبدك.

وقال أيضاً: مبارك أنت يارب أنك أعطيت لقديسيك كرامة تشرف على كل الغنى وأني لا أستطيع أن أنظر عظم غنى الروح الذي أنعمت به على قديسيك.

وهذا الروح يا أولادي لما طلبه القديسون وجدوه وهو الحجر الحقيقي الذي ذكر في الإنجيل المقدس أن إنساناً تاجراً كان يطلب الجواهر الحسنة فوجد درة كثيرة الثمن فمضى وباع كل ماله واشتراها. ومكتوب أيضاً أن كنزاً مخفياً في حقل وجده إنسان فخبأهُ ومن فرحه مضى وباع كل شيء له واشترى ذلك الحقل.

وهكذا القديسون يا أحبائي في كل الأجيال عندما وجدوا هذا الروح وسكن فيهم أرسلوا للرب شكراً عظيماً لأنه لا يسكن إلاَّ في نفوس مثل هؤلاء الطوبانيين ويكشف لهم أسراراً عظيمة ويعطيهم فرحاً وراحة لقلوبَهم في هذا العالم ويجعل ليلهم مثل النهار.

وإذ قد أعلمتكم يا أولادي بعض أفعال الروح القدس أحب أن أعرفكم أيضاً قتالات الروح الخبيث؛ أعلم أنني منذ فارقتكم سهل الرب طريقي إلى أن وصلت مسكني وثبت في وحدتي خارجاً عن الجماعة بمعاضدة الروح القدس في الخفاء والظاهر وأنا أود دائماً أن تكونوا بالقرب مني لكي أعرفكم ما يكشفه لي الروح القدس في كل وقت لأنه مكتوب أن غنى الرب يساعد الحكيم.

وما هي أيضاً التجارب التي حصلت بعد ذلك لمسكنتي؛ لأن التجارب لا تأتي بقوة إلا على الذين قد قبلوا الروح القدس؛ لأنهم عند قبولهم الروح تأتي عليهم التجارب من الشيطان لكون الروح القدس تطلقه عليهم لأن الشيطان ليس له سلطان أن يغصب أحداً من المؤمنين إلاَّ أن يُعطى ذلك من جهة الروح القدس، وربنا يسوع المسيح لما أخذ ما يختص بنا صار مثالاً لنا لكي يعلمنا كل حين أن نعرف الحق.

فإنه لما أعتمد حلَّ الروح القدس عليه مثل حمامة ثم أخرجه الروح القدس إلى البريَّة ليجرَّب من إبليس ولما جرَّبهُ بكل التجارب لم يقوَ عليهِ كما قيل في إنجيل لوقا من أجله هكذا. فلما أكمل إبليس كل التجارب مضى عنه إلى زمان ورجع يسوع إلى الجليل بقوَّة الروح.

وهكذا كل الذين ينالون الروح القدس يقوّيهم ويعطيهم قوَّةً عظيمةً بزيادةٍ ويرفعهم ويحفظهم من كل الأشياء.

فيا أولادي الأحباء أنا كنت أشتهي أن تكونوا قربي لتعرفوا تجربتي الأخيرة التي تشبه تجربة ربنا يسوع المسيح الأخيرة. لأنهُ لما أكمل تدابيره وعرف انتقاله. قال يا أبتاه إن كان يستطاع أن تعبر عني هذه الكأس فليس كإرادتي بل كإرادتك وكان ذلك بصلواتٍ وطلبات وليس هو خوراً أو خوفاً أو عجزاً بل لتعليمنا أيضاً.

كما كانت تجاربه الأولى تعليماً لنا لأنه بإرادته أتى من العلاء بحيث لا يفارقهُ وحلَّ على الأرض وأخذ شكلنا ليخلصنا به بما قد صنعهُ فيه من هذه التدابير والتعاليم ومات عنا وقبر وقام وخلَّص المأسورين في الجحيم وصعد إلى السماوات حيث كان أولاً.

فانظروا يا أولادي لمحبة الله الكلمة أنه أصعدنا من هوة الجحيم إلى أعلى السماوات لأن السماءَ العلياءَ غير السماء المرئية. والسماء المرئية غير الجوّ الذي هو الهوى الهارب بخفته. وجوّ الهوى غير هذه الأرض الكثيفة التي نحن الآن كائنون فيها وعما قليل نُنقل منها.

فاعلموا أن أعمال السماء هي غير أعمال الأرض. ومن ثم يوجد صقع آخر أثقل من هذه الأرض الكثيفة صعب جداً مظلماً وليس فيه شيء من النور ولا راحة وهو يدعى الجحيم. فالتجربة يا أولادي التي أتت عليَّ أخيراً كادت توصلني إلى هذا الجحيم بعينه.

لأن أعداء الخير أرادوا أن يلقوني فيه بكثرة تحيلهم وعن هذا كان تعبي وجهادي وضيقتي واضطرابي لكني أنا المسكين أشكر إلهي وأُمجده الذي أنا أخدمه بكل قلبي من صغري إلى الآن وأسمع منه لأنهُ لم يتخلَّ عني بل عضدني وخلصني من ظلمة الأعداء وردّني إلى رفعتي الأُولى دفعة أُخرى كما خلص آدم وأولاده الصالحين وردّهم إلى رتبتهم الأُولى لأنه مكتوب صعد إلى العلاء وسبى سبياً وأعطى الناس مواهب.

فأعلمكم أيضاً أن تجربتي الأخيرة تشبه تجربة يوسف الأخيرة. لأن يوسف الطوباني البار لما جرب بكثرة تجارب لم يضطرب وفي الآخر لما ألقي في السجن الذي هو شبه الجحيم اضطرب لهذه التجربة وأن ربنا بتحننه لما رأى حسن جهاده أعطاه كرامة جزيلة وصيَّره ملكاً ولم يرجع من ذلك الوقت يجرّب أصلاً.

فحقاً يا أولادي المحبوبين أني لم أخفِ عنكم مقدار ما كنت فيه من التجربة التي خلصني سيدي منها. وأنا متحقق أن ذلك بصلواتكم وطلباتكم وتذكاركم لمسكنتي. لأنكم تعبتم معي كثيراً وسيعطيكم ربنا نعمة الروح والخلاص كما أعطى مسكنتي.

لأنه قال لتلاميذه أنتم الذين صبرتم معي في تجاربي فأنا أعد لكم كما أوعد أبي الملكوت لتأكلوا وتشربوا على مائدتي فافهموا يا أولادي فحوى هذا الكلام **أن الذي يشترك مع السيد المسيح بطاعته له فإنه يشترك معه في مواضع الراحة والذي يشترك معه في الهوان فهو يشترك معه في المجد. لأن كل من يقبل الأتعاب والشتائم والتعيير والهوان هو الذي يتمجد.** لأنه مكتوب إن الابن الصالح هو الذي يرث أتعاب آبائه وبركتهم.

فأما الابن الرديء فإنه يرث اللعنة، واعلموا يا أولادي المحبوبين أني بعد كتابتي هذه الرسالة حرّكني الروح أن أكتب لكم عن السارافيم الذي نظره حزقيال النبي الذي هو مثال لنفوس المؤمنين

الذين يجاهدون وينالون الكمال هذا له ستة أجنحة وهي مملوءة عيوناً وله أيضاً أربعة وجوه ناظرة إلى الأربع جهات. أحدها يشبه وجه إنسان والآخر وجه ثور والآخر وجه نسر وبقية ما ذكره النبي ليس عندي وقت أكتب عنه إليكم بل أنني أشرح لكم شيئاً يسيراً من تفسير ذلك وإذا أتيت إليكم بمعونة الرب شرحت لكم ما تبقى منه مشافهةً. لأنني لا أستطيع أكتب لكم عنه.

فاعلموا إذاً أن الوجه الأول من السارافيم وهو وجه الإنسان رمز للمؤمنين الذين في العالم العاملين بما يختص بهم من الوصايا.

فإذا خرج أحد أولئك إلى شكل الرهبنة فقد تشبه بوجه الثور لأنه يعمل ويجتهد في الوصايا التي للرهبنة والقتال المحسوس.

فإذا كمل الجميع على ترتيبه وخرج وسكن البرية وتفرَّد في الوحدة لقتال الشياطين الغير منظورين فقد تشبه بوجه الأسد الذي هو سلطان الوحوش البرية.

فإذا غلب الأعداء الغير المنظورين وتسلط على الأوجاع وملكها فإنه يرتفع بالروح القدس وينظر المناظر الإلهية ويتشبه بوجه النسر ويتمُّ عليه المكتوب يتجدد شبابك مثل النسر ويكون عقله حينئذ يفرز ما يأتيه من ستة جهاته. فيتشبه بتلك الستة الأجنحة المملوءة عيوناً ويصير سارافيم روحانياً ويرث الوراثة الأبدية بطاعته لآبائه الروحانيين.

ك وأنا أعلم يا أولادي أننا نحن جميعنا قد قبلنا قوَّةً من الله لطاعتنا نا وبركتهم لنا. وأنتم أيضاً لطاعتكم وخدمتكم تقبلون قوَّةً من ب وترثون بركة آبائكم.

ا وحقاً أني أقول لكم أنني ذاكركم على الدوام وناظر إليكم روح كمثل الوالدة الحنونة الشفوقة على أولادها الأطفال ودفوع ديدة أراد سيدي أن يريحني من أتعاب هذا الجسد ويأخذ نفسي ه.

ولكن لاستراحة روح الرب عليكم قد ترك روحي المسكينة في جسدها لتربيتكم. وقال لها أنك والدة حسنة ومربية صالحة. وقد ركتك لتربين أولادك حسناً.

والآن يا أولادي المباركين بالبركة الأخيرة ها هو ذا كتاب ليكم وبركته إليكم. فاحفظوه لأنهُ الوراثة الحقيقية. وتوريث الآباء الروحانيين. لأنهم لا يورثون أبنائهم ذهباً ولا فضة ولا ما شاكلها بل الميراث الحقيقي.

فأما الآباء الجسدانيون فهم الذين يورثون أبنائهم الذهب والفضة وما ناسبها. وانظروا إلى رؤساء الآباء كيف كانوا أغنياءً جداً بالذهب والفضة وما سوى ذلك، من الغناء الجسداني ولم يذكر عنهم أنهم ادخروا لأبنائهم شيئاً من هذه لأنها زمنيات

زائلات، بل ورثوهم تلك البركة الحقيقية الدائمة سرمداً التي تورث الراحة السمائية. وهي التي تبقى مع الإنسان إلى الأبد.

واعلموا أن هذهِ البركة التي أعطاها أبـوكم لكـم كمثـل البركات الأبوية خلاصاً بالرب. وروح الحق يعطيكم رشداً إلى أن تنتقلوا الآن من هذا العالم الزائل. وترثون ذلك العالم الدائم بشفاعة آبائنا القديسين أجمعين. آمين.

الرسالة العشرون

وهي كمالة رسائله كتبها لتلميذه الحبيب ببنوده الذي كان جعله رئيساً على أولاده الرهبان ولكل من تحت طاعته ولكل الذين يطلبون طريق الرب ويؤكد عليهم أن يثبتوا في أماكنهم ولا ينتقلوا منها لينالوا البركة الأخيرة ويعرفهم فيها أنواع قتالات الشياطين وأنواع معونة الرب لمن يصبر

حبيبي المكرم بالرب ببنوده السلام لك. قبل كل شيء أنا أسأل من أجل خلاصك؛ وأيضاً من أجل خلاص كل الأنفس الطائعين لك. الطالبين معك باسم الرب وكل الذين يسيرون معك بالسلامة من أجل ربنا يسوع المسيح هؤلاء الذين ينيحون أنفس آبـائهم. فالرب يسوع المسيح يريحكم في ملكوت السماء.

واعلموا جميعاً أن كل من ينيح إنساناً واحداً من عبيد الـرب ولو بكأس ماء فقط فأجره لا يضيع كما قال ربنا بفمه الطاهر أن من سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسمي أقول لكم أن أجره لا يضيع.

وقال أيضاً من أجل الذين يحزنون أنفس التلاميذ ويشككونَهم برداءَتهم أن من شكك أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخير له لو عُلّق في عنقهِ حجر الرحى ويغرق في البحر. وقال أيضاً بالكيـل الذي به تكيلون يكال لكم، فافهموا هذا يا أحبائي أن الـرب لا يحب شيئاً مما على الأرض أكثر من تلاميذه وصـانعي إرادتـه،

ويبغض كل من يهينهم لأن كل ما يصنعه الإنسان بعبيد الله فبه يصنع من خير أو شر. لأنهُ قال من قبلكم فقد قبلني، وقال أيضاً إذ لم تفعلوا بأحد هؤلاء الصغار ولا بي فعلتم.

فيا أحبائي احرصوا من أن تستهينوا بأحدٍ من الناس لأن أصل الكبرياء هي التي أوجبت على أهل العالم غضب الله أولاً. ولذلك قال إشعياء النبي ها هوذا يوم رب الصباؤوت يأتي على كل المتعظمين بقلوبهم المستهزئين.

فانظروا يا أحبائي عظم هذا الحزن الذي يصيب المتعظمين. فينبغي لنا نحن أن نبكي على ذواتنا بحرقة قلبٍ وكآبةٍ. لأني رأيت رهباناً كثيرين وعذارى قد وقعوا في هذا الوجع الصعب لأجل ظنهم الفاسد وقالوا عن ذواتهم إننا نحن شيء عظيم وليس أحدٌ يشبهنا.

وحقاً يا أحبائي أقول لكم أن ليس فيهم سوى الكبرياء والاستهانة بالناس والبغضة والغيرة الرديئة والمخاصمة ولا يشتهون أن يندموا ويرجعوا بقلوبهم.

وهذه وأمثالها لم تتركهم أن يميزوا بين الخير والشر وما بين الحلاوة والمرارة لأن الأرواح الخبيثة التي في الجوّ جعلتهم أن يبكوا وقت الضحك ويضحكوا وقت البكاء. وتمّ عليهم قول الكتاب

ملعون كل من يجعل الجيّد رديّاً والرديء جيداً والحلو مراً والمرّ حلواً.

وهؤلاء كان يجب عليهم أن يسمعوا قول القديس يوحنا القائل **لا تؤمنوا بكل روح بل جربوا الأرواح هل هي من الله.**

بل يجب علينا نحن أن نبكي على هؤلاء الثابتين في هذه الشرور المذكورة كل زمان حياتِهم التي يحبونَها أكثر من محبتهم للطعام الضروري. ولا يسمعوا تعليم الله الحق بل يتمسكوا بتلك التعاليم الشريرة التي لأرواح الخبيث. وهذه هي تعاليم الله: الطهارة والسلامة الدائمة بغير تغيير المملوءة من الرحمة وبقية الأثمار الحسنة الحقيقية التي كمالها البركة.

فاحرصوا أنتم يا أحبائي على اقتناء هذه التعاليم التي للروح والتي بِها تحيا نفوسنا وبِها نقبل الرب في ذواتنا لأنَها هي الطريقة الأمينة التي لا يوجد فيها لص ولا شيء رديء.

واعلموا أن بغير طهارة الجسد والقلب لا يستطيع أحد أن يكون كاملاً أمام الله كالمكتوب في الإنجيل المقدس طوبى للطاهرة قلوبهم فإنَهم يعاينون الله. والكمال هو من طهارة القلب يتولد. لأن القلب فيه النوعين أعني الخير الطبيعي والشر الغير طبيعي وهو مولد أوجاع النفس التي هي النميمة. الحسد. الهزأ. وبقية الشرور.

وأما الخير فمولد معرفة الله وخلاص النفس من تلك الأوجاع. ولذلك قال داود: يا نفس باركي الرب المشفي جميع أوجاعك.

فإذا سعى الإنسان يا أحبائي بعدم الشر وتوكل على الرب باستقامة وهرب من كل الأشياء الرديئة ببكاء وكآبةٍ وتنهدٍ وصومٍ وسهر ووداعةٍ وطلباتٍ كثيرةٍ إلى الله. فإن الرب بصلاحه يعضده ويخلصه من جميع أوجاع النفس كما قال داود: أحكم لي يا الله فإني بالتواضع مشيت وعلى الرب توكلت فلا أجزع.

وكما أعلمتكم يا أحبائي أن بهذه الأعمال يكون شفاء النفوس من الأوجاع **وأنا أيضاً أُعلمكم أن كثيرين أقاموا كل زمانهم في الرهبنة والبتولية ولم يتعلموا التعليم الطاهر لأنهم تركوا تعليم آبائهم وتمسكوا بشهوات قلوبهم.** ولذلك قويت عليهم الجان والخبثاء واللصوص المردة التي في الجوّ وصارت ترشقهم بالسهام في الخفية ليلاً ونهاراً حتى تجعلهم لا يثبتوا في مجامعهم وتشغل قلوبهم بالكبرياء والمجد الباطل والغيرة الرديئة والنميمة والغضب والحنق والمحارنة وأوجاع أخر كثيرة وهذه وأمثالها تصنعها الشياطين لأنها تقصد موتنا لا حياتنا.

وهذا الكلام الذي أعلمتكم به يا أحبائي ليس من عندي بل الرسول يعقوب يذكره قائلاً: إن كانت فيكم غيرة مرّة وكان في قلوبكم شقاق فلا تفتخروا ولا تكذبوا على الحق لأنهُ ليست هذه

حكمة نازلة من فوق لكنها أرضية نفسانية شيطانية. وأيضاً كتوب في رسالة يوحنا الرسول أن من يصنع الخطيئة فإنهُ من الشيطان.

وإذ قد علمتم يا أحبائي أن الثابتين في هذه الأفعال ليس للرب عملٌ فيهم بل هم مشاركون للتعاليم الشيطانية، ويعدون مع الشياطين.

فلنبكي إذاً على ذواتنا فهذا وقت الحزن الذي نحن فيه ونعرف أيضاً موهبة الروح القدس ونصرخ مع القائل هلموا فلنسجد ونخرّ ونبكي أمام الرب الذي صنعنا.

ونقول قوله أيضاً: خلصني يارب فقد فنى الطاهر وقلّ الحق من بني البشر وتكلم كل واحد في قريبه بشفاه غاشةٍ وبقلب ملتوي.

ولأجل هذا الكلام وما يأتي بعده يحق لنا أن نبكي لأنه قال الرب يبيد الشفاه الغاشة والألسنة المتعظمة.

فاعلموا يا أحبائي أن هؤلاء هم الذين يعدون مع العذارى الخمس الجاهلات لأنهم أجازوا كل زمانهم بالجهل ولم يلجموا ألسنتهم ولم يطهروا عيونهم وأجسادهم من الشهوات ولا قلوبهم من النجاسات وأشياءٌ أخر يستحق أن نبكي لأجلها لأنها ليست ظاهرة وكانوا يقنعون بلباس الصوف فقط الذي هو زي البتولية لا غير.

ولأجل هذا لم يكن لهم لذّة سمائية لكي ما يبكوا على ذواتِهم وتتقد مصابيحهم ولهذا لم يفتح لهم العريس بل يقول لهم كما قال للعذارى الجاهلات الحق أقول لكم أنني ما أعرفكم. ويقول لهم أيضاً اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار المؤبدة حيث البكاء وصرير الأسنان.

والآن يا أحبائي أنني لم أكتب إليكم هذه الرسالة إلا لطلبتي خلاص نفوسكم لكي تكونوا أحراراً وأُمناء وعروس طاهرة للمسيح لأنه عريس كل الأنفس الطاهرة كما يقول الرسول بولس: أني خطبتكم لرجل واحدٍ بكراً نقياً لأقربكم إلى المسيح.

وأنا أعلم أنه قد أصابتكم حروب كثيرة يا أحبائي بمعونة ربنا الذي دبّركم قد جزتموها واحدة فواحدة لأن الله صادق وهو الذي يقويكم ويقوي كل الذين يخدمونه حتى لا تبتلون بأكثر مما تطيقون.

فاعلموا إذاً يا أولادي قوّة التجارب التي أصابتكم وعظم الكرامات التي أعطيتموها من الله بسببها فأثبتوا لما يأتي عليكم أيضاً لأن الذهب يجرَّب بالنار دفعات كثيرة ليظهر مختاراً بزيادة التجربة.

وهكذا ربنا بصلاحه يجرب الإنسان بتجارب كثيرة ويمتحنه ويسبكه بها مثل الذهب المصفى ويعلّمه حرب القلب حتى أنه لا يرجع يفكر أو يذكر ما جرى عليه من الناس من كثرة الشتائم

والإهانة ويكون بغير خوف أيضاً من أفعال الشيطان بل يتواضع قدّام الله ويتوكل عليه ويكون دائماً مستعداً بالخير أمام الله كما قال داود النبي: قلبي مستعد يا الله قلبي مستعد؛ اسبح وأرتل في مجيدي. واعلموا إذاً أنه لا بدَّ أن يكون لكم هذا أن بعض أخوتكم يحزنونكم بالشتائم والتعيير وشركائكم في منازلكم يهينونكم.

فإذا أتت هذه عليكم فأثبتوا ولا تخافوا ولا تحزنوا بل اشكروا الرب على جميع ذلك لأن بغيره لم يكن لكم شيء من هذا لأن الحروب لابدَّ أن تأتي على خدام الله فكل من لم يمتحن من صلاح الله بالتجارب والأحزان والأتعاب والشدائد حتى يتعلم كيف يقتني الصبر والخير وإلاَّ فلا يقبل الكرامة منه.

فالآن يا أحبائي أصبروا على الأتعاب والأحزان التي تأتي عليكم. واشكروا الرب باتضاع عظيم لتجدوا سرور أتعابكم وتفرحوا كمثل المغبوطة سوسنة القوية في الحرب التي قويت على شهوة الشيخين مخالفي الناموس اللذين شهدا عليها زوراً وأوجبا عليها أتعاباً كثيرة وبصبرها وثباتِها رفعها الله في آخر جهادها وأذل أعدائها.

وكمثل تكله أيضاً القوية بالروح فإنّها لم تخف من إهانة والديها لها ولا من النار أيضاً ولا من المتولي عذابِها ولا من

الوحوش الضارية وأخيراً أعطاها الرب سرور القلب وجوائز أتعابها وبقوَّة أمانتها بالله أطفأت النيران وسدَّت أفواه الأسود الضواري وأذلت جميع أعدائها.

وكمثل يوسف أيضاً المتضع أمام الله والناس فإنه لما حسده إخوته وبغضوه وأرادوا أن يسفكوا دمه من كثرة الحسد لما رأُوه مكرماً من أبيهم فحرسته المعونة الإلهية من القتل إلاَّ أنَهم تسلطوا بالغيرة ورفعوا أياديهم عليه وباعوه عبداً.

وامرأة سيده الذي صار له عبداً خادماً سببت له أتعاباً كثيرة حتى أنه طرح في السجن وكان عفيفاً وديعاً طاهراً جداً بغير دنس نفساً وجسماً وهو بمعونة الرب له لم يخف من تلك الضوائق جميعها بل صبر وتوكل على الرب وأخيراً رفعه الله وجعله رئيساً على مصر وجميع أعمالها.

وأما إخوته الذين حسدوه أذلهم الرب بأجمعهم تحت رجليه، فهؤلاء المذكورون ومن جرى مجراهم يا أحبائي لم ينالوا الكرامة من الله في أول جهادهم وتجاربهم بل حتى امتحانَهم وسبكهم بالشدائد والأتعاب وجعلهم يعرفون كيف يقوون بإزاء القتالات.

وحينئذٍ لما رآهم قد صبروا في الشدائد والأتعاب وجعلوا الرب رجاءهم وأعطاهم كرامة الاتحاد به وأذل مبغضيهم تحت أقدامهم.

وأنا يا أحبائي عندما أذكر جهاد هؤلاء وجوائزهم تتهلل روحي بالفرح والسرور وأطلب عنكم بابتهال فأثبتوا أنتم بالصبر ولا تضعف قلوبكم في شدائدكم بل اشكروا الله عليها لتحازوا من الله عنها.

وهذه الخطوب كتبتها إليكم يا أحبائي ولكل من يدعو باسم الرب لكي تكون لجميعكم السلامة والحق ومحبة الله ومحبتكم بعضكم حتى لا يكون بينكم مشاجرة أو نميمة أو أفكار سوء أو قلق أو مقاومة أو مضادة أو غيرة رديئة أو عدم استماع أو كبرياء أو شتيمة للناس أو الهزؤُ بهم أو فجور أو محبة مجدٍ باطل أو بغضة أو شهوة في لباس حسن للجسد أو عداوة بعضكم لبعض.

وها مسكنتي تتضرَّع إليكم أن لا تدعوا شيئاً من هذه الأعمال عندكم في ذواتكم ولا بينكم في موضع سكناكم لأن المجمع الذي تكون فيه هذه الأعمال فغضب الرب يكون حالاً هناك.

واعلموا يا أخوتي أن أعمارنا في هذا العالم قليلة جداً فاحرصوا فيه واجتهدوا ولا تفرطوا لئلا يتفق انتقالكم منه وأنتم حاقدين على بعضكم بعضاً فتعدوا مع القاتلين كالمكتوب أن كل من يبغض أخاه فهو قاتل إنسان.

وهذه الأقوال والوصايا ليست هي للرهبان والعذارى فقط بل ولجميع المؤمنين الذين يشتركون معكم في بيعة السيد المسيح الجامعة الرسولية.

والآن يا إخوتي فليغفر الواحد منكم لرفيقه كي ما يغفر لنا الرب لأن الإنجيل الأقدس يحث على ذلك بقوله اغفروا يغفر لكم.

وأي مَنْ ظُلم منكم فليقبل ذلك بفرح ويسلم الأمور للرب لأنه الحاكم العادل والمجازي، ومَنْ حصل منه ظلم لرفيقه فليسرع ويضع ذاته قدام الرب ويتضرع لرفيقه لكي ما يغفر الرب له.

ولا تدعوا يا أحبائي الشمس تغرب على غضبكم كما يعلمنا الكتاب بل انزعوا من قلوبكم كل الأفكار الرديئة التي تَهمون بها أو تفكرونَها على بعضكم بعض لتنحلَّ العداوة التي أصلها البغض والحسد. لأن هذين الوجهين رديين جداً ومرذولين عند الله والناس ولا ينبغي أن يوجدا في أحد من المؤمنين وخدَّام الله.

فيا أيها الأحباء إن كانت هذه الأشياء قد تمت بينكم فيما مضى فمن الآن احترسوا أن لا توجد عندكم ولا تدعونَها أن تتسلط عليكم واعلموا أن أيام حياتنا يسيرة جداً وفيها يمكننا الرجوع إلى الرب عن خطايانا لئلا يدركنا انتقالنا من ههنا إلى هناك ونحن في غفلتنا ولا يمكنا حينئذٍ الرجوع إلى ههنا. لأننا نرى المنتقلين لا يرجعون إلينا ونحن أيضاً فلا ننظر رجعتهم بل ننتظر

اللحاق بهم وهذا هو المحتوم على جميع أهل العالم من الابتداء إلى الانتهاء.

ولهذا يا أحبائي يجب علينا أن لا يفتخر أحد بكثرة جهله ويقول إنني قد قويت على رفيقي ولا أشفق عليه. فليعلم قائل هذا القول أو المفكر فيه إنه إنما دفع إلى الموت نفسه فقط فيكون ميراثه موضع البكاء وصرير الأسنان والدود الذي لا ينام والنار التي لا تطفأ، فإذ قد علمنا هذا يا أحبائي فلنجاهد ما دمنا في هذا الجسد ونداوي جراحات نفوسنا قبل فراغ الزمان منا ولتكن هذه الأقوال ثابتة في عقولنا ونعمل بها قبل مفارقة نفوسنا لأجسادنا.

لأن ربنا الحاكم العادل يرسل خدامه ويقبضون على النفس ويفصلونَها من هذا البيت الطيني وكل الذي يوجدون في ذلك الوقت غافلين عن خلاصهم فإنَهم يحفظون في الظلمة القصوى إلى ذلك اليوم المرهوب وتخرج عليهم القضية المُرَّة ويُسلمون إلى المعذبين القليلي الرحمة والسجانين الذين ليس عندهم رأفة المرتبين على حراسة تلك النار الممتلئة من الدود الذي لا ينام وعلى الظلمة البرانية والخزائن المملوءة من البرد والزمهرير والذين يسلمون لهؤلاء القساة يطرحونَهم في هذه المواضع البعيدة من الله لينتقموا منهم فعند ذلك يعجون بالبكاء والصراخ والعويل والولولة.

فلا يسمعون لهم ولا يرحمونَهم لأن الرحمة قد بعدت عنهم إلى الأبد لأنَهم كانوا قليلي الرحمة في حياتَهم. جوعاناً لم يطعموا؛ عطشاناً لم يسقوا؛ غريباً لم يقبلوا؛ عرياناً لم يكسوا؛ مريضاً لم يعودوا؛ محبوساً لم يزوروا؛ ولهذا حصلوا في مجازاة بغير رحمة.

وكانوا مع ذلك أيضاً مملوئين من الخطأ والغش وعدم الطاعة للمعلمين والآباء المؤدبين ولم يتوبوا ولا يوماً واحداً ولم يتخذوا لهم معلماً يطلب من أجلهم ولم يشكروا على ما أعطوا من كثرة الغنى وتركوا عنهم معرفة الرب ههنا وهو أيضاً لم يعرفهم هناك بل يسلمهم لأولئك القليلي الرحمة لينتقموا منهم في تلك المواضع مواضع العذاب الذي لا انقضاء له. كمثل العبد الذي لم يرحم رفيقه في العبودية ويترك لهُ المائة دينار القليلة بالقياس للربوات التي تركت لهُ. وكمثل العبد العاجز الكسلان الذي دفن فضة سيده. وكمثل الذي لم يوجد عليه لباس العرس. وكمثل العبد الذي يرفض وصية سيده ويأكل ويشرب مع السكيرين ولا يشفق على أصحابه العبيد.

فهؤلاء جميعهم إنما يُسلَّمون للعذاب وللقوم القليلي الرحمة لأنَهم كانوا بغير رحمة. كما هو مكتوب أن دينونة من لم يستعمل الرحمة تكون بغير رحمة.

فيا أحبائي أنا المسكين لكثرة إشفاقي عليكم أكرر التضرع إليكم أن نستفيق ما دمنا في هذا الجسد ونبكي على ذواتنا ونشهد من كل قلوبنا الليل والنهار لننجو من العذاب المرّ والبكاءُ والتنهد والكآبة التي لا زوال لها.

ولا نضجع ونسير في الباب الواسع والطريق الرحبة التي تؤَدي إلى الهلاك والسالكون فيها كثيرون. بل ندخل من الباب الضيق والطريق المحزنة الكربة المؤدية إلى الحياة والداخلون فيها قليلون والذين يدخلونَها فهم الفعلة المحقُّون الآخذون جوائز أتعابِهم بفرح الوارثون الملكوت.

فالذي قد استعد يا أحبائي فلا يكسل عن الحضور لئلاَّ يرتفع الموسم فلا يجد من يبيع لمن يبتاع. لأن هكذا قد أصاب العذارى الخمس الجاهلات اللاَّئي لما لم يجدنَ من يشترينَّ منهُ فعندها صرخنَ وبكينَ. قائلات يارب يارب أفتح لنا فأجاب وقال لهنَّ الحق أقول لكنَّ إني ما أعرفكُنَّ. وما أصابَهنَّ هذا إلاَّ لكسلهنَّ.

لأن رب البيت إذا قام وأغلق الباب فلا شيء ينفع كما كُتب. وأنا أورد لكم قياساً عن ذلك فإن نوحاً لما دخل السفينة هو وبنوهُ ونساءُ بنيه وسائر من معه فإنَّ ربنا أغلق باب السفينة لأجل ما أتى به من ماء الطوفان على صانعي الشرور.

وكذا نوح لم يفتح باب السفينة ولم يدع أولاده أن ينظروا إلى ذلك المنظر الرهيب الذي كان دينونة لأولئك الأشرار. ولا أيضاً أولئك الأشرار بعد غلق الباب وصلوا ليركبوا مع الأبرار. وصاروا من الجداء الذين هم عن الشمال فلا يمكنهم الدنو من الذين هم عن اليمين بل قد هلكوا هلاكاً بماء الطوفان لأجل كسلهم وعدم استماعهم لأن نوحاً في تلك المائة سنة التي بنى فيها السفينة كان ينذرهم؛ فلم يطيعوا ولم يسمعوا منهُ فهلكوا.

فالآن يا أولادي المحبوبين المهتمين بالسلامة مع كل أحد أطلب إليكم بنعمة الله أن تسمعوا مني وحينئذٍ أنا أيضاً أسمع منكم ولنسمع جميعنا من الرب القائل على لسان النبي من هو الرجل الذي يهوى الحياة ويحبُّ أن يرى أياماً صالحةً فليكفف لسانه عن الشرّ وشفتيه لكي لا تتكلما بالغدر. حد عن الشرّ وأصنع الخير وأطلب السلامة وأتبعها وبقية ما يأتي بعد هذه الأقوال.

وهذا هو سروري أنا والإخوة الذين عندي أن نسمع بمسيحيتكم وأن تكون سلامة الرب عندكم وبينكم وأنتم تبنون عليها في كل يوم وليلةٍ لتصيروا روحاً واحداً بمشيئةٍ واحدةٍ وأمانةٍ واحدة وشركةٍ واحدة ومائدة واحدة لتدوم لكم السلامة.

ومنذ وصلت إليَّ رسالتكم وإلى الآن وأنا حزين القلب لأجل ما حصل بينكم من التعب بسبب عدم الإفراز ممن يريد أن ينفرد

بذاتهِ وحدهُ ويصنع إرادته وهو في الوسط. فمن الآن يا أحبائي لا يكون هذا بينكم بل كملوا خبز بيت السلامة بالاتفاق لأنهُ غير واجب أن يعطي خبزهُ لموضع آخر بل تجتمعوا بروح واحدة وتكلموه بالسلامة والاتفاق والتواضع وخوف الله والطلبات.

وحينئذٍ يكمل خبز بيت السلامة وتنالونه بفرح وسرور وبعد ذلك تعطون الضعفاء والمساكين لكي تستحقوا الفرح الثاني المختار الذي هو الأمانة والرجاء والمحبة والتواضع والمخافة والإفراز والنسك والسلامة والهذيذ ومحبة الإخوة. لأن كل من كانت هذه عنده فهو لابس لباس العرس وسائر في أوامر الروح.

وحقاً أقول لكم يا أحبائي إني إلى الآن لم يعطني الرب أن أصنع هذا الأمر الذي هو انفصالي عن الإخوة وأخاف أن أصنعه من ذاتي وحدي من غير إرادة الرب.

أطلب إليكم أن تثبتوا في تواضعكم وصبركم لتعبر عنكم الأوجاع فإن هذا ليس هو وقت طلبكم لهذا الأمر وأي من تقدم وبلغ أن يكون له هذا فأنا أعلم أن ربنا يعرفني به ويتمم له مشيئته الصالحة فإذا ثبتم على هذا فإن السلامة تكون لكم ولمواضعكم ولكل من يأتي إليها ولكل من يصلي فيها باسم الرب.

وهذا فاعلموه يقيناً أن كل من يسعى كمشيئة الله التي هي ليست مشتركة بمشيئة الإنسان فإن قوة الله التي هي أحلى من

الشهد مملوءة من كل السرور تعضده تقويه وتعطي لنفسه أعمالاً عجيبة وتُهيئ كل المسالك المحبوبة للرب قدامه ولا يقدر حينئذٍ أحد من الأعداء أن يضاده لكونَهم يرونه سائراً في إرادة الرب.

وأما كل من يسعى بهواه ويظن أن هذا هوى الرب فإن الله لا يعضده في شيء بل يتركه للشياطين لتسكن في قلبه الليل والنهار ولا يدعونه يجد شيئاً من الراحة لأن قلبه يصير مظلماً لا يرى شيئاً من النور البتة ويجعلونه بغير قوَّة في كل أموره الظاهرة والباطنة لأن عدم النعمة وأشياءُ أُخر كثيرة صعبة متعبة يجلبونَها عليه لا أستطيع أن أنطق بها وكثيرون ضلوا بهذا السبب لقلة فهمهم وتمييزهم وصاروا يهزأُون بالمؤمنين السائرين حسناً في الوسط.

وهكذا جرى لأبينا الأول لقلة تمييزه واستماعه لحوَّاءَ لأن حوَّاءَ طغيت بقلة تمييزها وطمعت بعدم الموت والتألـه عندما أخفى الشيطان شكله في الحية وتكلم معها كمن هو محب لها قائلاً إنكما إذا أكلتما من هذه الشجرة تصيران آلهة ولا تموتان وهي بقلة إفرازها وعدم تمييزها لما سمعت باللاهوتية وعدم الموت لم تمتحن المقال لتعرف أنه الشيطان بل تركت عنها إرادة الرب وخالفت وصيته وطغت وأطغت آدم وحصلا كلاهما بعد الرفعة السمائية في هذا الذل المتفاقم لكونهما خالفا إرادة الرب.

وهذا يا أحبائي بالحقيقة يصيب كل من يترك عنه إرادة الرب ويصنع إرادة قلبه. ويتم عليه قول سليمان الحكيم في الأمثال الإنسان يظن بطريقه أنها مستقيمة وآخرتها تؤدي إلى أسفل الجحيم.

وأعرفكم أيضاً أن الشيطان يعطي لمثل هؤلاء فرحاً وسروراً وليس كذلك في الحقيقة، بل عبوسة وكآبة وبكاءً؛ لأنه ليس من الله. أما الفرح والسرور اللذان من الله إنما يُعطيان لمن يتعب بكل قوَّته ويغصب ذاته ويقهرها على الثبوت في الأعمال الصالحة ويقطع إرادته ويتمسك بإرادة الرب.

وإذ قد تكلمت من أجل إرادة الله وإرادة البشر فأريد أعرفكم شيئاً آخر وهو أن المشيئة التي تعمل في قلب الإنسان تنقسم إلى ثلاثة ضروب وكثيرون من الرهبان والعذارى لا يتأملون ذلك بل القليل منهم جداً. أما الذين قد تعبوا في الجهادات العظيمة وكملوا بالإفراز فهم الذين يتأملون ذلك لأنه مكتوب الطعام القوي للأقوياء هو.

فأحد الضروب من الشيطان والثاني من الإنسان والآخر من الرب فالاثنان اللذين من الشيطان والإنسان لا يسر الله بهما بل بالذي له فقط.

والآن يا إخوتي الأحباء المحبوبين لقلبي افحصوا ذواتكم وتمسكوا بمشيئة الله واسمعوا من أبيكم فإني كثيراً أطلب من الله عنكم ولا تدعوا بيتكم بحجة الخير الذي ليس هو بخير وتنقلوا إلى غيره بل اثبتوا إلى حين حضوري إليكم بمعونة الرب وأعرفكم ما ينفعكم لأنكم إن فعلتم ذلك الأمر تحزنون قلبي وتحزنون أنتم أيضاً.

وأنا المسكين يا أحبائي قد أظنُّ أن فيَّ معرفة إرادة الله أكثر منكم واعرف تقويمكم؛ فأثبتوا في المحبة الأخوية والمجد الذي لكم وتأملوا إرادة الرب وهذه ليست حقيرة أن يكون الإنسان دائماً يتأمل إرادة الله في كل الأشياء.

وحقاً أقول لكم أنه إن لم يترك الإنسان كل إرادة قلبه ويتضع في كل شيء ويطرح عنه جميع غناه وكافة قناياه ويسمع للرب ولآبائه الروحانيين فليس يستطيع أن يتأمل إرادة الله ولا يصنعها ويعدم البركة الأخيرة فإبراهيم لما بارك اسحق قال له إلهي يقويك لكي تصنع إرادته وهكذا كل من يسمع من آبائه الروحانيين في كل شيء فإنه يصنع إرادة الله.

وكذلك أبينا الصالح يعقوب الذي بورك من أبيه إسحاق لكثرة طاعته لأبويه سكنته القوّات لأنه كان يسمع لهما ويصنع إرادتهما كما ذكر عنه في التوراة أن أُمهُ قالت له قبل وفاة أبيه

ونواله البركة منه أن يمضي إلى ما بين النهرين ويكون عند خاله لابان لأن أخاه عيسو كان يريد قتله.

وهو فلم يكن يشتهي أن يمضي إلى هناك ويترك بيت أبيه لأنه كان يحبه وهم أيضاً كانوا يحبونه ولكنه سمع أخيراً وأطاع ومضى إلى ذلك الموضع البعيد وإلى الأرض التي لم يكن يعرفها و لم يخالف إرادة والدته بل ترك شهوته وإرادته ليطيب قلبها واجتهد هذا الاجتهاد جميعه حتى كملت عليه بركة أبويه لأنه مكتوب أن بركة الآباء تثبت بيوت الأبناء.

وقد بلغني أن بعضكم يقولون أن يعقوب لم يهرب من أخيه عيسو. وبعضكم يقولون أنه هرب منه وهذان القولان يصدقان عليه لأنه لم يهرب بمشيئته بل أنه هرب بطاعته ولأجل ذلك عضده الرب في كل شيء خفياً وظاهراً.

فالآن يا أحبائي فليكن تذكار يعقوب ومن جرى مجراه عندكم وفي ذواتكم بلا انقطاع وأزيلوا من خواطركم ما سمعته عنكم وهو أن الله ينسى أتعابكم ولا يجازيكم عنها حاشا لأن ربنا له المجد لم يقل أن المجازاة تكون ههنا بل التجارب والضيقات والأتعاب والأحزان وأما هناك فتكون المجازاة لأن هذه الحياة هي طريق الأتعاب والتجارب.

فإذا صبرتم وسمعتم وأطعتم لآبائكم فإن الرب يحسن مجازاتكم لأن هذا هو التعب المشكور أمام الرب وأنا المسكين أبوكم أُعرِّفكم يا أحبائي إنني قد تعبت في الجبال والبراري وطلبت في الليل والنهار أن يكشف لي الرب إرادته فلم يظهر لي شيئاً حتى سمعت لآبائي في كل شيء وقبلت معرفتها منهم لأن كل من يسمع من آبائه فللرب يسمع ومن يسمع من الرب فهو يسمع لآبائه ومن لا يسمع من آبائه فلا يسمع من الرب.

فيا أحبائي بالرب اسمعوا لأبيكم فيما كتبته إليكم لتحل بركته عليكم وتجدوا راحة ونعمة وقوَّة ومجداً ويسهل الرب جميع طرقكم.

وهوذا قد أعلمتكم بطريقتي العمل الجسداني والعمل الروحاني في هذه الرسالة والمقومات الجسدانية والشيطانية لكي تعملوا وتجتهدوا وتنالوا البركة الأخيرة وتسكنكم نعمة عظيمة والسلام لجميعكم والخلاص من الرب يسوع المسيح يكون لأرواحكم المتواضعة وأفكاركم وقلوبكم المطهرة وبركته تحل في كل موضع يكون فيه الاتضاع له السبح والمجد والإكرام من جميع الناطقين ولأبيه ولروح قدسه من الآن وإلى أبد الآبدين آمين.

تعاليم

القديس أنطونيوس

مقالة
للقديس العظيم أنطونيوس أب جميع الرهبان
تعاليم روحانية ووصايا مقدسة من أجل الفضيلة الحسنة والهدوء والتحفظ والاستماع والطاعة في كل شيء وفيما يختص بالرهبنة

يا ابني قبل كل شيء لا تعد نفسك شيئاً فهذا هو والد الاتضاع. والاتضاع يلد التعليم. والتعليم يلد الأمانة. والأمانة تلد الرجاء. والرجاء يلد المحبة. والمحبة تلد الطاعة. والطاعة تلد الثبوت بلا تزعزع.

يا ابني تعرَّى من الشر والبس الوداعة. اطرح عنك العين الخبيثة واتخذ عيناً بسيطة. لا تتشبه بمن هو أضعف منك بل بمن هو مختار أكثر منك. لا تخف من شتائم الناس. لا تُرِد أن تُعرف في شيء ما من أعمالك.

ابغض كل شيء يكون فيه خسراناً لنفسك. **لا تترك مشيئة الله وتصنع إرادة الناس. لا تنمَّ ولا تشتم أحداً ولا تحسد من يتقدم بالظلم بل اجعل جميع الناس أعلى منك لكي ما يكون الله معك.**

لا ترجع إلى ورائك فيما ابتدأت به من الأعمال الصالحة. لا تملَّ من محبة الله. أصبر في كل ما تريد أن تصنعه؛ فإذا صبرت فإن الله يعضدك في كل ما تريد أن تصنعه الآن وفيما يأتي. لا ترجع إلى ورائك في طريق وحدتك.

ابغض الحديث الباطل في كل شيء لهذا العالم. اجعل لك اهتماماً عظيماً بالفضيلة وهو الذي يصيرك لا تغفل.

وأنت يا ابني إذا عملت بهذا فإنك ترث ما لم تره عين ولم تسمع به أُذن ولم يخطر على قلب بشر. **احتسب الذي دونك في الفضيلة أنه مختار ومساوٍ لك في الفضيلة. والذي هو مساويك في الفضيلة أنه مختار وأفضل منك في النموّ.**

يا ابني لا تضجر من الأفكار التي تأتي عليك في قلايتك وأعلم أن الرب لا ينسى شيئاً من أتعابك ومنها يكون لك النموّ ونعمة الله تعضدك.

يا ابني ليكن القوم الذين أحبوا الرب بكل قلوبهم وداموا في العمل صورة ومثالاً لك، ولا تستحِ أن تطلب منهم حياتك؛ لأنهم قد تكملوا في الفضيلة؛ **ولا تتشبه بالذين يداومون نياح هذا العالم لأنهم لا يتقدموا أبداً.**

بل غاير الذين كانوا تائهين في الجبال والبراري من أجل الله. لتأتي إليك القوَّة من العلاء ويطيب قلبك في كل شيء تصنعه كمشيئة الرب. لا ترجع إلى ورائك في شيء ما من هذه الوصايا الإلهية والرب يسوع المسيح يعطيك نياحاً وتكمل كل ما ابتدأت به من الأعمال الصالحة بسلامة، لأن آبائنا الكملاء ومن ماثلهم بهذه قد كملوا.

يا ابني لا تكثر الكلام فتبعد روح الله منك؛ ولا تمسك بشيء من الشرّ؛ ولا تدِن أحداً.

يا ابني لا تمشي مع المستكبرين بل امشِ مع المتواضعين. يا ابني لا تكن مرائياً ولا كذاباً. يا ابني لا تتكلم بغضب بل يكون كلامك بحكمة ومعرفة؛ وكذلك السكوت أيضاً. لأن آبائنا الحكماء كان كلامهم مملوءاً من الحكمة والتمييز وكذلك سكوتهم.

يا ابني لا تزكِّ نفسك عند الناس بل كن في ذاتك حكيماً وديعاً طويل الروح كثير الأناة مجتهداً محباً للبشر. احزن مع أخيك وكن له شريكاً صالحاً.

يا ابني كن متواضعاً جميع أيام حياتك وتمسك بكل شيء حسن ولا تسأل عن الأشياء الرديئة بل اجعل طريقك بعيدةً عنها؛ وليكن كلامك بحلاوة بلا قساوة لأن المجد والهوان هو من قِبَل الكلام؛ حِب الرحمة وتدرع بالأمانة.

يا ابني لا تجعل قلبك رديأً حتى يفكر في الشرّ بل صيرَّه صالحاً وأطلب الصلاح وغاير جميع الأعمال الحسنة.

لا ترفع صوتك؛ وإذا مضيت إلى أحد فليكن خوف الله في قلبك واحفظ فمك لترجع إلى موضعك بسلامة. **لا تكثر الكلام عند من هو أكبر منك.**

يا ابني حب آبائك الروحانيين الذين يهتمون بك من أجل الله أكثر من محبتك لآبائك الجسدانيين.

يا ابني إذا جلست في وسط الإخوة لا تكثر الكلام؛ وإذا سئلت منهم عن أمر فقلهُ باتضاع. **يا ابني إذا شُتِمت فلا تبغض شاتمك بل قل إني مستحق أن أُشتم من جميع الإخوة.**

فإذا أتى إليك أحد من الإخوة في أمر فواضع ذاتك في كل شيء ولا تتكبر؛ **وإذا رَتَّبك أبوك لخدمة المرضى فاخدم بكل قوَّتك واسمع له من أجل الله لتقبل الأجر مضاعفاً من الله لسماعك وخدمتك** وإذا وبخك أحد بسبب خطية وأنت بريءٌ منها فواضع ذاتك لتنال الأكاليل. **لا تنصت لتسمع الشرّ بل كن محباً للناس فتحيا.**

لا تجازي الشرَّ بالشرِّ ولا الشتيمة بالشتيمة لأنه مكتوب إذا أنت لم تنتصر لنفسك فأنا أنتصر لك قال الرب.

يا ابني لا تكن مستكبراً ولا تفتخر. لا تصرخ بصوتك ولا تتكلم بسرعة لأنه مكتوب من كثر كلامه لا يخلص من خطية.

يا ابني لا تبغض أحداً من الناس بل حب قريبك كنفسك. **يا ابني اذكر من يكلمك بالتعليم الصالح واحفظ منه الوصايا لتحيا ويطول عمرك في إرادة الرب** كما هو مكتوب في رسائل الرسول بولس.

ادرس هذه الأشياء وتشاغل بها لكي يكون إقبالك ظاهراً لكل أحد. يا ابني المسكنة هي القناعة؛ والغربة هي أن تجمع ذاتك من الكثيرين؛ والسياحة هي الثبوت في القلاية.

يا ابني اجعل لك تعباً قليلاً بجسدك في قلايتك وليكن قلبك متضعاً وفمك ينطق بالحق. يا ابني حب الشتيمة (الإهانة) أكثر من الكرامة؛ وحب التعب الجسداني أكثر من الراحة؛ حب الخسران أكثر من الربح القبيح.

أيها الأمين المختار ما دمت كائناً في الطاعة فاعرف ما يقال لك وتمسك به وأعمل بمقتضاه؛ وإذا اجتمعت بالأمناء أمثالك أختر لك السماع واعرف ما يقال وذلك أفضل من الكلام.

رجل محب للذات فهو غير صالح في كل الأعمال. إذا كنت بغير خطية فتكلم باسم الرب وعلّم الذين يُفترى على اسم الرب بسببهم أنهم موتى من الرب ليرجعوا عن أعمالهم وينالوا الكرامة من الرب.

يا ابني الكرامة العظيمة هي أن تتمسك بالسكوت والتشبه بسيدنا المسيح لأن هيرودس تعجب منه.

يا ابني كل ما تريد أن تصنعه ولا يمكنك أن تعرف الله به فلا تفعله. يا ابني لتكن نفسك كائنة مع الله في كل وقت وجسدك على الأرض كائناً كالصورة والمثال.

يا ابني نفاق عظيم هو أن تحزن إنساناً وتترفع عليه. يا ابني ليكن لسانك تابعاً لعقلك لأن الكلام الذي ليس بعقل شوك هو وحسك.

يا ابني لا ينبغي لك أن تُعَلّم أحداً شيئاً من قبل أن تعمل بهِ أوّلاً؛ فكر في أعمال الله ولا تكسل لأن صلاة الكسلان كلام باطل؛ اجتهد أن تبتعد من الناس العادميّ الرأي.

إذا صنعت أعمالاً فاضلة فلا تفتخر وتقول إني صنعتها لأنك إن ظننت إنك صنعتها فلست بحكيم؛ وعارٌ عليك أن تأمر غيرك بأوامر لم تصنعها في ذاتك لأنك لا تنتفع بعمل غيرك.

رجل حكيم يعرف طريق سلوكه فلا يبادر بالكلام بل يتأمل فيما يقول وما يسمع. رجل أحمق الذي لا يحفظ ما يقال له من الأسرار.

يا ابني لا تظهر كلمتك لمن لا يعرفها واجعل سائر الناس أحباء ولا تجعلهم كلهم مشيرين، بل اتخذ لك قبل كل شيء تجربة. **ولا تجعل لك كل الناس أصدقاء. وإن صاروا لك أصدقاءٌ فلا تأمن لهم. لأن العالم قد ثبت في المكر.**

بل اجعل لك أخاً واحداً يخاف الرب والتصق بالله فقط مثل ولد مع أبيه. لأن الناس بأجمعهم يسلكون بالغش ما خلا النذر اليسير منهم؛ والأرض قد امتلأت من الباطل والأتعاب والأحزان.

فإن كنت يا ابني تحبُّ المعيشة في الهدوء فلا تختلط مع المهتمين بالباطل. وإن حصلت في الاختلاط فكن كمن ليس مختلطاً بهم إن كنت تحب أن ترضي الله.

يا ابني تعبَّد للمسيح فهو يخلصك ويعتقك؛ والعمل الجيد الذي تشتهي أن تعمله لا تتكلَّم به فقط بل كمله بالفعل. لا تحبُّ اللذات لأن كل من يحب اللذات الرب لا يسمع له.

اذكر أن مناقصك قد كثرت جداً وشبابك قد جاز وقد حضر الأوان الذي تفارق فيه وتعطي جواباً عن أعمالك. واعلم أن أخاً لن يفدي أخاه وأباً لا يخلص ولدهُ.

يا ابني اجعل قلايتك سجناً لك لأنه قد فنى الظاهر والباطن منك وقد قرب انحلالك من هذه الحياة.

وليكن لك التواضع في كل شيء في إسكيمك ولباسك وجلوسك وقيامتك ومشيك وموضع مرقدك وقلايتك وأوانيها وفي جميع سيرتك اتخذ زي المسكنة ولا تفتخر في كلامك وتسبيحك وترتيلك واجتماعك بقريبك؛ ولا يكن كلامك بتصنع.

يا ابني إن مدحوك من أجل أعمالك فلا تفرح وتستلذ بذلك. بل أخفِ أعمالك ولا تدع أحداً يذكرها واجتهد أن لا تُمجد من الناس.

يا ابني لا تبكت أحداً بسرعة لأن هذه سقطة لك بل أُذكر خروجك من هذا الجسد في كل وقت.

ولا تنسى الدينونة الأبدية فإنك إن فعلت هكذا فلن تعود تخطئ، لأن آبائنا الروحانيين قالوا: أن الوحدة هي الدرس في ذكر الموت والهروب من كل أمور الجسد، يا ابني استعمل المآكل الحقيرة.

وإذا حصل لك غضب فاطرحه عنك بسرعة لتفرح إلى الانقضاء، وأتضرع للشباب والشيوخ ألاَّ يتركوا الغضب يقوى عليهم. يا ابني الشجاعة هي الدوام على الحق ومضادة الأعداء لأن عدم طاعتك لهم تجعلهم يذهبون عنك ولا يوجدون بعد البتة.

يا ابني الرجل الحكيم تظهر الحكمة على وجهه؛ فكن حكيماً وسد أفواه الذين يقولون عليك الشرَّ بصمتك عنهم؛ ولا تستعجب ممن يقول عليك الشر فإن هذا من فعل الأعداء الخبثاء لكي يجعلوا الإنسان أن لا يدرك المعرفة.

يا ابني كن معتوقاً من البغضة وحرر ذاتك من الشهوة والأفكار الرديئة لأن يوحنا الرسول الذي صار محلاً للروح القدس قد شبه كل اللذات البشرية العالمية بثلاثة أشياء بقوله المملوءُ حكمة: أن كل ما في العالم إنما هو شهوة الجسد وشهوة العين وفخر العالم.

أما شهوة الجسد فإشباع البطن بكثرة المآكل المختلفة التي لا
عها غير النجاسة. وأما شهوة العين فمن أعمال الهيولي الـــذي
فع العقول بعمله. وأما فخر العالم فمن المجد العظيم الحاصـــل
العقول بالرتب الباطلة الزائلة. يا ابني ازرع البرّ لتحصد أثمار
ياة؛ واستضئ بنور المعرفة لتنال أجيال الأبرار. لأن هذا هـــو
ت تحصيل معرفة الرب.

يا ابني لا يضلك فكر الافتخار إذ يقول لك أنك تستطيع أن
ني لك هدوءاً في الوحدة قبل تمام جهادك في الطاعة لأن هذا
الجيد للإنسان أن يحمل نير الرب منذ صباه ويخدم ويطيـــع
يل خدَّهُ لمن يلطمه؛ ويفرح بالتعيير ويستلذ بالشتائم. وربنـــا
وع المسيح لا يتخلى عنهُ أبداً. لأنهُ صالح ومعـــين للـــنفس
صابرة لأجله الطالبة إليه ومقوٍ لها حتى تثبت في الهدوء. وهكذا
ابني اتضع لتقدر أن تجلس في الهـــدوء وحـــدك وتـــصمت
كون.

يا ابني افرح في الشدائد الآتية عليك لأن ثمرتها تابعة لها.
تستلذ بملذات العالم فتموت موتاً رديئاً.

يا ابني أسرع وانتبه لئلاَّ تضلّ وتكسل وتتوانى فتكون حقيراً
الدهر الآتي. لأنهُ مكتوب الويل للمتوانين فإن آخرتهم قـــد
ربت وليس معين لهم ولا رجاءُ خلاص.

يا ابني مُت كل يوم لكي ما تحيا لأن كل من يخاف الـــرب
يحيا. يا ابني لا تنسى الأتعاب التي احتملتها لأجـــل الفـــضيلة
وتكسل وتتوانى وتضل في الساعة الأخيرة. بل حب الـــرب إلى
المنتهى وأنت تنال الرحمة.

يا ابني لا تبتعد من الله لأجل الزائلات بل اذكر ما قرَّرته في
وقت قوَّة حرارتك ولا تنس الخاتم الذي تطهرت بهِ أولاً أعـــني
إسكيمك. بل اذكر دموع التوبة وتلك الطلبات الـــتي طُلِبَـــتْ
عنك؛ وأسرع وأبتعد من الأفكار الخبيثة لئلاَّ تضلّ علانيةً.

يا ابني حمِّ سريرك في كل ليلة؛ وبلّ فراشـــك بـــدموعك
واتضع أمام السيد المسيح ليمحوا خطاياك ويجدّدك ويعينـــك في
الأعمال الصالحة ويورّثك ملكوته السرمدي.

هذا الذي ينبغي لهُ التسبيح والإكرام والتمجيد والتقـــديس
والسجود؛ ولأبيه الصالح ولروحه القدوس الذي مـــن الآن وإلى
أبد الآبدين. آمين.

تعاليم للقديس أنطونيوس

الفصل الأول

من أجل حفظ العقل

الأمانة أول كل شيء يا إخوة نؤمن بربنا يسوع المسيح ونتعبَّد لهُ ونخضع ونصنع إرادته في كل حين وكل وقت ولا نؤمن بإله آخر غيره لأنهُ الإله العظيم ورب الأرباب.

ولنباركه بالصدق والحق ولا نُشَبهُه بشيء من خليقته مما في السماء ولا ما على الأرض. من أجل أن الكل كان بهِ وهو قبلهم كلهم وهو الدائم إلى الأبد وليس لهُ انقضاء.

ونحن أيضاً فلنؤمن بهِ ونتعبَّد لهُ لكي نملك ونكون معهُ إلى الأبد في خيراته لأنهُ ملك الملوك وجميع الممالك من قبله ولنؤمن بهِ بكل قلوبنا ولنسلك في وصاياه لأن الأمانة بلا أعمال هي ميتة لكي يصنع معنا رحمة في ملكوته عندما نخرج من غربة هذا العالم ونحن مستعدين قائلين أنني آمنت من أجل هذا تكلمت.

الفصل الثاني

من أجل مخافة الرب

لنسع في مخافة الله أيها الإخوة لأن المكتوب لنا أن نتعبد بخوف ورعدة ونعمل لخلاصنا لأن ليس شيء أفضل من مخافة الله بسيدنا يسوع المسيح.

مخافة الرب هي فخر ونعمة عظيمة؛ وعظيم هو مقدار الخائف من الرب؛ الذي يقتني مخافة الرب يقتني له كنوزاً ممتلئة خيرات أبدية ويخلص من العذاب المعد للخطاة. مخافة الرب مختارة أكثر من الذهب والفضة والحجارة الكريمة الثمينة؛ وليس حكيم مرتفع أفضل ممن يخاف الرب.

مخافة الرب تنزع من النفس جميع المكر والخطايا؛ والذي لا يخاف من الرب يسقط في شرورٍ كثيرةٍ. مخافة الرب تجعل الإنسان معتوقاً وتخلصه من الخطايا ومن العقاب ومن التنين الرديء.

مخافة الرب الكائنة في الإنسان تحرسه وتخلصه حتى يطرح هذا الجسد الثقيل الحمل؛ ويرث الخيرات مع جميع القديسين؛ ويفرح معهم الفرح الدائم كمثل ما هو مكتوب: من أجل مخافتك يارب حبلنا وطلقنا وولدنا روح خلاص.

الفصل الثالث

من أجل طول الروح

قالت الكتب المقدسة يا أولادي الأحباء أن الطويل الروح أخير من القوي في قوَّته؛ وهو يزيد عفة كمثل الهارب من النار.

كونوا أُناساً أقوياءَ طويلي الروح فإن الله كائن في الطويل الروح؛ فأما الذي يسعى بضيق صدر فإنهُ في إرادة الشيطان وأعوانه الأردياء؛ والطويل الروح يكون في إرادة الله كل حين.

فلنجاهد يا أولادي الأحباء لكي نسعى في طول الروح الذي لربنا يسوع المسيح لكي تكمل علينا الكلمة المكتوبة في زمان الراحة فإنهُ أطال روحه وورث العهد.

الفصل الرابع
من أجل عدم المكر

قال الطوباني داود بالروح القدس: أن القليلي المكر والمستقيمي القلوب لصقوا بي لأني انتظرتك أيها الرب الإله.

هذه النبوَّة أيها الإخوة عن القديسين الذين صاروا متصلين بالله من أجل قلة مكرهم لأنَهم ألقوا المكر خارجاً عنهم. من أجل أنَهم علموا أن المكر ثمرته شريرة. وثمرة عدم المكر حياة دائمة.

والإنسان العديم المكر تجده يمشي في مخافة الله الكاملة وكل من يقتنيها يصير كاملاً ومتشبه بالله وتفوح منهُ روائح طيبةٌ جليلةٌ وفرحٌ ومجدٌ حتى يصير موضع راحةٍ لروح الله.

وعدم المكر هو بخور لله وكل من اقتناه فقد اقتنى مجداً وكرامة في هذا الدهر وفي الآتي واسمهُ يكون إلى جيل الأجيال. كما أن النار إذا توانيتَ عنها فإنَها تحرق غاباتٍ كثيرةً جداً.

فهكذا المكر إذا تركتهُ في قلبك فإنهُ يهلك نفسك وينجس جسدك كله ويوصل إليك شروراً كثيرةً وأفكاراً مرذولةً لأن

الرجل الماكر يستهزئُ بقليلي المكر وبالصالحين وقلبه يمرض بأفكارٍ كثيرةٍ شريرةٍ من قبل الشياطين ويبدد العقل ويوقظ شروراً وقتالاً وضرباً وأصوات حروب وحسد وبغضة وأشياء رديئة تثقل الجسد وتجلب عليه الأمراض، والذي يسعى في المكر يسلم للعقاب ويعطي فرحاً للشيطان وجنوده الرديئة.

فالآن يا أولادي الأحباء ابتعدوا عن المكر لئلاَّ تموتوا قبل زمانكم. **اقتنوا لكم بساطة القديسين لكي الرب يسوع المسيح يقبلنا إليه**؛ ولنقول نحن أيضاً بفرح أننا لعدم مكرنا أقبلنا إليك وثبتنا أمامك إلى الأبد.

الفصل الخامس
من أجل الاتضاع

قال النبي أيها الإخوة: لمن أنظر إلاَّ للوديع المتواضع القلب الذي يرتعد من كلامي الذي أقوله. وربنا يقول في الإنجيل المقدس هكذا: تعلَّموا مني فإني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحةً لنفوسكم.

فالذي قد اقتنى له التواضع قد صار مسكناً لله العلي واقتنى لهُ الارتفاع وعدم المكر والسلامة والمحبة. فالآن اقتنوا لكم التواضع ولا تمشوا بكبرياء قلب الشيطان لأن كبرياء القلب

مرذول قدَّام الله وملائكته القديسين. والذي يمشي بكبرياء القلب فإن نصيبه مع الشيطان.

فمن أجل كبرياء القلب مالت السماوات وتحرَّكت أساسات الأرض واضطربت الأعماق وسقطت الملائكة من مجدهم وصاروا شياطين. من أجل الكبرياء غضب ضابط الكل وجعل بحر النار يعطي أمواجاً إلى فوق؛ من أجل الكبرياء جعل العمق ينبع النيران إلى العلا؛ من أجل الكبرياء صنع الجحيم والعقاب.

من أجل الكبرياء صنعت الرباطات والسياط لكي يعذَّب الشيطان بها؛ من أجل الكبرياء جعلت أعماق الجحيم والدود الذي لا ينام.

من أجل الكبرياء صنعت العجلات النار والمشاعل الموقدة لجمر النار؛ من أجل كبرياء القلب قلق في كل شيء ووجدت الحروب وصنع الظلم.

هذه كلها صارت من أجل كبرياء القلب؛ وقال أيضاً أن كبرياء القلب التي للبشر نجسة قدَّام الله. وأما القلوب المتضعة المنسحقة لا يرذلها الله.

أما نحن يا أولادي فإن تحنن الله قد جاء إلينا من العلا وصار إلى النفس الأخير وجعلنا نفتخر كمثل الذي قال انظر إلى تواضعي وتعبي واغفر لي خطاياي.

الفصل السادس
من أجل الطهارة

قالت الكتب المقدَّسة يا أولادي الأحباء أن غناءً عظيماً هو إنسان طاهر؛ وقالت أيضاً كونوا قديسين فإني قدوس قال الرب ضابط الكل.

ونحن فلنجاهد من أجل الطهارة إلى الموت ولنتحفَّظ من كل النجاسات الخارجة عن الطبيعة كمثل كلام بكر الأنبياء موسى.

ولنتحفظ جداً من أجل هذا الأمر العظيم المرّ لئلاَّ تنكشف عورتنا بعضنا لبعض ولئلاَّ نتطلَّع إلى حسن النساء ونحن نعلم بالحقيقة أن الموت كان من قبل هؤلاء لأنه أمرٌ رديٌّ هو النظر إلى النساء بشهوة.

ومن أجل نظر العينين سقط أناس، كانوا كملائكة، من مجدهم ومن كرامتهم؛ وكثيرون هم الذين هلكوا بسبب النساء يا إخوة؛ وكثيرون هم الذين قُتلوا بالسيف من أجل النساء؛ إنسان يُقتل من أجل امرأته وآخر من أجل إخوتهم ومن أجل بناتِهم وهذا كله يكون من أجل النجاسة.

فلنسعَ بالطهارة يا إخوتي فإن ثمار الطهارة هو نورٌ وحق واستيقاظ فلا تصيروا عبيداً للأوجاع الرديئة المرذولة واللذات الشريرة النجسة أمام الله.

اكتبوا اسم الله على قلوبكم ليصرخ في داخلكم قائلاً: أنتم هياكل الله الحي وموضع راحةٍ للروح القدس؛ وأما الذي يسعى في النجاسات فهو ممتلئ بالمكر والغضب والمرارة والتنهد والرباطات الرديئة أمام خالقه.

لأن الإنسان المطغي من النجاسة فهو يشبه البهائم الفاقدة لكل معرفة أمام الله كمثل كلام المزمر القديس داود النبي.

الآن يا أولادي الأحباء تعالوا لنبغض تلك العين الشرّيرة ونسعى في طلب الطهارة لأنه فخر ملائكة الله وإن كنا سقطنا من قِبَل الشيطان فنقوم أيضاً بالتوبة؛ ونمضي إلى الذي أتى في طلب الخروف الواحد الذي ضلَّ بالخطيئة لأن الله غافر الخطايا لكل من يسأله من كل قلبه؛ لكي نسمع نحن أيضاً ذلك الصوت الحلو القائل كريم قدام الله موت أصفيائه بغير هلاك إلى الأبد.

الفصل السابع
من أجل السلامة

هذا يكون ظاهراً لنا يا إخوة إننا أُمرنا أن نسعى في طلب السلامة لندركها فإن عيني الرب تنظر للصديقين ومسامعه تنصت إلى صلواتِهم.

أيها الإخوة لنعرف سلام الله ونسعى إليه لئلا يدع سلامة الخاطئ تكون سلامتكم؛ ولكن قد قال سلامي أعطيه لكم سلامي أتركه لكم.

تعالوا يا إخوة بالحقيقة لنجاهد حتى نمسك سلامة المسيح فينا من أجل أن السلامة نازلة من عند أب الأنوار وملك الدهور؛ الذي يحب السلامة قد جعل له شركة مع حبيب الآب يسوع المسيح ومع ملائكته ولا يلحقه شيء من التعب.

وأما بنو الشرير فإنَهم يكونون في حسدٍ وقلقٍ؛ أنه من أجل الحسد الذي هو رئيس المكر تعذب بنو الله الذي من أجله قويت الخطية وملك الموت على الجحيم وصار الشجر بغير ثمر وأبدل طبيعتها؛ من أجل الحسد سُفكت الدماءُ التي بغير خطيةٍ.

فلنهرب من الحسد والخصام لأن الذي يكون صديقاً لحسودٍ أو مخاصمٍ فهو صديقٌ لسبعٍ ضارٍّ؛ إن المطمئن لسبع أو ثعبانٍ أكثر سلامةً ممن يطمئن لمخاصم وحسودٍ.

إنسان يخاف من الخصام فإنهُ لا يشفق على أحدٍ من الناس وإن كان صديقاً؛ وليس أحد يظهر أمامه له قدرٌ ولا يستقيم على الطريق لأن دمك في يدك كمثل ماء يهرقهُ على الأرض وحياتك معدودة عنده كلا شيء.

والآن يا أولادي اهربوا من الحسد وأنتم تكونوا أولاداً أحباء للسلامة؛ ولا تكونوا أضداداً لأصحابكم لأن كمال الناموس هو أن تحتمل وتحب صاحبك.

كونوا ذوي قلب واحدٍ كل حين لكي تظهروا أقوياء ولا تكونوا أضداداً بعضكم لبعض لأن الإنسان الشرير في حياته كلها يسرع في أعمال الهلاك ويكون سعيهُ في حياة رديئة والشتم كريم عنده ويفتخر بكلام الجهالة.

والآن يا أولادي إن كثيرين منكم يحبون أن يسعوا على الأرض بثمرات حقول أو خمر كروم فلا تأكلوا وتشربوا بلا مقدار لئلاَّ تنسوا الرب إلهكم كمثل كلام الإنجيل المقدَّس بل نتعب في العمل بأيدينا لكي نرفع للرب ذبائح ومحرقات سلامةٍ لكي يسمع الله الصالح صلاتنا؛ ونسمع صوته الحلو القائل طوباهم المصلحين بين الناس فإنَهم يدعون بنو الله إله السلامة إلى الأبد.

الفصل الثامن

من أجل السكوت

هكذا قال الحكيم سليمان أيها الأحباء: إن كتراً مختاراً في فم الحكيم. وأيضاً: أن كل من يقدر على حفظ فمه ولسانه فهو يحفظ نفسه ولا يقول كلاماً كثيراً.

احتفظ أيها الإنسان وتسلط على لسانك ولا تقتني لك كثرة الكلام لئلا تزيد في خطاياك؛ أجعل إصبعك على فمك ولجاماً في لسانك من أجل أن الإنسان الذي يقول كلاماً كثيراً لا يترك للروح القدس موضعاً يحلُّ فيه البتة.

ليكون اسم الرب في فمك في الليل والنهار وتكون متبَّل (مُملَّح) بالملح الروحاني وتُعلم كل أحدٍ بعفتك. وإذا سألك المتعلم المتكلم معك من أجل كلمة فإن كان فيه ربح نفس فجاوبه؛ وإذا لم يكن فيها ربح فَصِر مثل الأصم الذي لا يسمع وكمثل الأخرس الذي لا ينطق.

والآن يا أولادي اقتنوا لكم العلم الحقيقي لكي تكونوا كاملين؛ اسعوا في طلب الحق والوداعة لكي تشبعوا من الخيرات.

والذي يسكت فهو جالس عند الله والكلمة المكتوبة تكمل عليه طوباهم الذين يشبعون من مخافة الله ديان الأحياء والأموات والذي يكمل مشورة القديسين بلا فساد يحيا إلى الأبد والدهر.

الفصل التاسع

يعزي فيه كل من يتعبَّد من أجل خلاصه ولا يدوم في خطاياه

قال المزمور: تعبدوا للرب بمخافة وهللوا له برعدة. قال الكتاب: لا تتعبدوا لإلهٍ غيري. فالأجدر بنا أيها الإخوة أن نتعبد

لله لأنه قال: جيد هو التوكل على الرب خير من التوكل على الناس، فالآن لا نسعى ونتعبد للبشر لئلاً نسقط في فخاخهم وشهواتِهم الرديئة.

لا تمش في طلب نظر عينيك ولا تجعل قلبك ينحل لئلا تسقط في مكان مظلم مملوء من الدخان إلى الأبد؛ فإن الشهوة الشريرة تميل القلب وتغير الضمير فاهربوا الآن خارجاً عنها لئلا يغضب روح الله الحالّ فيكم.

فأنتم يا أولادي اجعلوا قلوبكم ثابتةً واحتقروا الشيطان فإن خالقنا يساعدنا حتى نصنع إرادته ومرضاته كلها في كل حين ونصرخُ إليهِ قائلين: اللهم أنا عبدك وابن أمتك؛ والله الحكيم وحده يحفظكم لتزدادوا في الأعمال الصالحة التي لربنا يسوع المسيح الذي له المجد إلى الأبد آمين.

الفصل العاشر

من أجل أنهُ يجب علينا أن نتحفظ من ألسنتنا جداً

قال ربنا يسوع المسيح في الإنجيل المقدس: ادخلوا من الباب الضيق. وقال أيضاً: بضيقات كثيرة يجب لنا الدخول إلى ملكوت السماوات. فماذا هو الباب الضيق أيها الإخوة الذي ندخل منهُ.

فالحكيم سليمان يظهر لنا هذا الأمر قائلاً: يا ابني لا تترك فاك يقبح لئلاً يخطئ جسدك فتجلب عليك الموت. وأيضاً: إن فم الجاهل انسحاق له.

لكن لنجاهد لنصنع حافظاً قوياً على أفواهنا حتى لا ننطق بنطق شرير لأن النطق الشرير هو أشر من جميع السموم. وجميع الجراحات تبرأُ فأما جرح اللسان فليس لهُ شفاء البتة.

لسان الثعبان أخف من لسان النمام لأنهُ شيطان رديءٌ من أجل أنهُ يهيج اضطراباً وحروباً رديئةً في وسط الإخوة وإقامة فتن وشرور في وسط أهل السلامة ويفرق مجامع كثيرة. فإذا أدخلتهُ إليك فإنهُ يتركك غريباً عن جميع منازلك.

وكل من يصاحبهُ فقد صاحب القاتلين بالسيف. من أجل أن القاتل والنمام جزاءُهم واحد هو، فإن لم يقتلاك بالسيف فإنَهما يمضيان بك إلى هناك بجرح واحدٍ.

لسان النمام ليس بمتغير عن لسعة الحية فالأصلح أن تساكن الحية والعقرب من السكنى مع ذي لسان نمَّام فإن الظالم خيرٌ منهُ. جميع الخطايا هي أخف من النميمة.

الذي ينمُّ والذي يسمع منهُ دينونتهما واحدة؛ فالأحسن لك أن تقترب من النار وتحترق خيرٌ مما تقترب من نمام. ابعد عنهُ لئلاً

يسلمك إلى ضربات بغير رحمة لأن فاه ممتلئ قتلاً ودَغَلاً في كل حين.

والآن أنا آمركم أن تَهربوا من النمام هروباً عظيماً. وإن كان متوحداً أو سائحاً أو مجاهداً وكانت فيه النميمة فاهربوا منهُ؛ وإن كان أبوك أو أخوك نماماً فاهرب عنه خارجاً. والأصلح أن تقيم مع سبع ولبؤةٍ خيرٌ لك من مقامك مع نمام. فلا تستحي من أن تَهرب عنهُ بعيداً لئلاً يقتلك بسمه الذي للخطيئة.

فالآن يا أولادي اهربوا من النميمة ولازموا السكوت؛ لأن الساكت هو عند الله وملائكته؛ والساكت هو في الأعالي لأنهُ قال: بماذا يحفظ الشاب طريقه. عندما يحفظ كلامك.

ويقول لنا في يوم افتقادنا: طوباك أنت يا إسرائيل الحافظ فمه فمن هو الذي يشبهك. الله يحفظكم بسلامته ونعمته.

الفصل الحادي عشر
من أجل الحكمة والفهم

قال سليمان الحكيم: رأس الحكمة مخافة الله والفهم الجيد لمن يعمل به. وأيضاً: أنه بكل حرص احفظ قلبك لأن طريق الحياة تتولد من هذين.

فالواجب علينا أن نَهتم بتدبيرنا لكيلا ندعى جهالاً؛ من أجل أنه ليس شيء كائن للجاهل لأنه قال: الأرعن والأحمق يهلكان في دفعةٍ واحدةٍ. وأيضاً: ليس شيء من الكرامة للجاهل.

وأيضاً قال: إن غضب الجاهل أشرُّ منه كثيراً. وأيضاً قال: أن الغليظ القلب يقع في شرور كثيرة وليس في موته راحةٌ ولا كرامةٌ.

والإنسان المستكبر القلب مرذول عند كل أحد لكون أعماله معلنة وبها يسقط في شرور كثيرة. جميع الخطايا مرذولة أمام الرب ولكن الخطيئة المرذولة بالأكثر هي كبرياء القلب.

كل من يستشير المتكبر ليعطي له مشورة فهو كمثل من يسكب ماءً في إناء مثقوب؛ وكمثل من يتكلم مع طير وهو طائر. أن تُصادق ثعباناً وتنيناً رديئاً خيرٌ من أن تُصادق مستكبر القلب. ومن أجل هذا كل من يعلم جاهلاً يصير كمن يشتم الناموس.

الثعبان إذا نظر الإنسان عرياناً فإنه يطأطئُ رأسه إلى أسفل ويرجع إلى ورائهُ. وأما الإنسان المستكبر القلب قد فرغت الحشمة من بين عينيه من أجل كبرياء قلبه الشرير. وأيضاً أن الشيطان من أجل كبريائه أُلقي من السماء.

بكّتوا نفوسكم وحدكم واعترفوا بخطاياكم أمام الرب لكي يرفعكم؛ لأن العظيم كائن في السماء وهو ينظر إلى المتواضعين من بعد.

والآن يا أولادي فلنجاهد بالفلسفة الحقيقية الصالحة لئلا يكمل علينا المكتوب أن قلب الجاهل عن شماله. ولكي يقال لنا أن عقل الحكيم عن يمينه.

وهكذا القول الذي قاله المزمر: يدك تُهديني ويمينك التي قبلتني والله يكون مع جميعكم أمين.

الفصل الثاني عشر
من أجل الحشمة[1]

قالت الكتب المقدَّسة: أنه من الحشمة ما تتولد منه الخطيئة ومنها ما يتولد المجد والنعمة. وقال أيضاً: أن الذي لا يحتشم بوجهه هو مبغوض من كل أحد.

والذي يحتشم فحشمته ترفعه إلى الحشمة من الخطيئة والفضيحة الحقيقية وهذه هي الحشمة النافعة.

وأما الحشمة التي تتولد منها الخطيئة فهي الحشمة التي تمنع من عمل وصايا الله.

(1) مقصود بالحشمة هنا: الخجل والحياء.

يا أولادي احتفظوا لئلا تسعوا بالظلم والحكم ولئلا تسلكوا مع سافك الدماء؛ واهربوا بالأكثر ممن يأخذ الرشوة والربا لئلا تحسدوا محبتهم للفضة لأن محبة الفضة تصنع شروراً كثيرة للذين يحبونَها.

احتشم أن لا توافق كثيرين على غشٍّ أو مكر؛ وإياك من أجل الحشمة تحب ما ليس هو لك؛ لا تبغض العجائز والأرامل والأيتام والمساكين. اهرب من أرملةٍ جاهلةٍ ومن الأيتام الذين بغير معرفةٍ وإياك أن توجد في عمل مخالف.

وأبعد من الخصام ولا تتكلم مع امرأة جاهلةٍ أو مرذولةٍ لا سيما إن كانت تشتم الرجال كما كتب من أجلها ولا تحتشم أن تبتعد من الجائلات في الأزقة والمدن والبوادي؛ لأن كثيرين سقطوا في هذا الفخ.

ولنعد الآن إلى الحشمة الممتلئة مجداً ونعمة؛ لا تحتشم من أن تصنع الذي هو إرادة الله ولا تتستر في صنيع الحق ولا تحتشم إذا ما علموك تعاليم الرب وكلام الحكمة.

ولا تحتشم أن تظهر خطاياك ولا تحتشم من جبار أو غنيٍّ لا يصنع رحمةً. ولا تحتشم من قويٍّ أو ظالم؛ لا من خاطئ أو ممن يصنع الإثم؛ ولا تسعى بحشمةٍ في خطيةٍ لئلاَّ تصيرك في عقاب رديء لأن من أجل الخطية تعرَّى الإنسان من لباس المجد.

طوبى بالحقيقة للذي غلب بالتواضع فإنه يفتخر في العلا كمثل لعازر في ذلك الزمان. ونصرخ نحن أيضاً قائلين: تواضعت فخلصني الرب؛ أرجعي يا نفسي إلى مكان راحتك إلى الأبد.

الفصل الخامس عشر
من أجل الفهم

قال داود: كلامك حلو في حنجرتي أكثر من الشهد في فمي. وأيضاً قال: أن مشورات قلبه مختارة أكثر من الحجارة الفاخرة الثمينة.

طوباني هو بالحقيقة الذي يستيقظ ويعمل بوصايا ربنا يسوع المسيح حتى يعرف العلم الحقيقي الذي له لكي يجد السبيل ويقول عجيبة هي أعمالك يارب.

فإياك أن تكون في قلة الأمانة لئلا تغضب الذي خلقك؛ **فكل من لم يسعَ بأمانةٍ صحيحةٍ فهو يُدفع طعاماً للدود الذي لا ينام ويُذبح ضحيةً لرئيس الظلمة وتكون روحه غريبة من الحياة المؤَبدة** ويحيد عن الله تعالى باستقصاء لأن كثرة دموع الجحيم هي من أجل عدم الأمانة؛ لأن بعدم الأمانة صنعوا تلك الشرور كلها بربنا يسوع المسيح وعندما قام من الأموات لم يؤْمنوا به لكي يخلصوا.

الويل لذلك الجنس الويل لنفوسهم المسكينة، والذي يتكلم الآن مع غير مؤْمن أو يبكته أو يعلمّهُ فهو يشبه إنساناً يلقي جوهرةً كثيرة الثمن في عمق البحر.

كلمة الرب تشبه مياهٍ تجري في أرض منخفضة فتجذبَها إليها بانحدار وهكذا الكلمة الإلهية تجري إلى نفس الرجل المؤْمن.

فالآن يا أولادي اهربوا من قلة الأمانة فهي التي تقيم جميع الشرور ولكن بالأكثر فلنمجد الرب وقيامته المقدسة؛ ونؤْمن باسم الرب الإله الآب والابن والروح القدس لكي تدركنا الكلمة المكتوبة أن المتوكلين على الرب مثل جبل صهيون لا يزول إلى الأبد الكائن بأورشليم.

لأن الأساس الثابت هي الأمانة التي لجميع القديسين الذين استطاعوا أن يسدوا أفواه الأسود ثم أطفئوا لهيب النار من أجل أمانتهم المقدسة الملتهبة بالله دائماً.

الفصل السادس عشر
من أجل القريحة[1]

قال الرسول الطوباني بولس: ليس الواجب لنا يا إخوة نعيش حسب الجسد لأن الذين يعيشون حسب الجسد يموتون. وأيضاً

---

(1) الغرض أو الهدف

قيل: لا تحبوا العالم فإن العالم يزول وجميع شهواته والذي يصنع إرادة الرب يدوم إلى الأبد.

فلنستيقظ يا أولادي ونصنع لنا قريحة تكون في بيت ضميرنا لئلاَّ ندعى بغير قريحة ومتوانين ولكن قد قيل إنك إذا ما اقتنيت لك القريحة فإن الضمير الحسن يصير مشاركاً لك والذي له القريحة فهو هيكل لله وهو يقتني له اسماً كريماً جداً ويستغني كثيراً ويجد كنوزاً ممتلئة خيرات.

طوبى للذي يسهر على أبواب الحكمة؛ الذي اقتنى له القريحة فإنه لا يستطيع شيء من الأوجاع أن يتسلط عليه البتة؛ وإن هو سقط في مكر المحرب فإن القريحة تقيمه بسرعة.

والذي ليس فيه قريحة إذا سقط من كثرة تحارب الشيطان فلا يشعر البتة أنه صنع شيئاً من الخطية من أجل أن قلبه صُمَّ مثل الحجارة فهو يشبه بغلاً مسروجاً معدّاً للركوب عليه في كل حين ولا يبال؛ كمثل ما هو مكتوب أنه يشبه البهائم التي ليس لها فهم، وبها يمثَّل الإنسان الذي ليس فيه قريحة فإن الشيطان يظهر فيه شهواته وخزيه جميعاً ويجرُّه إلى أي مكان يحبه حتى تكمل آثامه ويموت بتنهد وبكاء.

فالآن يا أولادي اقتنوا لكم الكمال لكيلا تسقطوا في جميع قتالات العدو.

والذي ليس له قريحة فهو كالبيت الخراب ليس فيه سكان وليس هو موقراً عند أحد بل هو مأوى للأفاعي والعقارب والوحوش الشيطانية وهو مكان كَرِهَ لكل أحد ليس أحد يحتفل به لكونه خراب؛ هذا مثال الذي ليس له قريحة فإنك لا تجد شيئاً من معونة الله يحرسه حتى هذه جميعها وتسكن فيه.

يا أولادي احفظوا القريحة ولا تتركوها عنكم لئلاَّ تصيروا تحت سلطة العدو فإذا كانت القريحة في الإنسان فهي تقيمه من جميع الاسترخاء حتى يصير موضع راحة للروح القدس ويكمل جيداً ويمضي في موضع راحة القديسين بسلامة ويستحق أن يسمع الصوت الحسن الحلو: قلب منسحق متواضع لله لا يرذله. له المجد دائماً.

الفصل السابع عشر
من أجل العبادة والبتولية

نحن نسمع الطوباوي بولس عندما وصل إلى كرامة البتولية قال من أجلها: أريدكم جميعاً أيها الإخوة أن تكونوا مثلي.

لأن البتولية هي الختم الذي لا يتغيَّر والشبه الكامل الذي لا يتبدل وهي الذبيحة الروحانية المقدسة وهي المنظر الذي يتأمل به؛ المسلك إلى حدّ الكمال؛ وهي الإكليل المنظوم بالكمال الذي للصدوقية.

وهي الندى الحلو الذي يبرد جميع الخليقة؛ وهي بشارة الحياة التي تظهر السرائر الخفية منذ الدهور والأجيال كلها؛ عظيم هو ميراث البتولية؛ فالذي يشين البتولية يشتم الله وملائكته. وليس يستطيع أحد من جند المضاد أن يقترب إلى البتولية.

فلا يفتخر أحد من البتوليين بالبتولية فإن النعمة هي لله؛ ولتترك العذراءُ عنها ضمير النساء وفكر الجسد وكبرياءَ القلب ومحبة المال التي للشيطان وتترك عنها النميمة والبغضة للناس ومجد العالم وتتمسك بالعبادة وتضبط لسانها وقلبها معاً فإذا اكتسبت هذا كله فهي تكون ذبيحةً بغير عيبٍ ولا دنس.

والبتولية تشبه قمقماً مملوءاً ذهباً والحرَّاس يحرسونه الليل والنهار؛ البتولية هي روائح طيب زكيٍّ للحياة.

فإذا اهتممت بمواكيل كثيرة ومشيت بعجب فإن الخزي يكون لك في جميع أعمالك التي تصنعها؛ فإذا أنت لم تحرس لسانك فإنك تصير فارغاً في جميع سيرتك وتكمل عليك الكلمة المكتوبة: أنك قبلت أتعاباً كثيرة باطلة.

لا يا إخوة لا تدعوا هذا يحل بنا بل لنصير في الصبر الحسن الكامل لكي نقول نحن أيضاً أنني لا أخاف لأن الرب معيني؛ وكما قيل أيضاً: أن مجيء الرب يعينهم في كل شيء من الأعمال الصالحة. لهُ المجد.

الفصل الثامن عشر

لأجل أن نبتعد من الشرور ونقترب إلى الخير ونصنعه

قالت الكتب المقدَّسة: هاأنذا قد جعلت أمامكم طريقين اللتين هما الخير والشر أما طريق الشرّ فإن أخرتِها توصل إلى عمق الجحيم فلنهرب منها ونمشي باستقامة كما سلك فيها القديسون. إذ يقول داود المرتل: طوباهم الذين بلا عيب في السبيل السالكون في ناموس الرب.

طريق القديسين هي أن يمشوا في ناموس الرب التي هي هذه طهر الجسد؛ وطهر اللسان؛ وطهارة العينين؛ وطهارة اليدين؛ وطهارة السمع؛ وطهارة الرجلين؛ وضمير مستقيم إلى الله؛ وقلب طاهر لبعضنا بعض.

فلنقل هكذا قلباً طاهراً أخلقه فيَّ يا الله وروحاً مستقيماً جدده في باطني.

الفصل التاسع عشر

يتكلم فيه من أجل مسك اللسان

أيها الإخوة الأحباء أنا أسأل بمحبتكم للإله المسيح أن تَهربوا من الزرع الرديء هذا الممتلئُ مكر وغش؛ فإن الكتب المقدسة قد قالت: إن اللسان هو عضو صغير لكن يدنس الجسد كله.

لأنهُ قال أيضاً: أننا بهِ نبارك الله وبهِ نلعن البشر الذين خلقهم الله كشبهه.

فالموت الآن كائن في الذي هو ذو لسانين وهو يبث عهده بينهُ وبين الموت ويهيئُ لهُ بيتاً للهلاك في الجحيم ولا يكن لـهُ ميراث في أرض الأحياء مع أولئك الذين يصنعون إرادة الله.

إنك لتجد الإنسان ذو اللسانين يهلك أنفساً ويقلق أصحاباً وأصدقاءً ويفرق جماعات كثيرةً ويتشارك في كل الشرور ويقول الغش في صاحبهِ وإنك لتجد صلواته وصيامه وصدقاتهُ مظلمـةً أمام الله كمثل ما هو مكتوب: أن صلاةً كهذه تكون خطية.

والآن اهربوا من ذي اللسانين يا إخوتي ولا تصادقوه البتة فإن الذي يصادقهُ فقد صادق المـوت. بـل جاهـدوا أن لا تتكلموا معهُ لئلاً تتعلموا من أعماله الرديئة فطوبى للإنسان الذي يحترس منهُ فإنهُ يسمع ذلك الصوت الفرح القائل: إنك كنـت أميناً على القليل فأنا أجعلك أميناً على الكثير أدخل إلى فـرح سيدك.

الفصل العشرون
من أجل الغش

لنرفع أيدينا وقلوبنا أمام العليّ الذي في السماوات ولنجاهد نحن أيضاً أن نَهرب من الخطية الأولى التي هي الغش ولنقل مـع

النبي داود: يا الله خلّصني من إنسان دغل وغاش. الإنسان الدغل هو يمكر بنفسه وحده كمثل ما هو مكتوب في المزمور: إن تعبه يرجع على رأسه. ظلمه يأتي في وسط بيته.

لا تصادق إنساناً شريراً ولا تتبع إنساناً دَغِلاً [1] ولا تلمسه البتة لأنهُ كمثل الكفن الذي قد تدنّس بالنتن. فإن لسان الرجل الغاش في الجماعة يقيم خصاماً وسفك دم؛ والمصادق لإنـسان دغل هو مصادق لشيطان رديء. والذي يشترك مع غاش فهـو يشترك مع سافك الدماء ويشترك مع موته لنفسه.

المقام في البرية خير من المقام مع إنسان دغل؛ لا تـصحب إنساناً غاشاً ولا تدخل معه إلى منزل ليس لهُ؛ فإذا أنت دخلت معهُ إليه فهو يجرّك إلى نتنه؛ فالأصلح لك أن تكون مع الوحوش لا مع إنسان مثل هذا دغل. لأنهُ يسلك معك بحلاوة ويكلمك بالسلامة ولكن إذا أنت أوجعت قلبه دفعةً واحدةً فهو يخـرج الغشَّ المخفي داخلهُ فيذبحك وأنت لا تعلم.

فاسأل الله تعالى أنهُ كما كان مع آبائنا إبراهيم وإسـحاق ويعقوب يكون معكم ويخلّصكم من جميع قوّة الشيطان وحِيلَـهِ

---

(١) دغلاً: غشاشاً

هذا الذي يحسد كل حين أهل العبادة ويريد أن يصطادهم بصنارته ويلقيهم في جوفه.

ولكن سيدنا يسوع المسيح قد أعطانا السلطان أن ندوس قوَّتهُ؛ لأنهُ صاحب العين التي لا تنام والأذن الدائمة الإصغاء لكل الصارخين نحوه ليسمع ويخلصهم.

فأسألكم أن تحبوا بعضكم بعضاً لأن هذه هي كمال الناموس وتتمموا المكتوب كما قال الرسول: أن تكونوا جميعكم قلباً واحداً في المسيح يسوع؛ وتتعبون مع بعضكم البعض؛ وتظهرون محبة الإخوة؛ وتكونون متحننين لكي الرب أيضاً يهيىء قلوبكم لفعل أوامره حتى تكونوا فرحين يوم ظهوره الممتلئ مجداً وهو يحفظكم بغير فساد ويكون معكم جميع الأجيال أيها الإخوة الذين أنا أُحبهم بالحق في المسيح يسوع ربنا هذا الذي يجب لهُ التسبحة والكرامة إلى الأبد آمين.

وصايا للقديس أنطونيوس

قوانين ووصايا لأولاده الرهبان بدير النقلون وضعها لهم كسؤالهم

قال: أنا أقول قوانين بما يقوله الرب على فمي للذين يحبون أن يدفعوا ذاتِهم تحت هذا النير الثقيل الذي هو الرهبنة؛ يجب أن يسمعوا ويعملوا بهذه الوصايا والذي يحل واحدة منها يدعى حقيراً في ملكوت السماوات.

أوَّل كل شيء يجب على الراهب أن يصلي بلا ملل؛ ويشكر الله في كل ما يأتي عليه؛ وإذا قام باكراً في كل يوم يسأل عن المرضى الذين عنده.

صُمْ إلى التاسعة في كل يوم أيها الراهب ما خلا السبت والأحد؛ فإذا جاءَت التاسعة فلا تمضي إلى بيت أحد الإخوة؛ وإذا جلست تأكل فصلّ أوَّلاً وبعد أن تأكل أجعل صلواتك وقراءَتك دائمة.

لا تتحدث مع صبيٍّ ولا طفل ولا تعاشره بالجملة ولا تربطه راهباً ولا تنفذ لك ولداً قبل لباس الإسكيم لئلاَّ يصالح العدو والشيطان؛ ولا ترقد على حصير واحد مع من هو أصغر منك.

احفظ ساعات الصلوات ولا تبطل واحدة منها لئلاَّ تعطي الجواب عنها؛ ولا تشدد على المريض في مأكول ولا تؤَخره عنه فتعكر نفسه المكروبة.

إذا جاء إليك أخٌ بعد زمان فافرح به فيشكر الله ويشكرك؛ لا تخالط علماني بالجملة ولا تظهر نفسك مثل الفريسي الذي صنع عمله بالرّياء.

لا تقترب إليك امرأة ولا تدعها تدخل مترلك لأن الغضب يمشي خلفها؛ لا تعد تنظر أهلك الجسدانيين ولا ترفع لهم وجهاً ليبصروك ولا تمض إلى عندهم؛ ولا تبقي لك أكثر من حاجتك ولا تدفع أكثر من قوّتك بل أدفع الصدقة لضعفاء الدير.

صلّ صلواتك في الليل قبل أن تمضي إلى الكنيسة؛ لا تأكل مع أحد يجسر عليك؛ وإذا وقع شك من أجل شاب و لم يلبس الإسكيم بعدُ فلا تلبّسه وأخرجه من الدير؛ لا تتحدث مع صبي بالجملة فيصير عثرة لك.

إن دعتك الضرورة أن تمضي إلى مدينة فلا تمضي وحدك. لا تزرع أرضاً عليها خراج؛ ولا تعامل المتسلطين؛ ولا تحضر مكان يُعصر فيه كرم؛ لا تأكل لحماً بالجملة؛ ولا تفطر قط إلا في مرض شديد؛ لا تتقمقم في شغل؛ لا تغيّر أحداً في سبب من الأسباب.

إذا مضيت إلى عند أخ لا تبطئُ في بيته؛ **لا تتحدث في الكنيسة؛ لا تجلس في أزقة الدير**؛ لا تحلف بالجملة لا بحق ولا متشكك؛ لا تمض إلى كنيسة تجتمع إليها الناس؛ صدق بقدر

قوتك؛ لا تدفن ميتاً في البيعة؛ لا تصنع وليمة ولا تمضي إلى دعوة وليمة.

تعلّم كل يوم الأدب من الكبار؛ لا تفعل عملاً حتى تستشير فيه أب الدير؛ إذا مضيت تملأُ الماءَ وأنت ماش فأقرأْ بقدر قوّتك؛ إذا دفعت صدقة فلا تتظاهر بها؛ إذا حضرت موضع صدقة قد صُنعت فكُل واشكر الله؛ احزن الليل والنهار على خطيئتك.

كن متمسكاً بقلنسوتك ومزرتك وإسكيمك في الليل والنهار. **أوقد سراجك بزيت عينيك التي هي الدموع**؛ إذا تعبَّدت فلا تفتخر؛ لا تردُّ أحداً جاء يطلب المسيح.

لا تتحدث بأفكارك لجميع الناس ما خلا الذين لهم قوّة أن يخلصوا نفسك؛ إذا مضيت إلى الحصاد فلا تبطئُ بل أسرع العودة إلى الدير. لا تلبس ثياباً تفتخر بها؛ لا تظهر صوتك إلا في صلاة الفرائض؛ صلّ في بيتك قبل أن تأتي إلى البيعة.

أَمِتْ نفسك في كل يوم؛ لا تغتاب أحداً بسبب ما يقال فيه من الأوجاع؛ لا تفتخر ولا تضحك بالجملة؛ الزم الحزن على خطيئتك كمثل من عنده ميت؛ اصنع بقوّتك ليتمجد أبوك الذي في السماوات؛ أدب ولدك بلا شفقة فدينونته عليك.

لا تأكل حتى تشبع؛ لا تنام إلاَّ يسيراً بقدر فتأتي عندك الملائكة؛ إذا صلَّيْتَ وذكرت الله تصير ثيابك التي تلبسها أجنحةً وتطيرُ على بحر النار؛ **امض إلى المرضى والضعفاء واملأ أكياهم ماءً.**

لا تكن مقاتلاً باللسان؛ اجعل كل أحد يبارك عليك؛ ونسأل الرب يسوع المسيح يعيننا على العمل بمرضاته لهُ المجد مع أبيه الصالح وروح قدسه إلى أبد الآبدين أمين.

وله أيضاً وصايا

إذا أتاك أخ وحدَّثك بأفكاره فاحذر أن تُظهرها لأحدٍ بل صلّ عليك وعليه لتخلصوا جميعاً؛ وإذا أتاك أخٌ أيضاً وسألك بمطانية فاعمل معه ذلك النهار جميعه.

اجتهد في أن تنال البركة من شيوخ الدير؛ أدِّب ولا تشفق بخوف الله؛ لا تأخذ بوجه كبير ولا صغير؛ اقطع بكلام الحق؛ **احرس ثيابك لئلاَّ تمشي عرياناً في يوم الحكم.**

آباءُ الدير الذين ولدوك بالرُّوح يتعجبون من مجدك في وسط القديسين؛ كُلْ خبزك بسكون وهدوء وإمساكٍ وجلوسك يكون بأدب؛ لا تتبع جميع أفكارك؛ قف قدام الرب وقوفاً مستقيماً؛ **إذا ضُرب الناقوس لا تتوانَ عن الحضور إلى البيعة.**

إذا مضيت إلى غربةٍ فكن مجتهداً أن ترجع إلى ديرك من أجل صلواتك وتفرُّغك لها؛ ليكن أمر الكنيسة مفوَّضاً لرجل خائفٍ من الله أميناً وليصل الإخوة معه؛ إن قدرت أن تزيد على ذلك فاصنع؛ واشكر الرب يسوع المسيح الذي له المجد إلى الأبد آمين.

عظة من أقوال الأنبا أنطونيوس أيضاً

ابن البركة الواجب عليه أن يصنع سيرة تصلح للبركة كمثل واحدٍ يريد أن يقتني الغنى لذاتهِ يجب عليه أن يصنع له طقس التجار وجهادهم لأن كلاً منهم يجعل له قريحة في معرفة الكتابة لكي يكون بارعاً في معرفة لغة الألسن ويدرّب فاه لجواب الكلام بعقل ويتعلّم الحكمة ويصير في صفات تليق بالغني.

هكذا كل ابن مؤمن يريد أن يتعلم شكل الطهارة يجب عليه بالحقيقة أن لا يكون فيه شيء من كلام الكذب؛ ويعلم نفسه أن يكون لهُ قريحة غير منحلة وكلامٌ ممتلئٌ نعمةً وحلاوةً واتضاعاً؛ ويكون باشاً أمام كل أحد؛ ويدرس كلام الحكمة في الكتب المقدسة لكي يكون ضميره مجرَّباً منها.

وأن يستقصي ويفحص الليل والنهار في اقتناء مخافة الله الخالق ويجعلها في قلبه ولسانه هذه التي كل نور يضئ من قبلها؛ لكي ينظر ويبارك ضابط الكل على عجائبه التي خلقها في نفسه لكي يزرع القوَّة في قلبه ليزيد المجد والكرامة التي للقديسين هذه التي قد اقترب دخوله فيها. فإن كانت إرادتك يا ابني أن تُعدُّ من الجزء الكريم فتدرَّج قليلاً قليلاً وتمسَّك بالوصايا تلك التي تحيا بها.

فكن كلك في الصفة المقدسة وليكن النور مشرقاً في كل أعمالك، القِ عنك نوم الظلمة هذا الذي يصنع الغفلة في نفسك لكي تتأمل الطريق المقدسة وتعرف بالذي يسرقك ويريد أن يضلك ويخسرك حياتك ويبعدك من المجد الكريم.

اسمع الآن واصغ بقلبك إلى كلامي وتمسك به بنفسك وافهم؛ من أجل هذا أنا أُسلمك إلى خالقك وأجعل الملائكة المقدسين يلتصقون بك ولا تتألم؛ وتبعد عنك جميع الأرواح الماكرة الشريرة.

تأمل أشكال المضل وأعوانه هذه التي أقولها لك لكي تتحفظ منها لأنهم مراراً يمسكون قلبك ولا يتركونك أن تتأمل شيئاً من الأفكار ويطيبون قلبك كأنك قد صرت في هدوء وأنت لا تعلم أنهم يصنعون هذا الفعل حتى يترعوا الظن الحسن منك.

ودفعات أُخر يجلبون عليك بسرعةٍ ضيق الصدر والتهاب القلب وبالأكثر يطيبون قلبك كأنهم يصنعون معك شفقةً فأنظر لا تأتمنهم فإنما يصنعون هذا لكي يترعوا منك حلاوة طول الروح قائلين: أن هذه حكمة قد وصلتَ إليها فلا تسلم روحك إليهم.

وأعلم أن من قبل هؤلاء يزرع فيك المكر وتترع منك الوداعة؛ ودفعات أُخر يحلو لك الضحك والانبساط يريدوا

بذلك أن يطيبوا قلبك بأن تصنع هذه كأنها وداعة فلا تسمع منهم في هذه الأحوال.

وأعلم أن قصدهم في هذا الذي يصنعوه إنما هو لكي يثيروا عليك أوجاع الشهوة الرديئة من مصاحبتهم الشريرة ويجعلوا محبتك تظهر فتبعد خارجاً عنك وأنت لا تعلم، ودفعات أُخر يوصلون لك جهاراً ويلقون في قلبك حزن عمل اليدين لكي تتفرغ لسماع الأفكار الشريرة والخواطر الباطلة.

فيصنعون هذا لكي يجعلوك غريباً عن حلاوة العلم المقدس. ودفعات أُخر يلقون في قلبك سهام المجد الفارغ لكي تنظر إلى أشياء كثيرة بأشكال مختلفةٍ ليبرروك في قلبك.

حتى إنك تقول في نفسك إني كريم أكثر من كل أحدٍ فلا تسمع منهم فإنَهم يصنعون هذا لكي يجعل الإله الحقيقي الاتضاع يبتعد خارجاً عنك.

وفكراً آخر هكذا يجلبونه بمكر على الإنسان ليقاتله في الهدوء بكلام خفيٍّ رطبٍ وانفرادٍ عن الناس ليس فيه حق؛ فلا تتبعهم في هذه الأشكال الأخر فإنَهم يصنعون هذا لكي يكثروا الباطل بالتبرر.

ولهم شكل آخر يجلبونه عليك (أي الشياطين) حيث لا تعلم من الذين يأتونك فتتبعهم فيلقون في قلبك أن لا تتوانى ولا

تتضجر عليهم ولا يطيب قلبك مع أفكارهم بهذا الشكل لأنَهم يصنعون هذا لكي يجدوا السبيل عليك ويشكونك بأن في يوم الحكم لا تغفر وأيضاً المجاوبة لمن هو أكبر منك عندما يبكتونك فيطيبون قلبك أن تضمر بأن هؤلاء أشرار واللوم عليهم وأنا بريء.

فلا تتوانى وتتركهم يلقون عليك هذه الأفكار فإنَهم يصنعونَها لكي ما ينتقمون منك لأنَهم بلا رحمة ولا شفقة.

وشكل آخر فإنَهم يضايقونك به لكي تتفرس في الأشخاص الحسنة صورتِهم لكي تَهرب عنك طهارة البرّ ثم يحضرون إليك ويلقون اهتماماً في وقت الصلاة بأفكار عالمية في قلبك وفرحاً بغير فزع لهذه السيرة الباطلة لكي يتركونك عادماً من الأعمال المصطفية ويجعلونك غريباً عن الأجر بالحقيقة عندما تكمل الإرادة.

ومتى وقفت في الصلاة فقبل كل شيء يجتهدون أن يغطوا قلبك بالظلمة ولا يتركونك تجد كلمةً تقولها. ومن بعد هذا إذا عرفوا أنَهم لا يقدرون أن يقاومونك في هذا الشكل الآخر فإنَهم يلقون فكر تفسير الكتب في قلبك لكي تفكر فيها وإنَها ليست صحيحة ولا ظاهرة.

ثم يزحون مفاصلك ويرعدون جسدك قليلاً فلا تسلم ذاتك إليهم يا ابني فإنَهم يصنعون بك هذا لكي يجعلوك غريباً عن الطريق التي اشتهيتها التي هي ملكوت الله وتشتهي أوجاع نار جهنم.

الآن يا ابني احتفظ من هذه كلها وكن مستقيماً في الصلاح بصلوات تفوح روائح الطيب وبركات ممتلئةٍ أثماراً وطلبات كاملةٍ بكل بشاشةٍ لكي ما تُفرِّح الملائكة المقدسون معك والجنود السمائية يتهللون بك ويساعدونك حتى تحسب مع جماعة القديسين وتكون ابناً للمبارك وتتمجد مع الخالق هذا الذي له المجد والكرامة إلى آباد الدهور كلها آمين.

الرهبان ملائكة أرضيون وبشرٌ سمائيون؛ وهم نور عالم زمانِهم ومصابيحه؛ والراهب بالحقيقة هو الذي يتورَّع تورُّعاً يتشبه فيه بسيدنا على قدر قوته وأقصى ما تصل إليه غاية طاقته.

والرهبنة أفضل طريق للعبادة؛ وعابدوا الله بها تبعوا فيها التعليم الإنجيلي؛ وامتثلوا فيه قوله تعالى: تعلموا مني تجدوا راحةً لأنفسكم. وتشبهوا فيها ببولس القائل في رسالته لأهل كورنثوس إصحاح ١٩ تشبهوا بي كما أنا أيضاً متشبهٌ بالمسيح.

وسلكوا في سيرة يوحنا المعمدان القائل فيه سيدنا تبارك: أنه لم يقم في مواليد النساء أفضل منه؛ وسيرة إيليا النبي الغيور لله.

وأول من أظهر هذه السيرة هو القديس أنطونيوس صلواته تحفظ المؤمنين؛ ولما تعالت سيرة الرهبان عن القوانين الموضوعة لهم احتوى هذا الباب على قسمين؛ أحدهما ذكر فيه سيرة فضائله الروحانية التي نقلوها من القوانين الموضوعة لهم إلى ما هو أعلا منها ليبقى قدوة وتذكرة لمن تنحط طبقته منهم فينساها أو يتناساها. والآخر يشتمل على القوانين الموضوعة لهم.

الأول ينقسم أيضاً إلى قسمين أحدهما روحانياً والآخر جمهوره جسدانياً؛ أما الروحاني فإن أهل هذه الطريقة بالحقيقة نظفوا أنفسهم من جميع نجاسات الجسد والروح وكملوا

بالطهارة بتقوى الله ودبروا حياتَهم الزمنية بحكمة إلهية جعلت عقولهم مدبرة لحواسهم قامعة لشهواتِهم وطهروا نفوسهم من الشهوات وقمعوها بالبحث والنظر ودوام إتباع الحق وفتشوا الكتب الإلهية بحرارة إيمان وكمال معرفة فاستدلوا منها على ما عمروا به عقولهم من العلوم الإلهية بفهم ما تضمنته من العلم بالبارئ، والعقل والتعقل له على حسب الطاقة البشرية وعلم مصنوعاته وعجائب أفعاله واستداموا بالفكرة فيه سبحانه.

وفي الابتهاج بعلمه استدامة، تعروا بها من هذا العالم بالمشيئة وانتقلوا منه إلى العالم العلوي بالصورة الخاصة لهم انتقالاً به صارت وجوههم جميعها مسفرةً يرون مجد الرب كأنهم ينظرون إليه في مرآة واتحد بهم نور من نوره.

وأما الجسداني الممزوج بالروحاني فإن أهل هذا الرأي تأملوا ما تفوق من الفضائل الإنسانية في الأكثرين من أفاضل الشريعتين التي نالوا بها الفضيلة الإلهية وجمعوها فيهم وأضافوا إليها مناسك أُخر استنبطتها عقولهم وقصدوا بمجموع ذلك الترقي إلى **القسم الأول** لأن العمل الجسداني يتقدم النفساني ولأن من لم يقتن الأعمال الجسدانية لن يقدر على اقتناء الأعمال الروحانية إذ أن هذه من تلك تتولد.

واقتدوا في جميع ذلك بالتعليم الإنجيلي وبما يطابقه؛ وهو ينقسم في هذا الباب إلى عشرة أقسام:

الأول: ترك الزواج فمنهم من تركه أصلاً ورأساً ومنهم من شارك أهل العالم فيه فلما انعتق منه لم يعاوده وكلاهما تبعا فيه قول الإنجيل المقدس عن الخصيان الذين أخصوا نفوسهم لأجل ملكوت السماوات وجعلوا نفوسهم ههنا كما قيل عنهم أنهم يكونون هناك في يوم القيامة لا يتزوَّجون ولا يزوَّجون ويتشبهون فيه بيوحنا المعمدان وببولس الرسول القائل لأهل كورنثوس في ترك الزواج إصحاح ٧ وأني أحب أن تكون الناس مثلي.

وقال لهم أيضاً أنه حسن بالرجل ألاَّ يدنوا من امرأة. وقال أيضاً في إصحاح ٨ فإن كنت يا هذا خلواً من زوجةٍ فلا تردها. وقال في هذا الفصل أيضاً لمنفعتهم به ليدمنوا بالتقرب إلى ربهم بالشكل الجميل ولا يهتموا للدنيا أن الذي لا زوجة له يهتم بأمر ربه أن كيف يرضيه؛ والذي له زوجة يهتم لأمر الدنيا أن كيف يرضيها؛ وأن بين المتزوجة والبكر لفرق واضح؛ لأن التي لم تصر لرجل تَهتم بما يقربَها من ربها وتكون طاهرةً بجسدها وروحها والتي لها بعل تَهتم بالدنيا أن كيف ترضي بعلها.

والثاني: ترك والديهم وأولادهم وإخوتهم وأخواتهم وحقولهم من أجل اسم الله تعالى رجاءً في ميراث حياة الأبد وتفرقة جميع أموالهم وقناياهم على المحتاجين وإعطاءها للمعوزين لأنَهم لم يقنعوا في دخول الحياة بحفظ الوصايا فقط حتى أثروا الكمال فباعوا كل شيء لهم وجعلوه لهم كنزاً في السماء حيث قلوبَهم و لم يحزنوا عليه وتبعوا سيدهم عالمين أن لا يستطيع أحد أن يعبد الله والمال وأن بغير عدمان القنية لا تستطيع النفس أن تنعتق من سجس الأفكار.

والثالث: لباس الصوف على أجسادهم وتشبهوا فيه بإيليا ويوحنا المعمدان الذي شهد عنه الإنجيل أن لباسه كان من وَبَر الإبل حتى أنه وجد فيهم من زاد على ذلك بأن لبس على جسده الحديد الذي في الصيف يكون طبعه حاراً وفي الشتاء بارداً.

وجعل الحديد لجسده شعاراً والصوف دثاراً وقصد بذلك أن يثقل أعضاءَ جسده فلا يرجع يجد وقتاً لمطالبته بالشهوة البدنية الدنية.

والرابع: تمنطق الوسط بالسيور الآدمية دائماً وحملوا ذلك على ظاهر قول الإنجيل المقدس تكون أوساطكم مشدودة؛ وتبعوا فيه زي القديس بولس المشهور عنه في الإبركسيس وفعل

إيليا النبي الشاهد به أسفار الملوك ويوحنا المعمدان الشاهد له الإنجيل المقدس أنه كان متمنطقاً بأديم على حقويه. ومنطقة الظهر أيضاً مع القلنسوة من جملة ثياب القدس التي كان هرون يلبسها إذا دخل بيت الرب.

والخامس: ترك أكثر المآكل وشرب الخمر تنسكاً وتعبداً لله تعالى لا اعتقاداً أنَها نجسة في طبعها وأنَها محرَّمة بل لما علموا من أن بخار الأطعمة الكثيفة القوية ودخانَها يعمي عيني حكمة النفس الناطقة لم يرضوا أن يجعلوا بطونَهم قبوراً للحيوان ولا أن يعدوا يوم الطعام نعيماً بل قوَّموا حياتَهم بالمآكل اللطيفة المادة القليلة المقدار المعينة على العبادة والمشرب المباح الضروري في الحياة و لم يجعلوا بطونَهم آلهتهم كالذين بكى الرسول عليهم.

فمنهم من اقتصر من المآكل على ما تنبته الأرض فقط و لم يأكل حيواناً ولا شرب مسكراً جملة كافية وتشبه في ذلك بالمعمدان الذي كان أكلهُ عسلاً برّياً وجراداً وهو نبت من نبات الأرض على رأي بعض المفسرين؛ وشهد الإنجيل أنه عندما بشَّر الملاك أباه به فمن جملة ما قال له عنه أنه لا يشرب خمراً ولا مسكراً وكان كذلك.

واقتدى فيه أيضاً بسنة المتحرمين في الثاؤرية؛ ومنهم من ترك أكل اللحم خاصة واستعمل اليسير من الخمر للمداواة. وتبع في

استعمال قليله قول بولس الرسول لتيموثاوس تلميذه في ذلك؛ وأصل هذا القسم استنتجوه جميعهم من قول الرسول المذكور لأهل رومية إصحاح ١٤ أن ملكوت الله ليس أكلاً ولا شرباً ولكنها الألفة والسلامة والفرح بالروح القدس ومن خدم المسيح وعبده بهذه الأشياء كان عند الله مرضياً وعند الناس خيراً.

فأما صورة أكلهم فإنهم ينالون من هذا العيش ما يحفظ حياتهم من غير شبع تابعين في ذلك قول سيدهم: انظروا لئلاَّ تثقل قلوبكم من الشبع والسكر قاصدين فيه أيضاً أن يوفروا ما عندهم من القوت ليطعموها لكل من يمر بهم ويضيفون بها كل من يصير إليهم متشبهين في ذلك ببولس الرسول حيث قال: ولا يأكل الواحد منهم دون الآخر إلا متى اجتمعوا للطعام؛ فينتظروا بعضهم بعضاً ممتثلين في ذلك أمر الرسول لأهل كورنثوس الأولى إصحاح ١١.

والسادس: من سكن البراري والجبال والمغائر وتشبهوا في ذلك بالسيد لما كان يخرج إلى البرية أوقات خلوّة ويطلع الجبل أوقات صلواته وبالمعمدان وبإيليا؛ حتى أن منهم من زاد عليهم بسكن الصوامع؛ ومنهم من حبس إنسانيته بإرادته وجعل جسده بين حائطين.

ومنهم قوم ساحوا وجالوا لابسين جلود الحملان والمعز فقراءَ متضيقين مجهودين كالضالين في البرية وفي الجبال والمغائر وفي شقوق الأرض.

وهم بالحقيقة المهتدون الذين لم يكن العالم ليستحق مقامهم بينهم وقصدوا جميعهم بذلك على اختلاف طبقاتِهم أن يبتعدوا بحواسهم عن تكرار معظم لذيذ محسوساتِهم عليها من منظور ومسموع ومشموم ومذاق وملموس لتصير جسمانيتهم روحانية.

والسابع: من تصير نفوسهم إخوة بعضهم البعض وخدمة الكبير منهم للصغير والحرُّ للعتيق والأول للآخر. وتبعوا في ذلك قول سيدنا له المجد من أراد أن يكون كبيراً فليكن خادماً ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً. حتى أن رئيسهم إذا فارق مرؤُسهم بسفر يستودعه الرب ويضرب الواحد للآخر الميطانية جاثياً على ركبتيه مصلياً عليه وتشبهوا في ذلك ببولس الرسول لما ودَّع أهل أفسس (أع ٢٠).

والثامن: صرف أعمارهم في صيام النهار فمنهم من يصومه دائماً ومنهم من يصوم مدة العمر ومعظمه بتكرار الصلوات ومفاوضة الله تعالى بها ومناجاته فيها ومخاطبته سبحانه بالنفس والجسد وقيام الليل وسهره في ذلك بخضوع وخشوع وسجود

وركوع وابتهال ودموع وقنوت وتنهد تابعين في ذلك التعليم الإنجيلي والقول الرسولي عالمين أن قيام الليل قوام العبادة وسهره قدام الله كمال الورع وإنفاق النهار في الصوم والصلاة فضيلة يضاهون بها الملائكة الذين ليس لهم غذاء سوى التسبيح والتقديس.

والتاسع: كدّهم بأيديهم ليلاً ونهاراً في الساعات التي يتفرغون فيها من الصلاة. ومنهم من يقبل برَّ المؤمنين ومنهم من لا يرى قبوله. أما كدهم بأيديهم فلئلا يثقلون على أحد من المؤمنين تشبهاً ببولس الرسول الشاهد بأنه كان يفعل ذلك كما كتب في رسالته الأولى إلى (التسالونيقيين) تسالونيكي ولئلا يبقوا بطالين فتجذبهم العظمة إلى التفكر في الأمور العالمية وأما من يقبل بر المؤمنين منهم فقصده بذلك استجلاب النفع لهم فيصرف إما كله وإما بعضه في وجوه مصالح إخوته الضعفاء والمحتاجين ولكي تصغر نفسه عنده وتنسحق وتتواضع عند قبول ذلك من معطيه. وأما من لا يرى قبوله فإنه تسلم ذلك عن الرسول المشار إليه من رسالته الثانية إلى المذكورين المتضمنة أنه كان لا يأكل لأحد طعاماً بلا ثمن بل كان يعمل بالكد والتعب في الليل والنهار لكيلا يثقل على أحد وتحرزاً على دينه من أن يكون في بعض الذي يقبله من وجه للشبهة فلا يحل أكله ولا

إطعامه وخشيةً من أن يسترق طباعه في أتعاب جسده بالكد. وربما حدث له ضعف حياة وسقوط نفس ومحاباة لمن يقبل بره إلى ما يجري هذا المجرى.

والعاشر: ترك الكلام البطال هرباً من المطالبة بجوابه في يوم الدين و لم يستعملوا في كلامهم القسم بالله تعالى إجلالاً لاسمه سبحانه وتنزهوا عن الحلف البتة لا بالسماء ولا بالأرض ولا بمدينة السلم ولا برؤوسهم بل جعلوا كلامهم النعم نعم واللا لا و لم يزيدوا على ذلك و لم يذنبوا في كلامهم بل خدموا الله بضبط ألسنتهم وقلوبهم متمسكين في ذلك بقول الكتاب من ظن أنه يخدم الله ولا يلجم لسانه، لكن يضله قلبه، فخدمته باطلة وتركوا مقاومة الشر وأحبوا أعداءهم وباركوا لاعنيهم وأحسنوا إلى من يبغضهم وصلوا على من يظلمهم ويطردهم ودخلوا من هذا الباب الضيق الكرب المؤدي إلى الحياة ورجوا بهذه الأتعاب الثقيلة الأحمال راحة الملكوت وأتبعوا في عمل جميع ذلك ونظائر كثيرة له التعليم الإنجيلي وشرفوا نفوسهم به علماً وعملاً موقنين أن شرف العالم يشرف المعلوم وأن غاية الفلسفة الإلهية العمل بها.

فأما القسم الثاني المشتمل على القوانين الموضوعة لهم من أوائلهم وأفاضلهم ومشاهيرهم فهي كثيرة جداً ولها كتب عدة.

وقد اشتمل هذا القسم على قليل من كثير يُستغنى به عنه مع العمل بالقسم الأول.

وهو ينقسم ما فيه ها هنا إلى ثلاثة عشر قسماً:

أولها: لا يرأس على الدير إلا من رُبّيَ فيه وعرف سنته وكان قادراً على عظة الجهال وأهل ضعف الرأي قائماً على الرئاسة باجتهاد وليخضع رأس الدير للأسقف (نيقية) ومن رأس على الدير حديثاً فليأت الأسقف للتسليم عليه ثلاث مرات في السنة منها مرتين يأتي وحده ليستعين برأيه على أعماله وأسبابه والمرة الأخرى في جملة إخوته قوانين باسيليوس ولا يبيع رئيس الدير من مستغله شيئاً ولينظر إلى الإخوة فمن كان من وجوههم وله نفوذ وحركة فليقمه على خدمة الدير.

والثاني: إذا أراد الرهبانية أحد فليسأل الرئيس عنه ومن أين هم وليفحص عن سبب رهبانيته فإن كان حراً من أبناء المؤمنين وكان في حكم أبيه فلا تقبل رهبانيته إلا برضى والده وإن كان عبداً فلا يقبل إلا بإذن سيده. ومن أراد الرهبنة إن كان خالياً من الأولاد فليوص قبلها في أسبابه بمهما أراد فإن جميع ماله يصير للدير: (نيقية قانون ١٥). وإن التمس أحد من العلمانيين أن يصير في درجة من درجات الرهبنة فلا يُقبل إلا بإذن أسقفه لئلا متعلقاً بامرأة وبولد وبغير ذلك من الموانع (أنقرة ق ١٥).

فإن تربية المرء لأولاده ومقامه عندهم أفضل له من الرهبنة وأقرب إلى الله وكل من خالف ذلك فليكن محروماً.

والثالث (قوانين القديس باسيليوس) لتكن كسوة الرهبان صوفاً ويتجنبوا شكل العلمانيين وهيئتهم وزيهم وما لا يليق بالرهبان من عوائدهم (قوانين نيقية) ويشدوا أوساطهم ويحلقوا رؤوسهم كلها ولا يتركوا عليها أكاليل من الشعر ولا يتختموا بخواتم الذهب والفضة ولا يخففوا أقدامهم الخفاف اللينة الطوال الساقات بل بالقصار الغلاظ الجافية.

والرابع: والعذراء التي تريد أن تهب نفسها لله فلا يعجل بها النذر فإن سليمان الحكيم يقول الحسن ألا ينذر أكثر مما ينذر ولا يعمل بل يتحفظ وينبغي أن تكون طاهرة جسداً ونفساً لأنها هيكل الله وبيت المسيح وراحة روح القدس ولا تسعى من مكان إلى مكان وتكون عفيفة صالحة حكيمة وتهب من الكلام الذي لا يجب (أنقرة ق٣) وأي امرأة ترهبت وتزيت بغير زي أمثالها وتزيت بزي الرجال أو لبست لباسهم فلتكن محرومة.

والخامس: (قوانين القديس باسيليوس ١) ليكونوا مستعدين للصلاة والسهر فيها كما يستعد للقتال وليصلوا الصلوات المفروضة عليهم ومن أكثر منهم النوم في الصلاة فليطعم وحده أقل من الرهبان.

والسادس: (قوانين القديس باسيليوس ٧) إذا كان رهبان الدير أكثرهم فلاحين فليطعموا في اليوم مرتين في السادسة والثانية عشر من النهار وإذا لم يكونوا فلاحين فليطعموا مرة واحدة في التاسعة من النهار. وإذا جلس رئيس الدير على المائدة ونظر إلى راهب شره فليؤدبه لئلا يتشبه به غيره وليُدنه لئلا يدينه أحد من العلمانيين وكل راهب صحيح لا يعمل فليطعم أقل من الرهبان لنقص خدمته ولا يأكل الرهبان لحماً في ديارهم ولا في غيرها ولا يتزوج الرهبان كما يتزوج الشمامسة ليبيتوا جميعاً على الأرض لا على فروة ولا على غيرها. فأما رأس الدير والمرضى من الإخوة فإن أحبوا النوم على الأسرَّة فلياموا ولا يترعوا أثوابهم عند نومهم ولا يحلوا أوساطهم ولا ينام اثنان منهم على وسادة واحدة.

والسابع: (قوانين القديس باسيليوس ٤) لا يساكن الرهبان النساء ولا يختلطوا بهن ولا ينظروا إليهن لا إلى عجوزهن ولا شابهن ولا بكر ولا يتيمة.

والثامن: (قوانين نيقية) يكونوا ودعاء ويتخلقوا بأخلاق حسنة مع بعضهم البعض ومع سائر الناس أيضاً ولا يسعوا في الأسواق ولا يستعملوا اللعب مع بعضهم البعض ولا المزح والضحك ولا يقودوا نفوسهم إلى أن يستهزئ بعضهم البعض

بل يلزموا الصمت الحسن ويتجملوا بكل ما يجملهم ويزينهم لا سيما عند المخالفين لهم في الدين.

والتاسع: (قوانين القديس باسيليوس ٧): لا يستودع أحد من الرهبان وديعة لقريب لئلا يجلب على الدير غماً أو أذية.

والعاشر: (قوانين القديس باسيليوس ١٣) إن وجد أحد من الرهبان يضارب بمال يطلب فيه فضلة أو يقرض بربا أو يلتمس ما لا يحل من الأرباح النجسة فليسقط من درجته وليخرج من خدمته.

والحادي عشر: (قوانين القديس باسيليوس ٧): كل أخ يغتال أخاه أو ينم عليه أو يسرق أو يطرح الشرور بين الإخوة ويؤذيهم أو يتوانى في أمر الدير والرهبان ويضيع طعامهم فليخرج من الدير من ساعته ومن وُجد سكران فليصفح عنه رئيسه ثلاث دفوع فإن رجع بعدها فليضاعف عليه العقوبة الموجعة. ومن وُجد في زنا فليصم سنة كاملة جزاء خطيئته.

والثاني عشر: (قوانين القديس باسيليوس ٧): إذا تنازع اثنان من الرهبان فمد أحدهم يده إلى الآخر وضربه فليعاقبه رئيس الدير بقطع خبزه أربعين يوماً وصوم شهرين. وأي راهب مد يده إلى رئيس الدير فضربه فليضرب الراهب أربعين جلدة ولينقله رئيسه إلى دير آخر ويفرض عليه أن يصوم فيه سنة كاملة

ولا يخالط أحداً. فإذا انقضت السنة فليرد إلى ديره وإن كان من قدماء الدير فليجعل بمنزلة أخ دخل حديثاً.

والثالث عشر: (قوانين القديس باسيليوس ٧): ليكن بواب الدير حكيماً عاقلاً متواضعاً يكرم الغني والفقير على قدر ما يجب لكل واحد. محباً للقريب والبعيد، لين القول لا ينازع أحداً في شيء ولا يكن سفيهاً ولا شتاماً لمن بغضه ويسرع بإجابة كل من عامل الرهبان في صلاح الدير ولا يرخص للراهب في أن يخرج إلى موضع بغير إذن الرئيس.

انتهى مختصر القوانين المؤتمنة في الرهبان والرهبنة

ولله الشكر دائماً.

الفهرس

الموضوع	صفحة
تقديم نيافة الأنبا متاؤس	٧
حياة القديس أنطونيوس	٨
التجمعات الرهبانية التي أسسها القديس أنطونيوس	١٠٧
رسائل القديس أنطونيوس	١١٩
الرسالة الأولى: في الخروج من العالم إلى الرهبنة	١٢٠
الرسالة الثانية: في اشتراع الناموس وتجسد الله الكلمة	١٢٧
الرسالة الثالثة: في الحث على العمل	١٣١
الرسالة الرابعة: في أن العبودية بناموس الفضيلة ليست عبودية	١٣٦
الرسالة الخامسة: تحريض على التشبه بالقديسين ومغايرة أعمالهم	١٣٩
الرسالة السادسة: لرهبان الفيوم يعرفهم فيها قتال الشياطين ومعونة القوات المقدسة ويحثهم على الصبر	١٤٣
الرسالة السابعة: في أن الخلاص ليس بملاك ولا بإنسان بل بالإله المتجسد ويحث على الجهاد	١٥٣
الرسالة الثامنة: في الجهاد لقبول الروح القدس	١٦٠

الموضوع	صفحة
ويذكرهم بجهاده	
الرسالة التاسعة: في مقدار فعل قوة الله في القديسين	١٦٥
الرسالة العاشرة: في المجد الباطل وقتاله	١٦٨
الرسالة الحادية عشرة: في الإفراز واقتنائه	١٧٢
الرسالة الثانية عشرة: في المحبة	١٧٦
الرسالة الثالثة عشرة: في اقتناء الفرح الذي يناله المجاهدون وكيف يحكمون على أهل جيلهم بالتواني	١٧٩
الرسالة الرابعة عشرة: في تكميل الطاعة للآباء	١٨٢
الرسالة الخامسة عشرة: في أن الصوم وباقي الفضائل ثمار حية ناطقة وفي أن المجد الباطل وراحة الجسد تفسدها	١٨٦
الرسالة السادسة عشرة: في المسكنة والاتضاع	١٨٩
الرسالة السابعة عشرة: في أن الاتضاع الحقيقي لا يحصل إلا بعد الثاؤرية أي نظر الله وبيان رتبها الثلاثة	٢٠٣
الرسالة الثامنة عشرة: لأولاده الرهبان يعرفهم أنهم إذا بلغوا إلى المناظر الإلهية والإعلانات فليحذروا من المناظر الشيطانية	٢١٩

الموضوع	صفحة
الرسالة التاسعة عشرة: في أن الذين وصلوا إلى الكمال وقبلوا روح القدس لابد أن تطلق عليهم قتالات أصعب من الأولى	٢٢٧
الرسالة العشرون: كتبها لتلميذه ببنوده	٢٣٥
تعاليم القديس أنطونيوس	٢٥٥
مقالة للقديس أنطونيوس تتضمن تعاليم روحانية	٢٥٦
(١) في حفظ العقل	٢٦٦
(٢) في مخافة الرب	٢٦٦
(٣) في طول الروح	٢٦٧
(٤) في عدم المكر	٢٦٨
(٥) في الاتضاع	٢٦٩
(٦) في الطهارة	٢٧١
(٧) في السلامة	٢٧٢
(٨) في السكوت	٢٧٤
(٩) في عزاء من يتعبد لأجل خلاصه	٢٧٥
(١٠) في التحفظ من ألسنتنا	٢٧٦
(١١) في الحكمة والفهم	٢٧٨

الموضوع	صفحة
(١٢) في الحشمة	٢٨٠
(١٣) في المجد الباطل	٢٨٢
(١٤) في الافتخار بالصبر	٢٨٣
(١٥) في الفهم	٢٨٤
(١٦) في القريحة	٢٨٥
(١٧) في العبادة والبتولية	٢٨٧
(١٨) في الابتعاد من الشرور	٢٨٩
(١٩) في ضبط اللسان	٢٨٩
(٢٠) في الغش	٢٩٠
قوانين ووصايا لرهبان دير النقلون	٢٩٣
وصايا للقديس	٢٩٧
عظة للقديس	٢٩٨
من مختصر القوانين المؤتمنة في الرهبان والرهبنة	٣٠٣
الفهرس	٣١٧